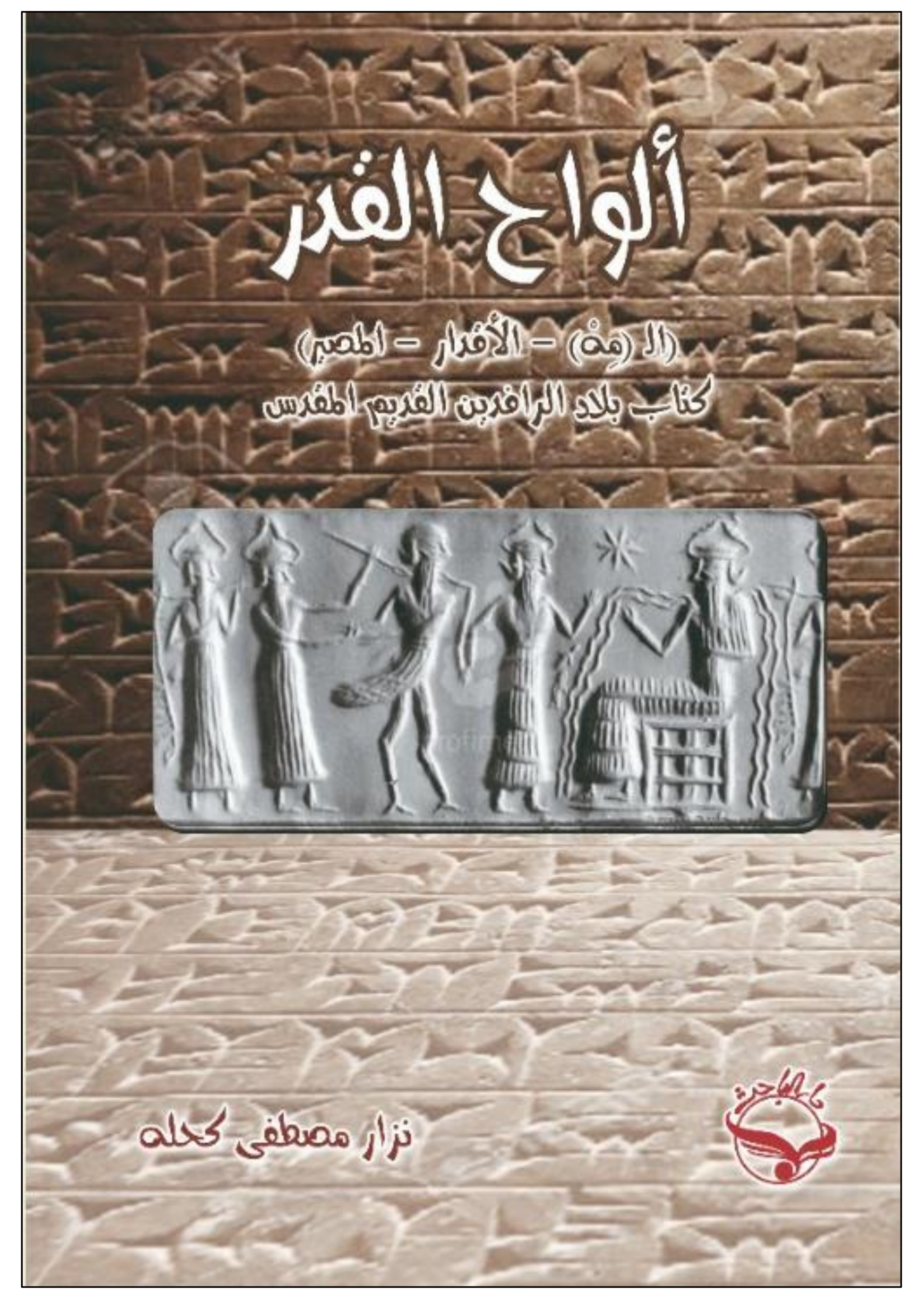

ألواح القدر
(الزمن - الأقدار - المصير)
كتاب بلاد الرافدين القديم المقدس
نزار مصطفى كحله

ألواح القدر

(الـ (مِهْ) – الأقدار – المصير)

كتاب بلاد الرافدين القديم المقدس

الكتاب: ألواح القدر (الـ (مِهْ) – الأقدار – المصير)

كتاب بلاد الرافدين القديم المقدس.

المؤلف: نزار مصطفى كحله

التدقيق النحوي: أ . حسين كاظم محفوض

الطبعة: الأولى ٢٠٢١م

موافقة وزارة الإعلام رقم / ١١٩٦٥١ / تاريخ ٥ / ٧ / ٢٠٢١م

الناشر: دار الباحث

سوريا – حماه – سلمية

٠٩٩٣٨٦٥٩١١ – ٨٨١٤٤٩٨

ألواح القَدر

(الـ (مِهْ) – الأقدار – المصير)

كتاب بلاد الرافدين القديم المقدس

تأليف: نزار مصطفى كحله



الإهداء

إلى

صُنَّاع ومُبدعي وحُرَّاس الفكر والفلسفة والكهنوت

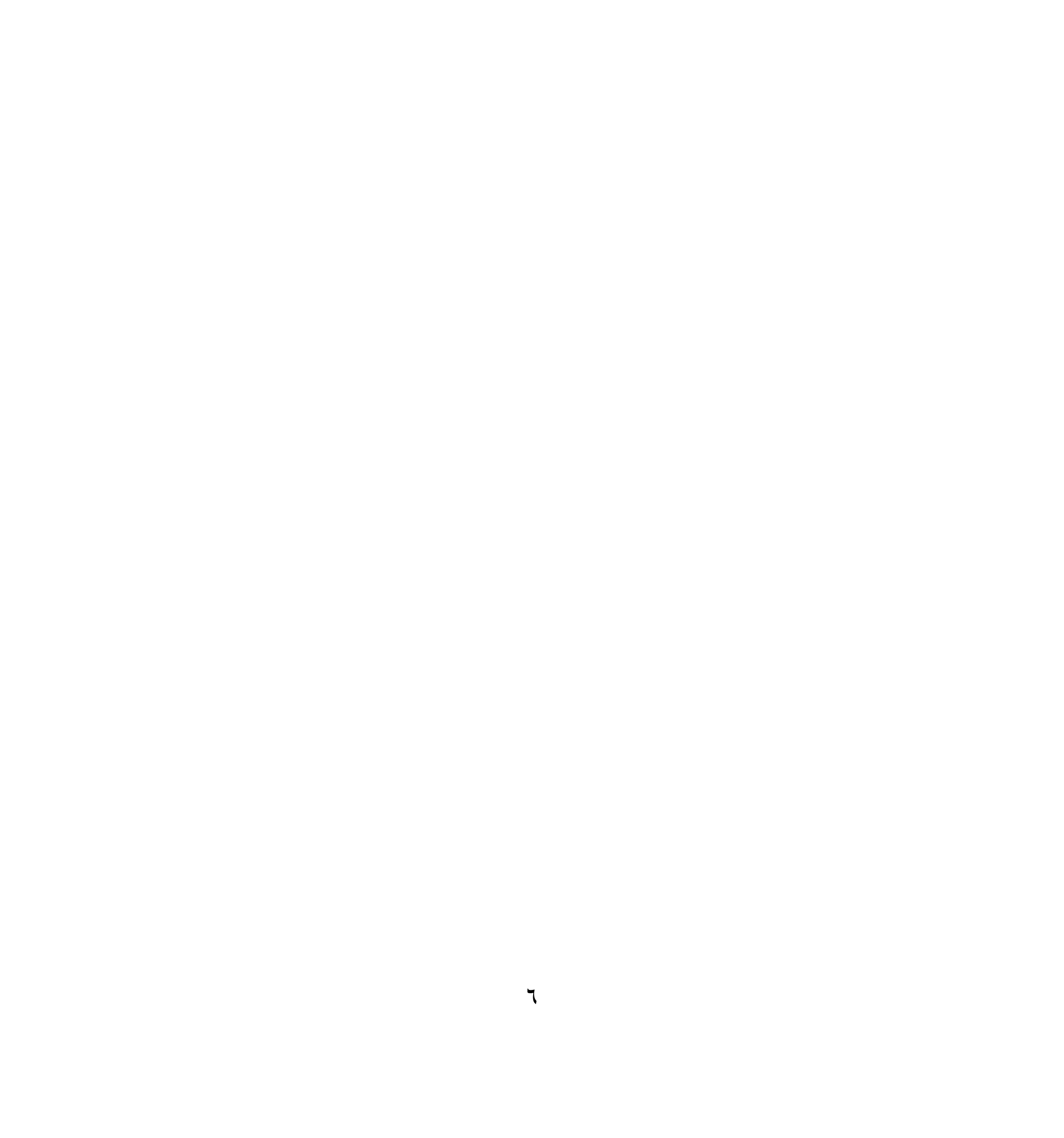
في بلاد الرافدين القديم

إلى

من طيَّبَ الثرى بطيبتهِ

والدي مصطفى حسين كحله

رحمه الله



مقدمة

إن الباحثَ في تاريخ الشرق العربي القديم، في بلاد الشام والرافدين، وأخصُّ – هنا – بلاد الرافدين، يَلْحَظُ – ومنذ الوهلة الأولى – أنه أمامَ مجتمعٍ غير عادي، بمعنى، أنه أمام مجتمعٍ استطاع أن يُثَبِّتَ لنفسه ولغيره اكتشاف – وربما اختراع – جُل – إن لم يكن كُل – الإرهاصات الأولى، للعديد من الأفكار والمعتقدات، وحتى الاكتشافات والاختراعات ...إلخ، وأنا – هنا – لستُ مُتحيِّزاً، ولا (شوفينيّاً)، بل، اتَّسِقُ مع الدراسات والأبحاث – وأنا من المتابعين (بِحرصٍ) لها – التي أثبتت ذلك، ولا بدَّ، أن لهذه الأسبقية أسباب موضوعية، تتعلق بـ

أولاً – بالجغرافية والمُناخ، فقد انحسر عصر الجليديات – الطويل جداً – المُسمَّى البليستوسن♣ عن هذه البلاد، وحلَّ محلَّهُ العصر الدافئ المُسمَّى الهولوسن نحو ١٣٠٠٠ ق.م♠[١]، قبل الكثير من مناطق

♣ - البليستوسن، أي الزمن الحديث أو الجديد، الكثير التقلبات، وهو عصر بارد جداً، ويُقسم إلى أربعة أقسام، امتدت منذ أكثر من ٣ ملايين سنة، لينتهي بالعصر الدافئ المُسمَّى، الهولوسن

♠ – الهولوسن، ويعني الزمن الحديث جداً، ويمتد منذ ١٥٠٠٠ سنة، وما زال مستمراً حتى الآن، وهو عصرٌ دافئ.

[١] – سلطان محيسن: عصور ما قبل التاريخ، جامعة دمشق، ٢٠٠٥ – ٢٠٠٦م، ص ٢٢.

الأرض، مما أتاح لسكان هذه البلاد إيجاد الوقت الكافي للتأمل والتفكير بالبيئة المحيطة بهم، والسؤال حول ماهية – أي ما هي؟ – هذه البيئة، وكيف نشأت؟ وما هي أسباب هذا النشوء (الوجود)؟، وهل بالإمكان تطوير – أو حتى تطويع – هذه البيئة المحيطة. إذن، هي أسئلة وأفكار فلسفية وجودية. هذه الأفكار (الفلسفية) هي التي قادت إنسان هذه البلاد، كي يكون السبَّاق، قبل غيره، في إيجاد، وابتكار، واكتشاف، واختراع ... إلخ، كل هذه الابداعات والاكتشافات والاختراعات ... إلخ.

ثانياً – كان لا بدَّ، لبعض هذه الاكتشافات والتأملات المُبكِّرة – وعلى رأسها، اكتشاف الزراعة، والألوهية، ولاحقاً، الكتابة – أن تؤتي أكلها، فكانت، المُحرِّض – المهم – لإنتاج هذه الإرهاصات الخلَّاقة، لكل هذه الإبداعات.

ومع المضي في التأمل المستمر – لدى سكان هذه البلاد – كان لا بدَّ من لحظات تأمل أعمق – ربما – كان سببها، الخوف من بعض المظاهر الطبيعية (الرعد، الصواعق، الرياح، الأمطار، الفيضانات ... إلخ) أو – ربما – كان سببها، الرغبة الجامحة لهذا الإنسان، في كشف أغوار الطبيعة المحيطة به، أو – ربما – كان السبب – عند بعض الموهوبين أو المبدعين – هو التَّميُّز من خلال اكتشاف ما لم يُكتشف، كما يحصل في كل العصور، لذا أفْرَدَ هؤلاء، الكثير من أوقاتهم، للتأمل

والبحث عن إجاباتٍ لهذه التساؤلات المصيرية، التي كانت – عادةً – ما تلهج بها شفاه الخاصة، وحتى العامّة.

وأمام هذه التحديات، وهذه المخاوف، تقاربت غيوم الأفكار، واصطدمت شحنات التأملات، فكانت هطولات الأمطار غزيرة الأفكار، وهي التي شكَّلت تلك الارهاصات، التي أدت – فيما أدت – إلى ظهور أفكار (السحر، الخرافة، الأسطورة، الدين ...إلخ)، التي ستكون، منهلاً ثرَّاً لِكلِّ الحضارات اللّاحقة، التي عَملت على تطويرها، وربما تنقيحها.

ومن هذه التساؤلات الكبرى، التي أقضَّت مضجع مفكري، وعلماء، وفلاسفة بلاد الرافدين، كان السؤال الجوهري: من خلق هذا الكون؟، ومن نظَّمهُ؟، وما هي ماهيته؟، وما هي ماهية الخالق؟، ولماذا خلقتنا الآلهة؟، وكيف؟، وما هو مصيرنا؟، ومن يكتبه؟، وهل هناك قوانين تُسيِّر الكون؟، ومن المسؤول عنها؟، وكيف؟، وما هي هذه القوانين (النواميس)؟، وكيف خُطَّت؟، ومن خطَّها؟، وما علاقتها بالإنسان، وحياته، وموته، وحضارته، وازدهاره؟، وبالتالي، هل لها علاقة بالقوة والسيطرة والملكية والتشريع والاستمرار، وهل هناك – حقاً – مصيرٌ مكتوب؟، ومن كتبه؟، وكيف؟، ومتى؟، ولماذا؟، وما هو دور الآلهة في ذلك؟، وهل يمكن تغيير هذا المصير، وكيف؟.. إذاً، لماذا يموت الإنسان؟، وأين يذهب بعد الموت؟، وهل هناك سُبلٌ – خاصةٌ – أو أساليب مُتَّبعة يُمكن بواسطتها أن نرقى إلى الخلود؟، ومن يحقُّ له

ذلك؟ إلى غير ذلك، من هذه التساؤلات الجوهرية، التي أنتجت فكراً خلّاقاً نيِّراً.

ومن هذه الأفكار والتساؤلات والنتائج، التي برع فيها سكان بلاد الرافدين، كانت فكرة – بل – مفهوم الـ (مِهْ – مي – ME) في البدايات (السومرية)، وألواح القدر (الأقدار) في العصر الأكادي اللاحق، ومن ثم، مفهوم المصير، خاصة في العصر البابلي، طبعاً مع الأخذ بعين الاعتبار، التداخل الكبير بين هذه المفاهيم، خلال هذه الأزمنة.

يأتي هذا الكتاب، لكي يُجيب على بعض هذه التساؤلات، من خلال معالجة موضوع مفهوم الـ (مِهْ – مي – ME) ونواميس الطبيعة، والقدر (الأقدار) والمصير، عند سكان بلاد الرافدين.

ويُعدُّ البحث في هذه المفاهيم الثلاثة، من أهم الأبحاث، التي تكشف خفايا وأسرار العقل – والعقل الجمعي – لسكان بلاد الرافدين القدماء، وهو محاولة – من محاولاتي العديدة – لكشف المفردات الحضارية، لسكان بلاد الشام والرافدين، وهي المتناثرة هنا وهناك، فتضيع معالِمُها بين صفحات الكتب، وتقارير الباحثين والعلماء، ويَصعبُ الرَّبط بينها، فلا يجد القارئ العادي لهذه الكتب، أيَّ رابط بينها، لذلك، كان لا بدَّ، من إيجاد هذا الرابط الخاص – هنا – بهذه المفاهيم، من خلال هذا الكتاب، الذي أُحاول فيه لَمْلَمةَ وإيجاد هذا

الرابط بين هذه الأفكار والمعتقدات، خاصةً، بما يخصُّ هذا الموضوع، بغية كشف هذه المفاهيم – قدر المُستطاع – بشكلٍ جلي.

وقد اعتمدت في هذا الكتاب، على منهج التقسيم إلى سبعة أبحاث، تناولت من خلالها هذه المفردات بشكلٍ مفصَّل، مُراعياً – قدر المُستطاع – الوضوح والشرح المُبسَّط، بُغية تسهيل الأفكار، وقد حاولت بكلِّ جهدي، أن أكون موضوعياً، بعيداً عن الذاتية، على الرغم من كل الصعوبات التي – عادةً – ما تعترض الباحث في هذه الأنواع من الأبحاث، ذات الطابع الفكري، الديني، الفلسفي، الاجتماعي.

ففي البحث الأول، المُعنون بـ: مجتمع بلاد الرافدين. تناولت فيه هذا المجتمع، من حيث توغل الدين بكل مفاصله، وبالتالي كان من الطبيعي، الدخول عبر بوابته لفهم ماهية البحث الأساسية.

وفي البحث الثاني، المُعنون بـ: أبرز العقائد الدينية عند سكان بلاد الرافدين. تناولت فيه عقائد بلاد الرافدين، التي تتداخل مع موضوع البحث، إضافة إلى تقديم لمحة شاملة عن أهم آلهة هذه البلاد، بما يُفيد قارئ البحث.

وفي البحث الثالث، المُعنون بـ: الـ (مِهْ – مي – ME). تناولت فيه الإرهاصات الأولى المؤسِّسة لهذا المفهوم، مع التعريف به.

وفي البحث الرابع، المُعنون بـ: مفهوم القدر وألواح الـ (مِهْ – مي – ME) في فكر بلاد الرافدين. تناولت فيه، علاقة هذه المفاهيم بالتفكير والخلفيات الفكرية لسكان هذه البلاد.

وفي البحث الخامس، المُعنون بـ: مفهوم المصير عند البابليين وعلاقته بـ الـ (مِهْ – مي – ME). تناولت فيه مفهوم المصير والعالم الآخر وحتمية الموت.

وفي البحث السّادس، المُعنون بـ: الإنسان وعلاقته بألواح القدر. تناولت فيه هذه العلاقة، وإمكانية حصول الإنسان على هذه الألواح.

وفي البحث السّابع، المُعنون بـ: الـ (مِهْ – مي – ME) وألواح القدر ومفهوم المصير من خلال أساطير وملاحم وتراتيل ومراثي بلاد الرافدين. تناولت فيه التطبيق الفعلي لهذه المفاهيم، من خلال ورودها في هذه النصوص المسمارية، كدليلٍ على وجودها واستخدامها. ومن ثم انهيت البحث ببعض النتائج المُستخلصة، وذلك من خلال المقاربات والربط والاستقراء وكيفية الاستخدام، بحيث تكون بمثابة الخُلاصة لِما تقدم عرضه، ومن ثم جاءت الخاتمة لتقدم رؤية متواضعة للمؤلف.

وتأتي أهمية هذا البحث المتواضع، من أنه يسدُّ فراغاً في المكتبة العربية، خاصةً المُتعلق بالشرق العربي القديم، وبالتحديد، بما يتعلق بالمواضيع ذات الطابع الفكري العقائدي الأسطوري، وكُلّي رجاء أن

يكون عوناً للباحثين في هذا المجال، ومَعيناً ثرّاً لِكلِّ راغبٍ في كشف خفايا التاريخ والحاضر.

ولا بدَّ هنا من القول: إن البحث في هذا النوع من المواضيع، ينطوي على صعوباتٍ جمَّة، بسبب ندرة المعلومات، وقِلَّة المصادر التي عالجت هذه الأفكار بشكلٍ موضوعي بحثي تخصصي، لذا، فقد أخذت على عاتقي مسؤولية الشرح والربط والتوضيح في العديد من الأفكار – خاصةً – الغامضة منها، بُغية الوصول إلى عقلِ القارئ الكريم، راجياً أن أكون قد وُفِّقتُ في ذلك، ولكم كل الحق بالانتقاد والحكم والتقييم، والله ولي التوفيق.

ملاحظات

١. بسبب ورود أسماء الآلهة بشكلٍ مختلف بين المصادر، وذلك بسبب اختلاف الترجمة، فقد اعتمدت على تسميةٍ واحدة، في أسماء الآلهة الرئيسة – الأكثر وروداً – وهي: (أنكي – أيا – إنليل – مردوخ – تيامة – كنجو – ننخرساك – إيريشكيجال – نينورتا – انانّا – آبسو – سين) أما باقي أسماء الآلهة، الأقل وروداً وأهميةً، فقد تركتها على حالها (عذراً).
٢. عند الاقتباس من الأساطير، كنت أتعمَّدُ الاختصار، وتقديم المقاطع الخاصّة بالموضوع المطروح، بُغية اختصار وقت

القارئ الكريم، وطرح ما هو مهم فقط، ومن أراد الاستزادة، فيمكنه الرجوع إلى المصادر المذكورة في الحاشية السفلية.

٣. عند ورود بعض الكلام بين قوسين (...) تكون الغاية منه الشرح، فهو ليس من أصل النص.

٤. عند ورود هذا الشكل: – ......، يكون المُراد منه: حذف جمل مُتعددة (لا داعي لها) من النص.

٥. لقد قمتُ بتغميق لون بعض الكلمات ذات الأهمية الكبيرة، والواردة في بعض النصوص، باللون الأسود الغامق، بُغية لفت النظر إليها ولأهميتها، بما يخدم موضوع البحث.

نزار مصطفى كحله

سلمية ٢٥ / ٣ / ٢٠١٩م

تمهيد

كان لا بدَّ من إماطةِ اللثام عن هذه المُفردات الحضاريةُ الثلاثة، التي ترتقي بأهميتها، لِما لها من أهمية كبرى فكرية عقائدية دينية، ولِمَ لا، فلسفية، والتي تحتاج – في كشْفِها – لبحثٍ جاد في التاريخ الحضاري لهذه البلاد، ويبدو أن الباحث، في هذا التاريخ، سيكتشف، ومنذ اللحظة الأولى، أن هناك ثلاثة تحولات كبرى، هي التي حددت سمات الفكر الرافدي القديم، وشكَّلت الأرضية المناسبة، التي عليها قام هذا الفكر بكل تجلياته الدينية (الماورائية) والفكرية والفلسفية والاجتماعية، وحتى الأخلاقية منها. وهذه التحولات الكبرى، هي تحولاتٌ كونية بدئية خلقية، يمكن تلخيصها على الشكل التالي:

- التحول الكوني الاول: وهو الخروج من العماء* بخلق الكون، وهذه هي مرحلة التكوين من العدم.
- التحول الكوني الثاني: وهو مرحلة بدء الحياة على المستوى الكوني، وهي مرحلة تجسُّد الآلهة تمهيداً للتحول الثالث.

* – العماء (Chaos)، هي المادة التي تكونت منها الموجودات، وهو شيءٌ غامض غير محدد ولا مُعين، تختلط فيه جميع الأشياء وقد نشأ منه جميع الأشياء، أنظر، طه باقر: ديانة البابليين والآشوريين، مجلة سومر، مجلة علمية تبحث في آثار العراق القديمة، المجلد الثاني، ج ١، كانون الثاني ١٩٤٦م، مطبعة التفيض الأهلية – العراق بغداد).

- التحول الكوني الثالث: وهو مرحلة بدء الحياة على مستوى الأرض، حين بدأت خلجاتها الأولى مع خلق الإنسان وسائر الكائنات الحية، وهنا تكون مرحلة تضافر القوى الإلهية والكدح الإنساني لضمان استمرار الحياة وديمومة الخصب والتوالد[٢].

ويبدو أن السومريين اعتقدوا، وفقاً لِما تقوله عقيدتهم الدينية، التي بقي قائماً بعضها في نصوصٍ مُفصَّلة منذ بداية العصر البابلي القديم نحو ١٩٠٠ ق.م، **أن لكل موجود كوني أو ثقافي قواعده وقوانينه الخاصة، التي تجعله يستمر في الوجود إلى الأبد، وفقاً للخطة التي وضعها الإله، الذي خلقه، وهي تُسمّى[٣] الـ (مِهْ – ME) باللهجة السومرية.**

وهي قوانين (نواميس) حددت الكثير من المفاهيم الحضارية، أو – ربما – المُؤسِّسة للحضارة – وقد كانت كذلك – وهي ألواحٌ، خُطَّت عليها أقدار ومستقبل سكان هذه البلاد، إضافة إلى تنظيم الكون

---

[٢] – نائل حنون: الحياة والموت في حضارة بلاد الرافدين القديمة – بحث في المعتقدات الدينية والأساطير القديمة، دار الخريف للنشر والتوزيع، ط ١، دمشق، ٢٠٠٥م، ص ١٥.

[٣] – جفري بارندر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ت، إمام عبد الفتاح إمام، سلسلة عالم المعرفة، العدد، ١٧٣، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، ١٩٩٣م، ص ١٢، ١٣.

المحيط بهم، والمدن والبلاد التي يعيشون فيها، وحتى البلاد المجاورة لهم.

هي ألواحٌ، أعطت لمالِكها قوةً وقدرةً فائقة، للسيطرة على كل شيء، وقد كانت بيد الآلهة الكِبار، يخضعونَ، ونخضع نحن – أيضاً – لها، فهي تُنظِّمُ حياتنا وحياتهم، وقد خطَّتها آلهة كِبار، واحتفظت بها لأهميتها.

وهي من تحدد مصير شعبٍ بأكمله، شعبٌ اعتقد بأنه محور ومركز الكون والعالم، إذن، هي من حددت مصير العالم، فالرب الذي كانت هذه الألواح بحوزته، يُصبح كُلّيَّ القدرة، وقد أسموها بـ (دوب شيماني) [٤].

إذن، نحن نتحدث عن ثلاثة مفاهيم (أقانيم)، يربط بينها فكر ومُعتقد من آمن بها، وذلك وفق المراحل التي مرَّت بها عبر مئات من السنين، ازدهرت خلالها العديد من الحضارات، ثم دالت، فكان من الطبيعي أن تتغير – طبيعتها – وفق مقتضيات المرحلة الزمنية، وتَغيُّر الأفكار، عبر سيرورة وصيرورة التاريخ الزمني والفكري.

---

[٤] – ماكس . س . شابيرو، رودا . أ . هندريكس: معجم الأساطير، ت. حنا عبود، دار الكندي للترجمة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٨٩م، ص٢٣٥.

إذن، هي ثلاثة مفاهيم، أو أقانيم، أو – ربما – معتقدات ... إلخ، ذكُرت، وسُمَّيت بـ:

١. الـ (مِهْ) أو الـ (مي – ME) أو نواميس أو قوانين الطبيعة وكل شيء.
٢. ألواح القدر (الأقدار) **Tablets of Fates** التي تحدد الأقدار.
٣. مفهوم الـ المصير (شيمتو) والموت والقضاء والقدر.

فهي من تتحدث عن العالم المرئي، وغير المرئي، ما فوق الأرض، وما تحت الأرض (العالم السفلي)، وعن ما في السَّماء، وما فوق السَّماء. إذن، فقد عالجت قضايا ومفاهيم نُطْلِقُ عليها في عصرنا الحالي مصطلحات: الميتافيزيقا، الاسكاتولوجيا، الأنطولوجيا، الكوسمولوجيا، الأكسولوجيا♣. ولا أدل على أهمية هذه المفاهيم، إلا وجود أكثر من ٤٢ موقعاً دينياً ارتبطت أسماؤها بهذه المفاهيم وخاصة الـ مي؟.

♣ – الميتافزيقا: علم ما وراء الطبيعة ... الاسكاتولوجيا: علم الآخرويات، أو علم آخر الزمن، وهي جزء من اللاهوت والفلسفة، يهتم بما يُعتقد أنه الأحداث الأخيرة قبل نهاية العالم... الأنطولوجيا: علم الوجود، الكوسمولوجيا: علم الكون، الإكسولوجيا: علم القِيَم.

فما هي هذه المفاهيم ؟، وكيف نشأت ؟ وماذا احتوت؟، وما علاقتها بالإنسان والآلهة، هذا ما سنحاول الإجابة عليه – إن استطعنا – في هذا الكتاب!.



البحث الأول

مجتمع بلاد الرافدين

من الطبيعي، عند الحديث عن قضايا تتعلق بمفاهيم أسطورية وعقائد دينية (لاهوتية) وفكرية واجتماعية، ذات دلالات حضارية، على هذه الدرجة من الأهمية، أن نتعرَّف على هذا المجتمع، الذي نحن بصدد الحديث عنه.

فمجتمع بلاد الرافدين، هو مجتمع سكان هذه البلاد، في الألف الثالث والثاني والأول قبل الميلاد، أي في الفترة ما بين ٣٠٠٠ – ٥٠٠ ق.م، هذا المجتمع، الذي كان السّحرُ والدين والأسطورة شغله الشاغل، هو مجتمعُ البحث عن الحقيقة، ومحاولة كشف خفايا وأسرار وأغوار الطبيعة، ومعرفة سر الوجود، والإجابة عن الأسئلة الجوهرية، ما هو مصيرنا؟ وهل هناك عالمٌ آخر؟ ما هي ماهيته؟ وأين هو؟ ومن يتحكَّم به؟ ... وغيرها من هذه الأسئلة، التي أقضَّت مَضْجعَ الجميع، وجعلت مفكريهم وكهنتهم في حالِ تفكيرٍ مستمر، لكن ذلك، جعل منهم – أيضاً – المجتمع الأول في ذلك العصر، من حيث التقدم الحضاري، وجعل الدين في مقدمة اهتماماتهم.

أذن نحن نتحدث عن مجتمع ديني بامتياز، مجتمعٌ يُطيع آلهته طاعةً عمياء، نظراً، لنظرة سكان هذه البلاد إلى مركز الإنسان،

ومكانته في النظام الكوني، وعلاقته بالآلهة وسبب خلقه، الذي آمن – أي سكان بلاد الرافدين – أن الآلهة، هي من خلقتهم، كي يعبدوها [٥]، فكان الدين، شغلهم الشاغل، حتى ليَصُحَّ أن نُسَمّي حضارة العراق القديم – مثل غيرها من حضارات الشرق القديم – بأنها (حضارة دينية) فكان الإله، كالملك الحقيقي، الذي يحكم المدينة والبلاد، وما الحكَّام والملوك، إلا نوَّاب عنه، يمثلونه في هذه الأرض، ويحكمون باسمه وينفذون إرادته، وكان مَعْبدهُ أعظم بناء في المدينة، وعليه مَدار حياتها الدينية والمدنيّة، فكان نادي الناس الاجتماعي والديني، فيه يتوَّج الملوك وتُقام الحفلات ويتقاضى (من القضاء) الناس، وتُودع السجلات والعقود التجارية، وسجلات الآداب والتاريخ ورموز الآلهة ...إلخ، فكان مكتبةً عامة، ومسرحاً، ومدرسة يتعلم فيه الناس الكتابة، ويتلقون معارف العصر بواسطة كهنته، وكان إله المدينة أو المملكة، يُحارب مع جيوشها فينتصر بانتصارها، وينخذل بانخذالها وربما يؤسر، لكن، يا لِعارِ المملكة التي يؤسر إلهها[٦].

---

[٥] – طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة – القسم الحضاري، بغداد، ج١، ١٩٥٥م، ص ٢٤٠.

[٦] – طه باقر: ديانة البابليين والآشوريين، مقال في مجلة سومر، المجلد الثاني، الجزء الثاني، ١٩٤٦م، مجلة علمية تبحث في آثار العراق القديمة، مطبعة التفيض الأهلية، بغداد، ص ١.

ولا شيء أدل على تغلغل الدين في حياة الفرد في هذا المجتمع، من أنه كان لكل شخص في بلاد الرافدين، إله خاصٌ به، عدا عن تَعلُّقهِ الشديد بالآلهة الأخرى، وهذا الإله – الخاص – هو إلهه الشفيع الحامي، الذي تكون علاقته به كعلاقة الأبن بالأب، وكان الملوك والامراء، كلٌّ ينتسب إلى إله أو إلهة،.

ولا أدل – أيضاً – على عمق الدين في (قلوب) وعقول أفراد هذا المجتمع، من دخول أسماء الآلهة في أغلب أسماء العلم لهؤلاء السكان، والتي تشير معانيها، إلى تعلُّق الفرد بالآلهة، وعلاقته بها، فنجد أسماء مثل:

(اليما – أبي) أي: إلهي هو أبي ... (مانوم – كيما – إيلي) أي: من مثل إلهي ... (إيليشو – أبوشو) أي: إلهه أبوه ... (إليشو – ابنيشو) أي: إلهه خلقه ... (شار – إيليشو) أي: إلهه ملك ... (جميل – إيليشو) أي: هبة الله ... (مار – إيليشو) أي: ابن الله.

وكذلك في أسماء بعض الملوك، مثل:

(نرام – سين) أي: محبوب الإله سين (إله القمر) ... (جميل – سين) أي: هبة الإله سين ... (ضلي – أدد) أي: ضلي الإله أدد (إله الأمطار والصواعق) ... (أدد – نراري) أي: أدد مساعدي ... (نبو

كدوري – أوصر) (نبوخذ نصر) أي: الإله نبو (إله الكتابة) يحفظ الحدود[٧].

وقد كان سكان بلاد الرافدين – خاصة البابليون منهم – يؤمنون بوجود إله خاص بكل شخص، وهذا هو مصدر السَّعادة لديهم، فإن تملك إلهاً خاصاً، يعني أنَّك (موفَّق وسعيد) وإن هذا الإله الخاص بالشخص، كان يتمثل في البانثيون الإلهي (مجمع الآلهة)، وغالباً ما يكون إلهاً من المرتبة الثانية، كما يمكن أن يكون للملوك والحكَّام آلهة من بين الآلهة العِظام (الخمسين)، فقد كان مع الملك (جوديا)♣ إلهٌ خاص هو الإله نينجشزيدا، وقد ساعده في بناء المعبد، وكان مع الملك (أور – نمو)♠ إله يُدعى (شول – أوتولا).

وقد كان الإله الخاص، يقوم بالسهر على راحة الإنسان وصيانة حياته، وهو المسؤول عن منحه النسل والذريّة، والذي يُقرر مصيره، وفي هذا الصدد، نقرأ في أحد الأدعية:

- إلهي يا سيد، يا من منحني اسمي
- يا من يصون حياتي، ويرزقني بالنسل
- حدد لي **مصير** حياتي (أي قدري)

---

[٧] – طه باقر: ديانة البابليين والآشوريين، مرجع سابق، ص ٥، ٦.

♣ – الملك جوديا، ملك مملكة لجش السومرية ٢١٤٤ – ٢١٢٤ ق.م.

♠ – الملك أورنمو، مؤسس مملكة أور الثالثة ٢١١١ – ٢٠٩٤ ق.م.

- مُدَّ بأيامي، وامنحني الحياة.
- .....

كما كان بين إنسان بلاد الرافدين وإلهه الخاص، علاقة من نوع مميز، فهو لم يكن مجرَّد عبد للإله، بل كان (ابن الإله) أيضاً، وذلك بالمعنى المباشر للكلمة، فالإله الخاص، هو الذي يُساهم في جميع فعاليات الإنسان، ولا يمكن أن يتخلى عنه، أو يدعه وشأنه في اللحظات الحرجة، ومن المعروف – أيضاً – أن إله الأب هو – نفسه – إله الابن، أي نحن أمام فكرة وراثة الإله الشخصي، فقد كان الملك شولجي ملك مملكة أور الثالثة ٢٠٩٣ – ٢٠٤٦ ق. م يعتبر نفسه أخاً لجلجامش*، لأن إلهه الخاص به، هي الإلهة (ننسون) التي كانت – في نفس الوقت – إلهة جلجامش، وأمه[٨].

إذن نحن أمام مجتمع متدين، يُطيع الآلهة برغبةٍ، أو من دون رغبة، ففي مجتمع كهذا، تجد الدين في كل مكان، في الحياة الاجتماعية (الزواج، الطلاق، الأخلاق ... إلخ) وفي السياسة، فقد

* – جلجامش، هو الملك الخامس من سلالة أوروك الأولى، بحسب إثبات الملوك السومرية.

[٨] – كلشكوف: الحياة الروحية في بابل – الإنسان – المصير – الزمن، ت. عدنان عاكف حمودي، دار المدى للثقافة والنشر، دراسات (١٢)، سوريا، دمشق، ط ١، ١٩٩٥م، ص ٤٥، ٤٦.

كانت الآلهة هي الشّاهد الأهم في العلاقات والمعاهدات الدولية، وكلُّ من ينكث بها، تصبُّ عليه لعنة هذه الآلهة، وكذلك نشاهد الدين في العلاقات الاقتصادية والتجارية، فالآلهة شاهدٌ عليها وترعاها، ففي حجر الحدود (كودورو)[♣]، كانت الآلهة، هي من تشهد على ذلك، وتُعاقب من يخالفها. وقد كان المعبد، ومن ثم القصر لاحقاً، الكلُّ في خدمة الآلهة، ولا أدل على ذلك، من كثرة الأعياد الدينية، التي تمثل حالة الطّاعة العمياء للآلهة، فبينما كانت إقامة الاحتفالات الدينية والطقوس المعقدة من عمل الكهنة، كان من واجب كل إنسان أن يُرسل التقدمات إلى المعبد، ويحضر الاحتفالات الدينية، ويهتم بشؤون الموتى، وأن يصلي ويستغفر، وأن يعيش وُفق المُحللات والمُحرمات المُتَّبعة في كل حياته، وإلا سقط في الخطيئة، فمن أراد أن ينال رضى الآلهة، عليه أن يعيش حياة الصالحين، وأن يكون صادقاً، رحيماً، مُحبَّاً، عادلاً [٩]، ومؤمناً بالقدر، وما خُطَّ في ألواحه، فما هي ألواح القدر هذه؟.

♣ - أي حجر (الطابو) وهو الحجر الذي يُحدد ملكية ومساحة وحدود الأراضي.

٩ – وديع بشور: الميثولوجيا السورية – أساطير آرام، مؤسسة فكر للأبحاث والنشر، بيروت، ص ٤١.

البحث الثاني

أبرز العقائد الدينية عند سكان بلاد الرافدين

في الحديث السَّابق عن مجتمع بلاد الرافدين، تبيَّن لنا، أننا أمام مجتمع ديني بامتياز، مجتمعٌ تمورُ فيه قضايا الفكر الديني واللاهوت، وعالم ما وراء الطبيعة، بكل ما تحمل هذه المفردة، من معانٍ كبيرة، وما ينتجُ عنها من عقائد متنوعة، وطقوس وعادات وقِيَمٍ أخلاقية وسلوكية، تنهد – فيما تنهد إليه – إلى جعلِ القِيَم الروحية – في هذا المجتمع – تسمو إلى مكانة سامية، وتجعل من عالم الروح، وما تسمو إليها – هذه الروح في العالم الأسفل – فيما لو أرضت الآلهة، وقبلت بما كُتِبَ لها، أو تهبط عاريةً من كلِّ حامٍ لها، إلى ذات العالم، عالم اللاعودة!، حيث لا يُعرَفُ مصير تلك الروح البائسة، هو الشغل الشاغل، لسكان هذه البلاد. لكن السبيل للصعود في سُلَّمِ النجاة، يبدو واضحاً جلياً، فما على المرء سوى الالتزام بالطقوس الدينية، وإرضاء الإله الشخصي الحامي والشفيع أمام الآلهة العِظام.

إذن، نحن أمام نظامٍ ديني، تؤطِّره أسس وعقائد واضحة، ومدوَّنة، سُجِّلت ودُبِّجت على العديد من الرُّقم الطينية، التي بواسطتها، تمَّ الكشف والتّعرُّف عليها، فما هي هذه العقائد الدينية عند سكان بلاد الرافدين.

ولأننا – في الحقيقة – لا نبحث في صلب هذه العقائد، سوف نكتفي بتقديم أبرزها، خاصةً، تلك المرتبطة ببحثنا عن ألواح القدر ومفهوم (المي)، والتي تُسهِّلُ فهم الموضوع. ومن هذه العقائد المُهمَّة لدى سكان بلاد الرافدين، والتي حازت على كثيرٍ من اهتماماتهم♣ نجد معتقدات:

أولاً: الموت وعالم ما بعد الموت.

لم يشك سكان هذه البلاد عامةً، والبابليون خاصةً، في يومٍ من الأيام، في حتمية الموت وفرضه على البشر وجميع الأحياء، وكان الإله الموكل بالموت في نظرهم – موجوداً قبل خلق الإنسان، وكان الموت عندهم من طبيعة الإنسان وتركيبته، أي أنه خُلق ومعه حسابه وموته!؟، وهو قانون طبيعي (مصير) قدرته الآلهة عندما خلقت البشر.

ولكن البابليين – بالتحديد – لم يتصوروا أن الموت غاية تنتهي عندها الحياة وتنعدم انعداماً كليّاً، أي أنهم لم يعتقدوا بالفناء الكامل، وإنما الموت عندهم، هو انقسام الكائن الحي إلى جزئين، وانفصال أحدهما عن الآخر، وهما الجسد والروح، فالموت باختصار، يفصل الروح عن الجسد، وتنتقل الروح بعدها إلى طورٍ جديد من الوجود، إذ

♣ – هناك الكثير من الكتب التي عالجت هذا الموضوع، فيمكن الرجوع إليها، خاصة في قائمة المراجع آخر الكتاب.

تنحدر بعد وضع الجسد في القبر إلى عالم الأرواح، وهو العالم السفلي، وتعيش هناك إلى أبد الآبدين، حيث لا قيامة ولا رجعة عندهم، وهذا ما سنأتي على تفصيله لاحقاً.

ثانياً: الخليقة وأصل الوجود.

وهو ما عبَّر عنه البابليون من خلال أسطورة (قصة) الخلق البابلية، التي تتحدث عن المياه الأولى، التي كانت المادة الأولى، التي وُلدت منها جميع الأشياء، وهو ما سنتعرَّف عليه لاحقاً.

ثالثاً: السلوك والأخلاق والحياة الصالحة.

وهو نابع عن فكرة تأثير الدين في أخلاق الأفراد وسلوكهم، وذلك من خلال الاعتقاد بوجود دار للعقاب ودار للثواب، سواء أكانا في هذا العالم، أم في عالم آخر، فيما بعد الموت، أو في كليهما، حيث يُحاسب الإنسان على أعماله، لذلك وضعت العقائد الدينية، القواعد، لتحديد أعمال الخير وأعمال الشر، ليَسير بموجبها البشر في هذه الحياة [١٠]، وعليهما يُحاسب.

وتبدو فكرة خلق الآلهة، وكيفية هذا الخلق، وأسبابه، وغايته، ومصيره، على درجةٍ كبيرةٍ من الأهمية، لِما له من ارتباطٍ وثيقٍ

---

[١٠] – طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات، مرجع سابق، ص ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٦، ٢٣٨.

بموضوع ألواح القدر، مما يجعلنا نُفرِد له مساحة لا بأس بها، من البحث والتمحيص.

فكرة خلق الآلهة في بلاد الرافدين

تُعتبر فكرة الخلق عامةً، وفكرة خلق الآلهة خاصةً، أحد أهم المحاور الفكرية، التي شغلت الفكر الرافدي القديم، خاصة الفكر الديني منه، فكان لا بد من معرفة الكيفية، التي تمَّ بها خلق هذه الآلهة، وكيف تمَّت عملية النشوء الأول للكون والطبيعة ...إلخ.

يعتقد السومريون والبابليون، أن أصل النشوء الأول كان من المياه الأولى*، وهذا ما كشفته النصوص السومرية الأولى بجلاء، وقد استنتج

* – في الواقع إن فكرة نشوء الموجودات من الماء، لا نجدها فقط في بلاد الرافدين، وإنما في أدبيات العديد من الحضارات، فقد اعتقد عدد من الفلاسفة الإغريق إن المياه هي السبب الأول في نشوء الكون، وكان طاليس المالطي (ت . ٥٤٦ ق.م) يرى أن المادة الأولية لجميع الموجودات هي الماء، ويُحتمل أن يكون متأثراً – هنا – بعقيدة نظام الكون عند البابليين... وكان هوميروس قد أكَّد أن الأوقيانوس (المياه الأزلية) هي مصدر الآلهة والبشر، وكان الفيلسوف انكسمندر يقول: وُلدت المخلوقات الحيّة من العنصر الرطب... ويعتقد التاويون في الصين، إن الماء هو الذي يُشكل الموجودات، فالماء في الفكر التاوي، هو دم ونفس الأرض، يجري في جسدها، كما يجري الدم في العروق... ويُشير كتاب الأوبينشاد الهندي، إلى البدايات الأولى للخلق، وهي عنده الماء... وفي الأساطير المصرية، نعرف إن نون (نو) هو الهيولى الأولى أو المحيط البدائي... وفي الإنجيل نلحظ أفكاراً عن نشوء الكون من الماء... انظر كتاب: أسامة عدنان يحيى: الآلهة في

هؤلاء المفكرون، ما يُمكن تسميته بالبحر الأول[١١]، أو (العماء) هذا المصطلح الذي يصعب تحديد ماهيته، لكنها – أي العماء – عبارة عن كتلة هائلة من المياه البدائية يصعب تحديد ماهيتها، فهي العماء والسكون، والشمول والغموض، وهي العتق، الذي كان مُقدراً أن يزول، وإن بعد لأي، وهي كتلة أزلية الوجود، لم تسبقها حالة تمخَّضت عنها، ولكنها تواجه حتمية الاستنفاذ، وقد كانت مياهها ممتزجة، فهي ليست مُجسدة بقوة واحدة[١٢]. وأن هناك من الدلائل ما يُشير إلى أنهم رأوا في ذلك البحر الأول – العماء♠ – أنه السبب الأول، والمحرك الأول للوجود، ففي هذا البحر تولَّد الكون، ففي لوحٍ يعود إلى الآلهة السومرية، نقرأ اسم الإلهة السومرية نامو Nammu أو Namma التي يُكتب اسمها بالعلامة الصُّوريّة التي تُعبِّرُ عن البحر الأول، نقرأ:

رؤية الإنسان العراقي القديم – دراسة في الأساطير، آشور بانيبال للكتاب، العراق، بغداد، ط ١، ٢٠١٥م. حاشية الصفحات ٢٣، ٢٤.

[١١] – أسامة عدنان يحيى: الآلهة في رؤية الإنسان العراقي القديم – دراسة في الأساطير، آشور بانيبال للكتاب، العراق، بغداد، ط ١، ٢٠١٥م، ص ٢٣.

[١٢] – نائل حنون: الحياة والموت في حضارة بلاد الرافدين القديمة – بحث في المعتقدات الدينية والأساطير القديمة، دار الخريف للنشر والتوزيع، ط ١، دمشق، ٢٠٠٥م، ص ١٧، ١٨.

♠ – ويبدو أن تركيب هذا العماء، كان من ثلاثة طواغيت يلفها آلهة عتيقة، هم: ١ – آبسو: كتلة المياه العذبة. ٢ – تيامة: كتلة المياه المالحة. ٣ – ممو: السديم الذي يلفها (وهو عنصر مذكر)

- عندما في العُلى لم تكن هناك سماء
- وفي الأسفل لم يكن هناك أرض
- وأبسو* الأولي الذي منه سيولَّد الآلهة
- الوالدة، تيامة التي ستلدهم جميعاً
- كانا يمزجان مياههما معاً
- ....
- وإذا لم يكن قد ظهر أحد من الآلهة
- ولم يكن قد حظي أحد **بمصير**
- ......

ويرى بعض الدارسين أن هذا النص يُفسر الثالوث المقدس:

١. أبسو (الغمر العظيم، مجتمع المياه العذبة).
٢. تيامة (الغمر العظيم، مجتمع المياه المالحة).
٣. ممو (الضَّباب).

ويبدو أن المشاكل الميثولوجية، التي تقدمها هذه المُقدمة، هي الفكرة المركزية عن مبدأ النشوء الأول، وهي مبدأ الموجِد، والتي هي المياه الأولى، وإن البحر الأول، الذي لا نعرف أي شيء عن أصله أو مولده، ربما قد تصوَّر العراقيون القدماء على أنه وُجِدَ منذ الأزل.

* – لُجَّةُ المياه العذبة.

لكن ماذا عن توالد الآلهة؟، وماذا عن تسلسل المادة الإلهية؟، أي ما هي المادة التي خرجت منها كل هذه الأعداد الكبيرة من الآلهة؟، وكيف تمَّ ذلك؟.

لقد ناقشت الأساطير السومرية فكرة تسلسل المادة الإلهية، إذ اعتقد السومريون، أنَّه، من مياه البحر الأزلية، وُلِدَ جبلٌ كوني يُمثل السّماء والأرض مُتحدين في السومرية (AN – آن) السَّماء، وعُدَّ عنصراً مذكراً، و (KI – كي) الأرض، وعُدَّت عنصراً مؤنثاً، ونتيجة لاتحاد (AN) و (KI) وُلِد إله الهواء إنليل Enlil، وإلهة الهواء نينليل Ninlil، ولما وَجد الإله إنليل نفسه في ظلامٍ تزوج نينليل فولدت له (نانا Nanna) إله القمر(سين) والإلهة (نينكال Ningal) وباتحادهما وُلِد إله الشمس أوتو (شمش).

ويبدو، أن الغالب على فكر واعتقادات سكان بلاد الرافدين، هو: الاعتقاد بوجود كتلة مائية أولى (البحر الأول)، التي كانت الأساس في عملية الخلق، وأن هذه الكتلة المائية الأولى، هي التي كانت تُمثل أولى المراحل، التي كان عليها نشوء الكون، وكانت هذه المرحلة تتسم بالفوضى الشاملة والمُبهمة، وأبعد ما تكون مُشَخَّصةً بشكلٍ واضح، وإن التعبير الذي ذكرته ملحمة الخلق البابلية ((يمزجان مياههما معاً)) يدلُّ على الطريقة الاعتيادية لطبيعة الاتحاد بين العنصرين المائيين، المياه المالحة والحلوة، وهما العنصران الأساسيان في تكوين هذه الكتلة المائية

الأولى، وكان هذا المزج دلالة على الاتحاد بين العنصرين المائيين، وإن هذا الامتزاج هو الأساس في عملية ولادة الآلهة[١٣].

وقد اعتبر البابليون، أن هذين العنصرين، ما هما إلا إلاهاً وإلهة، وهما آبسو وتيامة، ومن هذين الإلهين الأبوين، وُلدت جميع الآلهة، وقد قصَّ الإله مردوخ – فيما بعد – جسد الإلهة تيامة إلى نصفين (حسب التصورات البابلية لعملية الخلق)، وكوَّن من النصف الأول، السّماء، ومن النصف الثاني، الأرض، ثم خلق الكواكب والنجوم، كما خلق بالاشتراك مع أبيه (أنكي – أيا) الإنسان من دم أحد الآلهة (كنجو)[١٤].

كما يرى البابليون أن امتزاج المياه الأولى – كما تقول الأسطورة – أدى إلى أنّ: ((إذ ذاك من أحشائهما خُلقت الآلهة)) وكان الجيل الأول من الآلهة التي ظهرت، هما: الإله لخمو (العنصر المذكر) والإله لخامو (العنصر المؤنث) وهما أول من **حظيا باسم**، ويَعتقد بعض الباحثين أن امتزاج المياه العذبة بالمياه المالحة، أدى إلى ولادة ممو (الضَّباب)، وكذلك لخمو ولخامو، وهما يمثلان الطمي، الذي يتراكم في مجاري المياه، (مياه الأنهار عند التقائها بالبحر) وبعد ذلك، ومن تزاوج لخمو ولخامو يأتي الجيل التالي من الآلهة، وهما إنشار وكيشار، وهما من أوجه الأفق.

---

[١٣] – أسامة عدنان يحيى: مرجع سابق، ص ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٧، ٣٦.

[١٤] – طه باقر: مقدمة في تاريخ، مرجع سابق، ص ٢٣٦.

وهنا نلاحظ أن (شار) تُمَثَلُ في الكتابة المسمارية بعلامة دائرة في الأصل، وهي تعني الكُليَّة – الكل، بما في ذلك السّماء والأرض والعالم الأسفل♣، كما أن كلمة (آن – شار) هي الكُليَّة العليا أو السَّماوية، و(كي – شار) هي الكُليَّة السفلية، أو الأرضية، وقد اتحدا فَوُلِدت الآلهة الأولى [١٥]، وعلى رأسها الإله (آن – آنو) إله السّماء وسيد الآلهة ورب الأرباب في الألف الثالث قبل الميلاد، وهو إلهٌ مذكر، وقد تمَّ زواجه من الأرض (كي) الأنثى، فولدا الآلهة: إنليل، أشكور (أدد)، ننا (سين).

وبهذا، نرى وجود أكثر من جيل من الآلهة، حسب تسلسل الوجود، هي:

١. الجيل الأول: الإله آبسو (العنصر المذكر) والإلهة تيامة (العنصر المؤنث)، ويمكن إضافة الإله ممو (السديم – الضباب) وهو (عنصر مذكر).
٢. الجيل الثاني: لخمو (العنصر المذكر) ولخامو (العنصر المؤنث)، وهما أول من حظيا باسم.

♣ – إن المصطلح الأكادي المعرف: ((إيلي شَميي وأَرصيةِ آلهة السّماء والعالم السفلي)) لا يعني آلهة السّماء والأرض، إذ أن كلمة أرصية الأكادية، تعني العالم السفلي (أو باطن الأرض) وليس الأرض.

[١٥] – أسامة عدنان يحيى: مرجع سابق، ص ٣٧، ٣٨، ٣٩.

٣. الجيل الثالث: أنشار وكيشار، اللذان كانا أكثر تطوراً من سابقيهما، وتمكَّنا من إنجاب الجيل الرابع.
٤. الجيل الرابع: الإله آنو (آن)، الذي أُعتبر رئيساً لمجمع الآلهة في معتقدات بلاد الرافدين القديمة[١٦].

لذلك يمكننا القول: بأن السومريين والبابليين، سبقوا فلاسفة الإغريق بقولهم بمبدأ العناصر الأربعة الأولية (الماء والهواء والتراب والنار) التي أُعتبرت أصل جميع الأشياء، وهذا ما سنراه من خلال القصص والأساطير السومرية.

ويمكن إيجاز عملية خلق الآلهة والحياة حسب التصور الرافدي، بما يلي:

١. في البدء، كان عنصر الماء، الذي كان أزلياً في الوقت نفسه.
٢. تولد من عنصر الماء عنصران آخران، هما، الأرض (كي) والسَّماء (آن – آنو) مُتحدتين، وكانت الأرض والسَّماء إلهين كذلك.

[١٦] – نائل حنون: حينما في العلى قصة الخليقة البابلية – الترجمة الكاملة للنص المسماري للأسطورة، دار الزمان، دمشق، سوريا، ط ١، ٢٠٠٦م، ص ٢١.

٣. تولدت من السّماء والأرض المُتحدتين عنصر غازي، هو الهواء المُتمدد، الذي فَصَلَ بتمدده السّماء عن الأرض، وهو الإله إنليل إله الهواء.
٤. تولَّد من الهواء القمر، ومن القمر وُلدت الشمس، واُعتبر كلاً من القمر والشمس إلهين، هما سين (ننا) وشمش (أوتو).
٥. وبعد انفصال الأرض عن السَّماء، نشأت أنواع الحياة الأخرى، من نبات وحيوان وإنسان على الأرض، فقد تصوروا أن أصل الحياة والأشياء – هما – من اتحاد (الهواء والتراب والأرض والماء)، بمساعدة الشمس، وهذه هي نظرية العناصر الأربعة♣ (المعروفة) [١٧].

لكن هذه الآلهة المذكورة، لم تكن هي الآلهة الوحيدة المعبودة في بلاد الرافدين، بل كان هناك مجمعٌ كبيرٌ من الآلهة، يمكن تقسيمها إلى: آلهة كِبار، ومنهم آن (آنو)، وإنليل، وأنكي (أيا)♠، وسين (ننا)،

♣ – يبدو في معتقدات بلاد الرافدين القديم، أن كل إله كان موجوداً قبل خلق الجزء الذي يُجسده من الكون، فآنو الإله السماء، خلق السماء، و (أيا – أنكي) إله مياه العمق (آبسو) هو الذي خلق وأوجد تلك المياه، فإن الرمز الغيبي للأشياء وُجِد أولاً، ثم قام بتجسيد ما رمز إليه، فَخَلَقَ الجزء الذي كان مسؤولاً عنه.

[١٧] – طه باقر: مقدمة في تاريخ، مرجع سابق، ص ٢٣٨.

♠ – يبدو أن الإله أيا (أنكي) هو الذي قيَّد الآبسو وقتله (ذبحاً) وأسر ممو وهشَّم رأسه، حيث تلاشى تماماً كما يتلاشى السديم، ثم قام بتغيير جسد آبسو وتحويله

وإنانا (عشتار)، ننخورساك، وأدد (أشكور)، إيريشكيجال ... والآلهة العِظام، وعددهم خمسون، ثم تأتي آلهة الصف الثاني الأقل مرتبة، وهم – عادةً – آلهة مغمورون، وهم موكَّلون ببعض المهام البسيطة، كما إنهم بمثابة آلهة شخصية للبشر، حيث لكل شخص إلهه الخاص. وهنا سنورد ترجمةً عن أهم هؤلاء الآلهة، بما يخدم البحث.

إلى المياه العذبة الموجودة تحت الأرض، ومن هنا عُرفت مياه العمق العذبة باسم آبسو، ولكنها لم تعد مجسدة بإله، ثم قام أيا بتشييد مقامه (مسكنه) فوق جسد آبسو، بعد قتله، وتحول – أي أيا – إلى مياه العمق العذبة، فضلاً عن اعتباره إله الحكمة، تقول الاسطورة:

– (أيا) قيَّد آبسو وذبحه

– أسر ممو وهشَّم جمجمته

– وعلى آبسو أقام مسكنه ... ينظر في هذا الصدد، كتاب، نائل حنون: الحياة والموت، مرجع سابق، ص ١٩، ٢٠.

أبرز آلهة بلاد الرافدين

الإلهان أنشار Ansar وكيشار Kisar

وهما والدا الإله آنو (آن) إله السماء، وقد ورد ذكرهما في قائمة الآلهة المُسماة (An – Anum)، كما ورد في ملحمة الخليقة البابلية في اللوح الخاص بهما، بذكر السماوات، حيث نقرأ:

- لم يكن هناك سوى آبسو محيط الماء العذب ...
- وتيامة محيط المياه المالح ...

ومن اتحادهما ظهر للوجود الإلهان الأولان لخم (المذكر) ولخامو (المؤنث) ... وهما الراسب الغريني، الذي يتكون من اتصال البحر بالنهر، حسب تعريف توركليد ياكبسون، وهذان الإلهان هما اللذان منحا الحياة للإلهين أنشار وكيشار، وقد عرَّفهما ياكبسون، بأنهما الأفق الدائري (الفضاء) بين الأرض والسماء... وقد منح كل من الإلهين أنشار وكيشار الحياة إلى الإله آنو (آن) إله السماء، الذي اعتبر زوجاً للأرض المؤنثة، التي أطلق عليها السومريون اسم URAS، وفيما بعد

اسم Ki، وبالأكادية اسم Antu، وباتحاده – أي آنو (آن) – مع الأرض (كي) منحا الحياة للآلهة: إنليل، إنانا، أشكور (أدد) [١٨].

الإله آنو (Anu)

وبالسومرية (آن) سيد السماء، وهو الأول من الثالوث المقدس الأول، الذي يضم (آنو – إنليل – أيا) ورقمه السري المقدس ٦٠، وهو أعلى رقم بين جميع الآلهة، فهو الرقم الكامل، ومعنى تسمية آنو: اللمعان والشروق في بعض النصوص.

ويأتي الإله آنو على رأس الآلهة، وقد نُعت بأبي الآلهة – حيناً – وملك الآلهة، أحياناً، ويبدو أن تاريخه الأولي غامض، إذ لم يرد اسمه في الإثباتات الثمانية عشر من العصر السومري القديم، وقد بدأ تعاظمه منذ زمن الملك جوديا ملك مملكة لجش ٢١٤٤ – ٢١٢٤ ق.م.

للإله آنو العديد من المعابد، في مدن: أوروك، أور، نفر (نيبور)، لجش، سبار، ودير، التي سميت مدينة آنو، وكان حيوانه الرئيسي الثور السّماوي. وكان يقف على باب مسكنه السماوي الإلهان تموز

---

[١٨] – فاتن موفق فاضل الشاكر: رموز أهم الآلهة في العراق القديم – دراسة تاريخية دلالية، رسالة ماجستير، ص ١٠.

ونينجشزيدا*، ومعبد آنو الرئيس في مدينة أوروك يُدعى (الاي أننا) أو الإيانا، ومعناه معبد السماء. وتحت زعامة آنو خُلِقَ الكون بعد السَّماء. وقد أخذ الإله إنليل – مكانه – في زعامة المجمع الإلهي نحو ٢٥٠٠ ق.م، وصار شخصية شبه غامضة، فقد انتزع إنليل أغلب سلطاته. ومن رموز الإله آنو المعروفة: التاج المقرن الموضوع على العرش (وهو رمز إنليل أيضاً) وكذلك النجم الفهد، وحزمة القصب المعقوفة بدون شريط متدلي.

الإله إنليل

هو ابن الإله آنو، وهو الثاني في الثالوث المقدس الأول، ويأتي بعده في المرتبة والمنزلة، ورقمه السَّري المقدس ٥٠، وهو الإله الخاص بالهواء والجو والظواهر المُتعلقة بهما، وقد استقر في السَّماء، وكان له دورٌ كبير في حفظ ألواح القدر، فقد كانت عنده قبل سرقتها. وكان يُطلق عليه أحياناً اسم إله العاصفة وملك الآلهة، وسيد الريح، كما لُقِب بجبل الريح، وبيل، والسيد، وفيما بعد، بسيد الأرض، وكانت مدينة نفر (نيبور) مركز عبادته، حيث معبده – هناك – يدعى (الاي كور) الإيكور، ومعناه، البيت الجبل، لذلك أصبحت نفر المدينة الأكثر قداسة في العراق القديم.

---

* – إله الشِّفاء والطب، سيد الخشب، المخلّص، سيد الشجرة الطبية، ومن أشهر رموزه الأفعى.

ويُنسب لإنليل مراقبة سير القانون، فهو الذي يُعاقب المذنبين، ويمسكهم بشبكته، وإنليل حسب بعض التراتيل، هو الإله الذي لا تتبدل أحكامه، فهو صانع **القدر**، الذي يُحسن أوامر القوى والزعامة والملكية، الذي تسجد له آلهة الأرض خوفاً، وتتواضع أمامه آلهة السَّماء. ومن رموزه: النجم مارجيدا (العربة، وهو الدب الكبير) والقبعة ذات القرون.

الإله أيا

ويدعى بالسومرية (أنكي)، وهو الثالث في الثالوث المقدس الأول، بعد آنو وإنليل، وهؤلاء الآلهة الثلاثة (آنو، إنليل، أيا) هي من اقتسموا العالم، ومعنى اسم أنكي (سيد الأرض)، ورقمه السري المقدس ٤٠، فهو خالق العالم، وسيد **الأقدار**، وهو الإله الذي بحوزته القوة الإلهية التي تدعى (مِهْ – ME) التي سنتعرف عليها لاحقاً، لذلك كانت الآلهة تلجأ إليه في الظروف الصعبة.

ويمثل الإله أيا، المياه الأولى، وهو إله الحكمة والمعرفة (رب الحكمة وسيدها) كما يُعتبر إله الماء والطقوس المرتبطة به من مسح وفأل، وقد لُقِب بالأب وملك الآلهة، ومعبده في مدينة إريدو♣ على

♣ – مدينة إريدو، أبو شهرين حالياً، على بعد نحو ٢٠ كم إلى الجنوب من موقع أور القديمة في محافظة الناصرية جنوب العراق، وهي أقدم مدينة في جنوب العراق، إذ يعود استيطانها إلى أقدم أطوار دور العبيد، فقد ذكرتها الأسطورة بأنها =

ساحل الخليج العربي، يُدعى (الاي ابزا) ومعناه السطوح المائية الجوفية منها والظاهرة، وزوجته – هي – الإلهة مكينا (زوج الأرض والسَّماء، وهي ماخ بالسومرية). ويعيش أيا في آبسو (وسط الماء العذب) وهو سيد التعاويذ.

والمعروف عن أيا، هو حبه للبشر، فهو من نصح آدابا، وأخبر أوتنابيشتم بالطوفان، ونصحه ببناء الفلك، وهو الذي علَّم الإنسان عناصر الحضارة كافة، من كتابةٍ وبناء وزراعة، ومن اسمائه، نوديمود (الخالق)، ورب حزمة القصب، وذلك على اعتباره رب للحكمة، فقد صُوِّر بإذن كبيرة مفتوحة.

ومن رموز الإله أيا: رأس خروف أو (المعزى – السَّمكة) وكذلك رأس الكبش على عمود موضوع على عرش مستطيل وتحته الجدي، وكذلك السلحفاة، إلا أن أهم رموزه، هو، الماء المُتدفق من كتفي الإله، أو من بين يديه (الإناء الفوَّار).

الإله سين

وهو بالسومرية (ننا – موشكي) أو ننار، الإله القمر، وهو الإله الأول في الثالوث المقدس الثاني، المؤلف من (سين – شمش –

قامت وسط مياه البحر الأول، وهي مقترنة مع مياه العمق (آبسو) فإله هذه المياه والمدينة هو أيا (أنكي).

عشتار)، وقد ورد اسمه في الكتابات السومرية باسم ^{d}EN.ZU ويقابله في الأكادية su en، كما كُتب اسمه بصيغة ننار Nannar بالعلامات المسمارية ses^{ki}، وربما لارتباطه بمدينة أور ses – ab^{ki}. ورقمه السري المقدس ٣٠.

والإله سين هو، إله الكلمة والتقويم والعدل (ويشترك مع الإله شمش في شؤون العدالة) والخضرة والسلطة، وحيوانه المُفضَّل والمقدس، الثور المُجنَّح، وقد اشتهر بالحكمة. ومعابده الرئيسية هي: (الاي كيشر كال) في مدينة أور و(الاي خول خول) في حران، وكذلك معبد القمر في تيماء بالجزيرة العربية. وزوجته هي نيكال أو نينخال (السيدة الكبرى) وولداه شمش وعشتار. ومن رموزه: الهلال، أو هلال مع صورة بشرية، وكذلك القرص الدائري، والهلال على عمود.

الإله شمش

هو بالسومرية (أوتو) إله الشمس، وهو الإله الثاني في الثالوث المقدس الثاني، وهو إله الضوء والنهار واليوم والحق والعدالة، ومُحيي الموتى، ومُعاقب المذنبين والعرَّافين، كما أن له علاقة مباشرة بالعدالة والقضاء عند الآلهة. ورقمه السري المقدس ٢٠، وهو يلي الإله القمر في المنزلة، وأهم معابده موجودة في مدن: لارسا وسبار، وكان له معبد في آشور. وأولاده هما، ميشاري (القانون) وكنتو (الحق)، وله ستة قُضاة، سمُّوهم موظفي (الاي ببار) وهو اسم معبده في مدينتي سبار

ولارسا، ومن أهم رموزه، المنشار (السيف المسنن) وقرص الشمس، والقرص فوق سارية، واللهيب المُنبعث من أكتاف الإله شمش، والقرص المجنَّح.

الإلهة عشتار

وهي بالسومرية انانّا، من صيغة (nin – an – na) ومعنى كلمة عشتار: النجمة الأكثر ضياءً أو الأكثر لمعاناً بين النجوم (الزهرة) واسمها الفلكي دلبان، كما سُمَّيت بعشتار (أكاديتو) بصفتها نجمة الصباح، أو عشتار الوركاء (أوركيتو) بصفتها نجمة المساء أيضاً. ومعنى كلمة انانّا سيدة السَّماء، وهي ثالث الثالوث المقدس الثاني، ورقمها السري المقدس ١٥، وهي ابنة، أو أخت الإله سين.

وعشتار، هي إلهة الحب والجمال والجنس والحرب، وحسب اعتقاد العراقيين القدماء، إن الإلهة عشتار (انانّا) كانت تعيش في بيت عناقيد التمور، لذا، عُرِفَ اسمها بسيدة التمور. وكان لها معابد في مدن: كيش، بابل، أربيل، نينوى، آشور، لكن مركز عبادتها الرئيس، كان في مدينة أوروك.

ومن رموزها: النجمة ذات الثمانية أو الستة عشر ضلعاً ضمن دائرة، وحزمة القصب (العمود) ذو النهاية المعقوفة بشكال حلقي يتدلى

منها شريط متموج، وكذلك الإناء النذري، وهي – أي عشتار – عادة ما تظهر عارية، أو تحمل أسلحتها كافة.

الإله مردوخ

وهو ابن الإله أيا، ومردوخ هو إله بابل العظيم، الذي انتشرت عبادته في زمن الملك حمورابي ١٧٩٢ – ١٧٥٠ ق.م واستمرت حتى النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد. ورد اسم مردوخ بالسومرية بصيغة AMAR – UTU ويقابلها بالأكادية marduk وربما كان اسمه (أمار أوتو) ويعني جاموس الشمس الصغير السن، أو ابن الشمس الحديث السن، كما عُرِفَ بتسمة Bel ومعناه السيد، ومردوخ، هو إله الخير والعمران، وسيد الآلهة، ومُنظِّم الكون **ومالك الأقدار**، وهو أول من امتلك أسماء خاصة به، هي أسماؤه الخمسون، وكان معبده (الاي زاكيلا) أو إيساكيلا بمعنى البيت الرفيع، وزوجته صاربا نيتدم (صربانيتم) (الوضاءة كالفضة) أو خالقة النطفة. ومن أهم رموزه: المجرفة، والتنين ذو القرون (مشروسو/ المشخوشو).

الإله أدد

وهو بالسومرية (إيشكور) ويرد بصيغة أم $I^{d}M$، كما ذُكر في بعض النصوص باسم (ادُو – او – ادّ ادو) وربما يُقرن اسم الإله أدد في اللغة العربية بكلمة hadad أو هدات haddad التي تعني الرعد،

ويُشير اسمه – أيضاً – إلى الريح، ورقمه السري المقدس ١٠، ومن أسمائه سيد الثروة، وزوجته الرَّبة شلش أو شارا أو شالا، وهي إلهة الجبال والثلوج.

ويُعدُّ أدد إله العاصفة والمطر والصواعق والرعد، وحتى الوحي، فهو العارف بالغيب. وقد انتشرت عبادته في شمال العراق أكثر من جنوبه، وكان مركز ديانته في مدينة قرقار Karkar ومعبده E – Karkar، (إي كاركار) وقد صُوِّر على رأسه قرون واقفاً على ثور، وبيده اليسرى رمزه سلاح الصاعقة، وأحياناً مع حيوان خرافي أو أثنين حاملاً سلاحه، وقد عرف باسم رمان (المرعد). ومن رموزه الرئيسة: السَّوط، حزمة البرق، الفأس.

الإله نبو

وقد ورد اسمه في النصوص السومرية بصيغة $P^{d}A$ الذي يُقابله في اللهجة الأكادية اسم Nabu الذي يعني اللّامع، أو المُنبئ، الذي يتنبأ **أقدار** البشر، وهو ابن الإله مردوخ البكر، وهو إله الكتابة والقلم، وكذلك إله المعرفة والحكمة، وسكرتير الآلهة في مجالسها المقدسة، ونابو، هو الذي يتولى **كتابة الأقدار**، فهو مُقرر لجنة الآلهة.

ويُعدُّ (الاي زيدا) (البيت المكين) معبده الرئيس، وله – أيضاً – معبد الإخلاص في بورسبا، وهو المزود بزقورةٍ أُطلق عليها اسم بيت

القادة السَّبعة للسَّماء والأرض، ومن زوجاته، تشميتوم (العبقرية) وكذلك الإلهة نانا والإلهة نيسابا (نيدابا) وهي ربة الحبوب ومشتقات الحليب، وإلهة الكلمة والكتابة. وقد اعتبره العراقيون القدماء الناسخ والخطاط الإلهي **للأقدار**، وهو النصير والحامي لفن الكتابة، كما وُصِف في النصوص المسمارية، على أنه مبتكر كتابة الكتبة (بانوشطر طَبشروت) وإنه الكاتب الذي لا نظير له (طبشر لاشنان) وكاتب الإلهة الحاذق بقصب (قلم) الرقيم (طبشر إلان صابت قَن طب) وبذلك عدَّه البابليون إله الكتابة والقلم، الذي هو أهم رمز له، إضافة إلى كوكب المريخ.

الإله نرجال أو نركال

ويرد اسمه بالسومرية بصيغة U.GUR ويقابلها بالأكادية بصيغة Nergal ويبدو أن اسم نركال (ne – ivi (unu) – gal) يعني حرفيّاً سلطة المدينة العظيمة (العالم الأسفل)، وهو، حسب ما جاء في أسطورة (إنليل وننليل) ابنهما، لذلك يمكن اعتباره أخّاً للآلهة: سين، وننازو♣ وانبيلولو♠. وهو – أي نرجال – من آلهة العالم السفلي، ورب المرض والمعارك الحربية، وهو زوج الإلهة إيريشكيجال♥ التي سُمَّيت

♣ – الإله ننازو، من آلهة العالم السفلي.

♠ – الإله انبيلولو، إله الري والحقول والزراعة، ومفتش القنوات.

♥ – الإلهة إيريشكيجال، إلهة وملكة العالم والأرض السفلية، وزوجة نرجال.

سيدة الأرض العظمى. ومن زوجاته الأخريات: ماميتوم، وماما (مامي)، ولاز (العاقر).

ونرجال في الأصل إله شمسي، لكنها الشمس المُحرِّقة (الشمس الضّارة) التي تأتي في الصيف، وكان له – ولزوجته إيريشكيجال – رسولٌ هو الإله نامتار، نذير الموت، الذي يمكنه إطلاق ٦٠ مرضاً على البشر، ومركز عبادته – أي نرجال – الرئيس في مدينة كوثى (تل ابراهيم) وكان معبده فيها يُسمّى (الاي مسلام) فقد عُرِفَ باسم ميسلام مترا (الذي قَدِمَ من مسلام)، كما أن له معبداً في نفر، ومعابد في شمال العراق وفي مدينة ماري، ونظراً لأهميته الكبيرة، فقد كان له أكثر من ١٠٨ معابد، ومن رموزه: الصولجان برأس (أو رأسي) أسد، والمطرقة، والسلحفاة.

الإله نينورتا

ويرد أحياناً باسم (نينجرسو)، الذي ذُكر في النصوص السومرية بصيغة NIN. URTA والتي تقابلها بالأكادية ninurta وربما كان اسمه (سيد الأرض) مشتقاً من النبات القديم URAS، وهو إله الخصوبة، والطقس، والفيضانات والصيد، ثم صار إله الحرب والعاصفة في العصور الآشورية المتأخرة، ويُعتبر نينورتا ابناً آخر للإله إنليل، ورقمه السري المقدس، هو نفس رقم والده ٥٠ مما يدل على علو

شأنه، ومعبده هو معبد الخمسين (الاي نينو) في مدينة لجش، كما عُبِد في مدينة نمرود (كالح – كلحو)، وقد سميَّ نينورتا بعاصفة إنليل.

كان لنينورتا دورٌ بارزٌ في **ألواح القدر**، عندما استعاد هذه الألواح من الطائر أنزو (زو)♣. ومن زوجات نينورتا: نن – نبور (سيدة، نفر) التي تطابقت مع الإلهة كولا – زوجته الثانية – الطيبة، التي تُحيي – حتى – الموتى، وحيوانها المفضل الكلب، وهو رمزها، وكذلك الربَّة بابا (باو) إلهة مدينتي أوروك وإيسن وسيدتهما، وهي زوجة نينجرسو. ومن رموز نينورتا: المحراث، والسهم، والصولجان برأس طير، وكذلك رأس

♣ – **الأنزو**، هو طائر عملاق برأس أسد، وهو ضخم للغاية، لدرجة أنه يُسبب الزوابع والعواصف عندما يرفرف بأجنحته. وهو من قوى العالم الأسفل المُدمرة، ويسمى أيضاً (أنزو بالسومري أو زو بالأكادي) واسمه الأصلي في ملحمة لوكال بندا السومرية (أمدجود) والأكادية (زو) وهو طير العاصفة الخرافي في المصادر الأكادية، يظهر على شكل نسر برأس أسد، وأسطورة زو معروفة في العصر البابلي القديم وفي نصوص العصر الآشوري الحديث. ويصف كتاب: د. ازدارد، و م.هـ. بوب، و ف. رولينغ: قاموس الآلهة والأساطير – في بلاد الرافدين (السومرية والبابلية) في الحضارة السورية (الأوغاريتية والفينيقية)، ص ٥١. طائر الأمدجود بأنه: نسر برأس أسد (طائر خرافي) وقد يعني الغيمة، ويمثل قوى الشر التي تهدد حياة الحيوانات الإنسية، والأمدجود هو شعار الإله ننجرسو إله مدينة لجش.

حصان موضوع على كرسي، وفوقه قوس، وعمود فوقه رأس أسد، أو رأسي ثور[١٩].

الإلهة ننخورساك

وهي الإلهة الأم، ويعني الاسم حرفياً (سيدة الجبل) لذا كان له مغزى عميق، لِما كان للجبل من أهمية كبيرة بصفته منبع المياه والخصوبة وانتاج الغذاء ونمو النباتات والأعشاب، وهي خالقة الآلهة، وقد يرد اسمها بأشكال مختلفة، منها: ماخ، نينماخ، نينتو، آرورو، ماماي، مامي، بيلتي، بابا، ماميتو، ماما، نمّو. وقد عُدت ننخورساك زوجة للإله أنكي (أيا) حسب ما ورد في أسطورة أنكي وننخورساك، وقد صوِّرت في نظر السومريين على شكل (الأرض الأم).

وعادةً ما تظهر ننخورساك على شكل أم ترضع طفلاً، فهي أم الآلهة، وأم البشر، وأم الأطفال، كما لُقِبت بـ ama – kalamma أي أم البلاد، وقد كانت تحتل المركز الثالث في مجمع الآلهة، بعد آن وإنليل، ثم تراجعت إلى المركز الرابع، حيث سبقها أنكي (أيا)، وكانت تُعْبَدُ في مدينة آدابا، في معبدها المدعو (إي ماه) ويعني بيت الأم،

---

[١٩] – سامي سعيد الأحمد: المعتقدات الدينية في العراق القديم، المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت، لبنان، ٢٠١٣م، ص ٢٣ – ٤٠، وينظر – أيضاً كتاب، فاتن موفق فاضل الشاكر، مرجع سابق.

ومن رموزها: رمز الأوميغا الذي – ربما – يُشبه أقمطة الأطفال حديثي الولادة، أو – ربما – يُشبه الرحم، أو قرني الثور[٢٠].

الإلهة نيسابا

وهي إلهة سومرية الأصل، وقد ورد اسمها بالسومرية بصيغة S.E.NAGA.NAGA وبالأكادية بصيغة Nisaba وقد اعتبرت ابنة الإله إنليل، وأختاً لِكُل من، ننجرسو ونانشة، وكان الإله Haya زوجها في العصور المبكرة، لكن، وبسبب اقتران اسمها بعدد من الفنون، وخاصة الكتابة، أصبحت زوجة الإله نابو إله الكتابة، وكان مركز عبادتها في مدينة أوما، حيث ناداها الملك لوجال زاكيزي بأنها أمه [٢١]، وهي – أيضاً – إلهة الحبوب، وإلهة القصب المُستعمل في الكتابة، حيث (تقود يد الكاتب المبتدئ) في سعيه لتعلم فن الكتابة، إذن هي

---

[٢٠] – فاتن موفق فاضل الشاكر: مرجع سابق، وينظر كتاب: طه باقر: مقدمة في تاريخ، مرجع سابق، ص ٢٢٦ حتى ٢٥٣.

[٢١] – فاتن موفق فاضل الشاكر: مرجع سابق.

إلهة الكتابة والحساب والعلوم والعمران والفلك[22]. ومن رموزها: الهيئة البشرية للإلهة مع القصب[23].

الإلهة نانشي

إلهة مدينة نينا (سرغل) جنوب شرقي لجش، وهي إلهة السَّمك وصيد الأسماك، وكانت ماهرة في تفسير الأحلام، فهي تهتم بالإنصاف والعدل والعدالة الاجتماعية، وهي ابنة الإله أنكي (أيا)، وزوجها (نيندارا) جابي البحر[24].

الإله آشور

وهو إله الآشوريين الأول، وهو بالنسبة لهم كـ مردوخ للبابليين، كما لُقِّبَ بالجبل الكبير، وقد سميَّ معبده في آشور بِمعبد الجبل للأقاليم الجبلية أي (خورزاك كوركورا). ومن رموزه الدائرة المُجنَّحة، أو كرة يظهر فيها الإله بقبعة ذات قرون، أو قرص الشمس المُجنَّحة والإله في

---

[22] – ديوان الأساطير، سومر وأكاد وآشور – الكتاب الثالث – الحضارة والسلطة، ت. قاسم الشّواف، تقديم، أدونيس، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩٩م، ص ٣٠٢.

[23] – فاتن موفق فاضل الشاكر: مرجع سابق.

[24] – وديع بشور: الميثولوجيا السورية، مرجع سابق، ص ٥٦.

قسمها الأعلى وهو يضرب أو يمسك سهماً، وفي هذه الحالة – عادةً – ما يرتبط بشجرة الحياة المُقدسة (رمز الحياة) والمرفقة بعبادته[٢٥].

وفي الختام

يمكن القول: إن هناك الكثير من الآلهة الأخرة، التي لا أرى حاجةً لذكرها هنا، ولكن يمكن القول باختصار: أن الآلهة الرافدية مُؤلَّفة بشكل عام – وحسب الأهمية – من:

١. الآلهة السبعة الكِبار.
٢. الآلهة الخمسين العِظام.
٣. أكثر من ٢٠٠٠ إله ثانوي، وهم الأقل أهمية، ولِكُلِّ واحدٍ منهم، مهمة خاصة به[٢٦]، ومنها الآلهة الشخصية للأفراد العاديين.

---

[٢٥] – سامي سعيد الأحمد: مرجع سابق، ص ٣٨، ٣٩. وينظر كتاب فاتن موفق فاضل الشاكر: مرجع سابق.

[٢٦] – طه باقر: مقدمة في تاريخ، مرجع سابق، ص ٢٢٦ حتى ٢٥٣.

البحث الثالث

ألواح الـ (مِهْ – مي – ME)

بعد أن تعرفنا على أهم عقائد وآلهة بلاد الرافدين، صار بالإمكان، الدخول إلى أهم مفهوم شغل مُفكِّري ورجال الكهنوت وفلاسفة – وحتى ملوك – سكان هذه البلاد، كما لم يغب – هذا المفهوم – أيضاً – حتى – عن الناس العاديين، فنحن أمام مفردة – طالما – ترددت في أغلب أساطير، وتراتيل، وملاحم، وقصص، ومراثي، وحتى على لسان الناس العاديين، فقد شغل هذا المفهوم، مُخيلة الكثير من الناس، في الماضي والحاضر، لِما له من أهمية تتعلق بالأساس الفكري والحضاري، الذي قامت عليه هذه الحضارة، ويبقى مفهوم الـ (مِهْ – مي) من المفاهيم، التي أسست، للعديد من الدراسات المُتعلقة بامتلاك سكان بلاد الرافدين – ومنذ البدايات الأولى – مفاتيح – لا بل – المعارف الأولى لأهم المنجزات الحضارية، إن على المستوى السياسي، المتعلق بأصول الحكم، وانتقال السلطة، وأصلها، وإن على مستوى الفكر الاجتماعي، المؤسس للعديد من قضايا الأخلاق والسلوك لدى المجتمع والأسرة والأفراد، وحتى الملوك، وإن على المستوى العلمي، المُتعلق بحيازة هؤلاء السكان، العلماء منهم والتقنيين، والفلاسفة، وحتى المُشرِّعين، لمفاتيح وأسس العديد من القواعد الفكرية والأخلاقية والصناعات والابتكارات العلمية والتقنية، وإن على المستوى

الديني (الكهنوتي) المُتعلق بأصول العبادات، والخير والشر، والقضاء والقدر، وليس – انتهاءً – على مستوى مفهوم المصير، وتحديد ماهية العالم الآخر.

إن الباحث في تاريخ الشرق العربي القديم، خاصةً، الجانب الحضاري منه، وبالتحديد أساطير وملاحم بلاد الرافدين، سيجد نفسه – بين الفينة والأخرى – أمام مفردة تتردد باستمرار، مُعبِّرةً عن بعض المفاهيم، التي يُحدِّدُها الموضع الذي ذُكرت فيه هذه المفردة الـ (مِهْ – مي)، التي ستمرُّ مرور الكرام، إلا، في عين الباحث عن خفايا وغايات هذه الأساطير، وهنا لا بدَّ له من لَمْلَمَة هذه المفردات، وربطها بأماكن وجودها، ومن ثم ربطها بالأماكن الأخرى، والبحث عن غاياتها، علَّهُ يُكافأ ببعض النتائج، التي – ربما – سَتُجلي بغض الغموض الذي يلفها.

وللحقيقة، فأن البحث في هذا المفهوم الـ (مِهْ – مي) ينطوي على الكثير من الصعوبات والعوائق، يأتي في مقدمتها نقص المصادر، التي تُقدم عرضاً شاملاً ووافياً لكافة الأساطير والملاحم، إضافة إلى اختلاف الترجمات، مما يؤدي إلى اختلاف الرؤية والتفسير، وبالتالي، صعوبة الوصول إلى الغايات الأساسية من وراء ذكر هذا المصطلح.

ومع المزيد من البحث، نجد أن هذا المصطلح الـ (مِهْ – مي)، عادةً، ما يَرِدُ في مواقعَ، تُعبِّر – فيها – عن معنى، أقرب ما يكون إلى

القانون أو الناموس، أو القوانين المُنظمة لحركة الكون، بكل ما فيه من مفردات، إن على الصعيد الكوني، المُتعلِّق بتنظيم الكون، أو على الصعيد الإنساني، المُتعلِّق بسلوك الأفراد، أو على صعيد أسرار وخبايا بعض الصناعات العلمية، وربما على صعيد الرؤية، للوجود، وحتى عالم ما وراء الطبيعة (الميتافيزيقا)، وعالم الموت، وتحديد أقدار كل الأشياء، بما فيها – حتى – الآلهة؟.

لكن الباحث في التاريخ الحضاري لبلاد الرافدين، خاصةً الديني منه، سيجد نفسه – أيضاً – أمام مفاهيم فكرية، ذات منشأ يتعلق بمفهوم القوة الإلهية، وكيفية حصولها عبر المراحل التاريخية، وذلك، منذ أن استطاع مفكرو هذه البلاد، وعبر التأمل والملاحظة، الاهتداء إلى فكرة هذه القوة (الإلهية)، التي نشأت – وحسب اعتقادهم – منذ أواخر العصر الحجري الحديث النيوليت NEOLITHIC الذي يؤرخ على ٨٠٠٠ – ٥٠٠٠ ق. م. حين بدأت فكرة القوة الإلهية بالتبلور والظهور. فما هي هذه القوة الإلهية؟ وما علاقتها بفكرة ومفهوم الـ (مِهْ – مي)، ومفهوم ألواح القدر؟.

القوة الإلـهيـة

القوة الإلهية، هي القوة التي اعتقد الناس بوجودها في الطبيعة، وهي المسؤولة عن كل ما يحدث فيها من نشاطات وتحركات، سواء المتعلقة بالبيئة المحيطة (ظواهر الطبيعة، أمطار، رياح ... وعالم النبات والخصب، وعالم الحيوان المتعلق بالإنسان والخصوبة) أو المتعلقة بالإنسان مباشرة (الولادة، العقم، السعادة، العذاب، الموت، الآخرة)، وقد كانت القوة الإلهية عند السومريين، تتجسد بما خلقته الآلهة من عوالم وأكوان وكائنات حيّة وبشر، ولكن سرَّ هذه القوة الإلهية، أو جوهرها، كان يكمن في أربعة أنواع من القوى الإلهية، سنوردها حسب التسلسل التاريخي لظهورها وتبلورها، وهي:

١. **الكلمة:** فبعد الظهور الكبير للمرأة وقوة إخصابها في الطبيعة والإنجاب، في العصر الحجري الحديث ٨٠٠٠ – ٥٠٠٠ ق.م، والمُتمثِّلة بالكم الكبير من التماثيل الأنثوية، التي تُبرِزُ خصائص العطاء والولادة عند المرأة، حينها، ساد اعتقاد خلقي أساس – هو – أن **قوة الولادة**، تأتي عن طريق **الرحم**، وبالتالي عن طريق **المرأة.**

ومن ثم ظهرت فكرة **قوة البذور**، وقدرتها على **التوالد**، عن طريق المطر، الذي يُلقِّحُ البذور في الأرض، حيث ساد اعتقاد:

أن الإله – هو – من يُلقِّحُ الكون، وذلك في العصر النحاسي، نحو ٤٥٠٠ – ٣٥٠٠ ق.م.

ثم ظهرت **قوة الكلمة** في العصر السومري نحو ٣٠٠٠ – ٢٠٠٠ ق.م حيث تحولت القدرة الإلهية إلى الكلمة، وصار الخلق بمقدور الإله، **عبر النطق، إذا قال للأشياء أن تكون فتكون**. وبالتالي يمكن تلخيص واختصار المرحلة الأولى من القوة الإلهية بـ:

- قوة وقدرة المرأة (الرحم) على التوالد والخلق.
- قوة وقدرة البذرة والمطر على التوالد والخلق.
- قوة الكلمة، وقدرتها على الخلق.

٢. الـ (نم): (الصفة) وفي السومرية، كانت تعني سمة الشيء وصفاته، هذه الكلمة تعني صفة أو صفات الشيء وسماته وطبيعته، وتقابلها بالأكادية كلمة (شمتو) أي سمة الشيء وطبيعته، ويبدو أن إطلاق الـ (نم) أي **صفة الأشياء** من قِبل الإله، يعني تحديد صفاتها وسماتها وتعيين جوهرها في ذاتها.

٣. الـ (مِهْ) ME: أي النواميس المقدسة، التي تعني نواميس الآلهة، التي يستطيع بواسطتها الإنسان أن يتحكم ويسيطر ويستخدم الأشياء، أو ظواهر الأشياء والطبيعة، وإذا كانت الـ (نم) تحدد طبيعة الشيء ذاته، فإن الـ (مِهْ) تُعبِّر عن الشيء كموضوع خارج ذاته، أي الوجه الاجتماعي والحضاري والفني، الذي

يُستخدم فيه، ولذلك فإن كلمة النواميس الإلهية أو المقدسة ترجمةٌ صالحة لها.

٤. ألواح القدر (لوح المصائر): يُشكل هذا (اللوح المحفوظ) أقدار ومصائر العالم والناس من قِبل الآلهة، وتحديداً من قِبل الإله إنليل، الذي كان يحتفظ به تحت أنفه، وبالرغم من أن الآلهة – هي – مصدر السلطة، وهي القادرة على منحها وحجبها لمن تريد من البشر، إلا أن لوح المصائر(الأقدار)، يبقى هو الأساس الذي كُتِبَ فيه مصائر العالم [٢٧]، كما أن ألواح القدر تعطي لمن يمتلكها الألوهية العليا والسلطة، وهذا ما سنتعرف عليه لاحقاً.

هنا، وبعد التَّعرف على مفهوم القوة الإلهية، صار بالإمكان، الدخول بشكلٍ جدي إلى مفهوم الـ (مِهْ) والبحث أكثر في عمق هذا الأقنوم، لكن، وقبل السير في هذا البحث، يجدرُ بنا التَّعرف على بعض الدراسات القصيرة، التي تناولت هذه المفردة الحضارية، والتي جاءت على شكل، بعض التعاريف، التي تناولها بعض الباحثين، وهي – حقيقةً – وإن كانت مُختصرة، لكنَّها تنهدُ إلى كشف كنه هذه المفردة،

---

[٢٧] – خزعل الماجدي: متون سومر – الكتاب الأول – التاريخ – الميثولوجيا – اللاهوت – الطقوس، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، الطبعة الأولى العربية، ١٩٩٨م، ص ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦١.

وهذا المفهوم الغامض، وهنا أجد نفسي أسوق بعض هذه التعاريف، التي تتسقُ، مع ما قدَّمناهُ من إرهاصاتٍ أولية حول هذا المفهوم، بُغية جعلها مُقدمةً للبحث في ماهية هذا الأقنوم المعرفي، ويأتي على رأسها:

علماء السومريات

فقد رأى هؤلاء العلماء، أن كلمة (مو – مِهْ – ME) كلمةً غيرَ قابلةٍ للترجمة إلى اللغات الأوربية، وهي تحتوي على معانٍ مُتعددة، ترتبط بسمو وتنزيه الآلهة عن المخلوقات، ومفارقتها لهم، وتحتوي – أيضاً – معنى جوهر الأشياء وكنهها، وهي ذات طابع خفي وسرّي، وهي تخوّل السُّلطة والصلاحية للآلهة، كما تُلخِّصُ أو ترمز إلى القوانين والأنماط، التي تحقق سير المنظومة الكونية المُتناغمة، وقد اصطلح بعضهم على نقلها وترجمتها، وفق تعبير (أسرار غيبية) أو (أسرار) [٢٨].

---

[٢٨] – ديوان الأساطير، سومر وأكاد وآشور – الكتاب الأول – أعطِني، أعطِني ماءَ القلب – أناشيد الحب السومرية، ت. قاسم الشّواف، تقديم، أدونيس، دار السّاقي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩٦م، ص ١٦٥.

الأستاذ ثوركليد ياكبسون

الذي يعتبر أن كلمة (مو – مِهْ – ME) هي بمثابة، جملة الوظائف المُرتبطة بالطقوس أو العادات والأعراف[٢٩]، كما يعتبر أن الاسم (مي) يتوافق مع الفعل (مي) الذي يُفيد معاني: (يكون) و(كينونة) أو (الوجود) ويُراد به شكل أو طريقة الوجود، وربما كانت هذه الكلمة الـ (مي – ME) تُشير إلى معنى (معيار) أو (مقياس) وجود هذه الظاهرة أو تلك [٣٠].

الأستاذ فان دييك

الذي يعتبرها بمثابة، الوجود الإلهي في الهيولى الميتة أو الحيّة بشكلٍ أزلي، وهي غير مُشخَّصةٍ بجسد، ولكن بواسطتها تتحكم الآلهة بأمور العالم.

د . إمام عبد الفتاح إمام

الذي يعتبرها من أصعب المصطلحات في الديانة السومرية، وهي تعني القوى الإلهية، وهي بهذا المعنى، تشمل مؤسسات الوجود، ونظام

---

[٢٩] – د. ازدارد، و م.هـ. بوب، و ف. رولينغ: قاموس الآلهة والأساطير – في بلاد الرافدين (السومرية والبابلية) في الحضارة السورية (الأوغاريتية والفينيقية)، ت. محمد وحيد خياطة، دار الشرق العربي، لبنان، بيروت، حلب، سوريا، ص ١٦٣.

[٣٠] – كلشكوف: مرجع سابق، ص ٤١.

الكون الدنيوي والسّماوي، وبواسطتها تتحكم الآلهة في أمور العالم، والقائمة (يقصد قائمة الـ مي) تضم مهام ووظائف الـ (مِهْ) وقد تزيد عن المائة، وهي تشمل وظائف الكهنة والملوك مع شعائرهم، بالإضافة إلى مصطلحات أخلاقية كالعدل والظلم، ومصطلحات من الحياة الجنسية والفنية والمهنية والأسطورية[٣١].

وانطلاقاً من كل هذه التعاريف صار بالإمكان الدخول في عالم ومفهوم (المي – مِهْ).

---

[٣١] – جفري بارندر: المعتقدات الدينية، مرجع سابق، حاشية الصفحة ١٣.

مفهوم الـ مِهْ أو الـ ME

كان مفهوم الـ (مي – ME) في المجتمعات القديمة، يعني تلك القوة الخفية، التي تكمن في كل ما هو موجود، أو كما يُقال: كانت بمثابة المبدأ الصوفي لكينونة كل شيء، وفي مرحلةٍ لاحقة، أصبحت هذه القوة الإلهية الكامنة في كل ظاهرة معزولة عن الظاهرة المرئية ذاتها.

وحتى مع نشوء فكرة (الآلهة المُجسَّدة) أي الآلهة التي مُنحت أجساداً مُحددة، لم تختف صيغة الـ (مي – ME) بل حافظت على استقلالية نسبية عن الآلهة، فالآلهة لا يتحكمون بجوهر الأشياء، ولكن بوسعهم امتلاك الـ (مي – ME) لكنهم عاجزون عن تغييرها، وبالتالي هي ركنٌ ثابت – في العقيدة – لا مجال للتغيير فيه؟.

كما أن الـ (مي) ليست خاصة بتحديد نظام الكون والإنسان والحضارة فقط، فقد عُمِّمت صيغة الـ (مي – ME) على الآلهة أنفسهم، فهم يخضعون – أيضاً – للـ (مي – ME) الخاصة بهم، ففي سلسلة إنساب الآلهة السومرية المعروفة، وفي مقدمة هذه السلسلة، نقرأ:

- يقف السيد الإلهي مي الكون
- والسيدة الإلهية مي الكون
- يليهما الزوج الإلهي الثاني

- السيد والسيدة أيام الحياة..!![32].

وكلمة الـ مِهْ أو الـ (مي – ME) هي في الأصل: كلمة سومرية غير واضحة المعنى، لكنها – في الغالب – تعني الوجود كما ذكرنا أعلاه، وهو الأكثر قبولاً في تعاريفها، خاصةً، أنها تتناول قضايا الوجود عامة، من حيث المنشأ والنظام والمصير، لأن مفهوم الـ (مي) – وحسب ورودها في الأساطير – يشملُ كل مؤسسات الوجود ونظام الكون الدنيوي والسَّماوي، الذي تُسيِّره قوى الآلهة خيراً أو شراً[33].

وكنّا – فيما سبق – قد اتفقنا، على اعتبارها إحدى أهم مظاهر (القوى الإلهية)، لذا، كان الفلاسفة السومريون يعتقدون أن الـ (مِهْ – ME) تحكم نظام الكون منذ البداية، وإنه لا يزال يسير بِموجبها [34]. لكنّها – كمفهوم – تبقى من أصعب المصطلحات اللاهوتية المُحيِّرة في الديانة السومرية؟.

وقد كان امتلاك ألواح القدر (وهو المُعادل العام لمفهوم ألواح الـ مي) إحدى مزايا المعبود، فالإله الذي يملكها، يمتلك القدرة على ضبط نظام الكون، وقد حاولت الإلهة انانّا (عشتار)، إسباغ بركات الحضارة

---

[32] – كلشكوف: مرجع سابق، ص ٤١.

[33] – د. ازدارد، و م.هـ. بوب، و ف. رولينغ: مرجع سابق، ص ١٦٢.

[34] – صمويل كريمر: من ألواح سومر، ت. طه باقر، تقديم ومراجعة أحمد فخري، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ص ١٨٣.

على مدينتها الخاصة أوروك، ولكي تفعل ذلك، كان لا بدَّ لها من امتلاك الـ (مي) التي كانت في حينها بيد الإله أنكي (أيا) إله الحكمة، فنراها ترحل إلى مدينة إريدو، حيث يقيم أنكي في داره المبنية من (آبسو) لُجَّة المياه الحلوة [٣٥] وتأخذ ألواح القدر (الـ مي)، وهذا ما سوف نراه – لاحقاً – في أسطورة (زيارة انانّا إلى إريدو وسرقة ألواح الأقدار) هذه الأسطورة، هي من الأهمية بمكان، حيث أن مضمونها يُعطينا فكرةً واضحةً عن طبيعة الـ (مِهْ – مي)، فعندما يمنح الإله أنكي انانّا ألواح القدر (الـ مِهْ) وهو في حالة غيابٍ عن الوعي، بسبب سكره الشديد، بعد أن تناول الخمرة بكثرة، تحمل انانّا الـ (مِهْ – مي) على سفينتها السَّماوية، وتنطلق بها نحو مدينتها أوروك، لكي تمنحها السلطة والحضارة والقوة.

ومن هذا السِّياق – الواضح في الأسطورة – نفهم أن الـ (مِهْ) شيء مادي، يُمكن نقله من مكان إلى آخر، ويفوق عدد الـ (مِهْ) المئة، وصلنا منها حوالي الثمانين ناموساً، ويبدو أن تدوينها على الألواح، كنصٍّ مكتوب، كان يعتمد تقاليد وعادات متعارف عليها منذ القديم، وتضم الـ (مِهْ) هذه، وظائف الكهنة والملوك مع شعائرهم، بالإضافة إلى مصطلحات أخلاقية ونقائضها، مثل (العدل والظلم)، ومصطلحات من

---

[٣٥] – صموئيل هنري هووك: منعطف المخيلة البشرية – بحث في الأساطير، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط ١، ١٩٨٣م، ص ٢٣.

الحياة الجنسية والفنية والمهنية والأسطورية. ويبدو أن القائمة التي تضم مهام ووظائف الـ (مِهْ) وحيدة لا سابق لها، ولا لاحق، ولا يوجد نسخ منها، ولذا يصعب علينا اعتمادها من مصادر معارفنا عن اللاهوت السومري، كما يجب علينا ألا نفهم مضمونها اللاهوتي خطأً، ونذهب بعيداً في تفسيراتنا.

ومن هذه المصطلحات الأسطورية المرتبطة بالـ (مِهْ – مي) – أيضاً – سنرى، مصطلح النزول إلى العالم السفلي، أو الصعود منه، كما ورد في أسطورة (نزول انانّا إلى العالم السفلي)، وكذلك مصطلح أداة العمل الممتازة (المعول) وتنظيم الكون ... وغير ذلك كثير. كل ذلك، سنراه لاحقاً، عند عرضنا للأساطير المُتعلقة بمفهوم الـ (مي) وألواح القدر[٣٦].

وهنا، قد يتساءل البعض، هل لهذه الـ (مِهْ – مي) أنواع متعددة، أم هي نوع واحد؟. وللإجابة على هذا التساؤل، نجد – ومن خلال قراءة العديد من الأساطير – أن هناك عدة أنواع للـ (مِهْ – مي)، وذلك حسب استخدامها، ومكان هذا الاستخدام. فما هي أنواع الـ (مِهْ – مي) حسب ورودها في الأساطير؟.

---

[٣٦] – د. ازدارد، و م.هـ. بوب، و ف. رولينغ: مرجع سابق، ص ١٦٣، ١٦٤.

أنواع الـ مِهْ أو الـ ME

إن الباحث في أساطير بلاد الرافدين، خاصة التي تناولت – ولو بشكلٍ عابر مفهوم الـ (مي) – سيجد أن هناك عدة أنواع لكلمة **الـ مِهْ أو الـ ME** وذلك حسب مكان استخدامها، منها:

١. **الـ مِهْ أو الـ ME في العالم العلوي**، وقد تحدثنا عنها سابقاً، وسنتحدث عنها لاحقاً، في بحث الأساطير.

٢. **الـ مِهْ أو الـ ME الخاصَّة بالمعابد والمدن**، يبدو إن للمعابد والمدن في بلاد الرافدين قوانين (مِهْ) – الخيرة والصالحة – الخاصة بها، ولكنها، قد تتحول إلى قدرٍ عاثر نكد مُعاد، فيما لو أصابت كارثةُ ما إحدى المدن، كما يتضح ذلك من مرثية دمار أور.

وقد تندب إلهة – ما – حظها لفقدانها الـ (مِهْ)، كما جاء على لسان (نينجال) إحدى إلهات المدن. وانطلاقاً من هذا المعنى السلبي لكلمة (مِهْ) فبمقدورنا – الآن – أن نفهم معنى بعض الكلمات – الواردة في بعض الأساطير – مثل (عدائي) و(كاذب) و(بلد العدو) التي تندرج ضمن إطار مفهوم (مِهْ) الواسع [٣٧].

---

[٣٧] – د. ازدارد، و م.هـ. بوب، و ف. روليِنغ، مرجع سابق، ص ١٦٣.

٣. **الـ (مِهْ) الخاصة بالعالم السفلي**، وللعالم السفلي (عالم اللاعودة) – أيضاً – قوانينه الخاصة الثابتة، التي لا تسمح بأي تبديل أو تغيير في مضمونها لصالح أي شيء يقع ضمن نفوذها [٣٨]، وهي هنا أقرب إلى مفهوم المصير وقواعد العالم السفلي، ويبدو أن كاتبتها والمسؤولة عنها الإلهة (بنت صري)[♣]، بتفويضٍ من ربة العالم السفلي إيريشكيجال، ولا نملك تصوراً واضحاً عن مضمونها، ولكن يُعتقد أنها تحوي أسماء الموتى، وتحدد مصائرهم[٣٩]، أما المصير النهائي لهذه (الأرواح) أو الأموات، فهو غير واضح [٤٠]، خاصةً للبشر، وذلك حسب ما يَرِدُ في بعض الأساطير الرافدية القديمة.

---

[٣٨] – المرجع نفسه: ص ١٦٣.

[♣] – وهي بيلية – صيري، كاتبة العالم السفلي، التي رآها أنكيدو فيه، وذلك بحسب ما ورد في ملحمة جلجامش، وهي تدوِّن شؤون العالم السفلي أمام آلهته إيريشكيجال، ويبدو أنها هي نفسها الإلهة (جشتن – أنّا) أخت دموزي، التي تروي الأساطير السومرية، أنها نزلت إلى العالم السفلي للَّحاق بأخيها. ونتيجة سعة معرفتها واتقانها للكتابة، انضمت إلى العالم السفلي، لتبقى مع أخيها. في هذا الصدد، انظر كتاب، نائل حنون: الحياة والموت، مرجع سابق ص ٢٣٩. كما ترد أحياناً تحت اسم (بعلة صيري) التي تسجل أسماء الموتى في العالم السفلي.

[٣٩] د. ازدارد، و م.هـ. بوب، و ف. رولينغ: مرجع سابق، ص ٨٣.

[٤٠] – عيد مرعي، فيصل عبدالله: تاريخ الوطن العربي القديم (بلاد الرافدين) منشورات جامعة دمشق، ٢٠٠١ – ٢٠٠٢م، ص ١٣٠.

البحث الرابع

مفهوم القدر وألواح الـ (مِهْ – مي – ME) في فكر بلاد الرافدين

أولاً: ألواح الأقدار الـ (مِهْ – مي) حسب التصور السومري

لقد افترض سكان بلاد الرافدين – خاصةً – في الفترة السومرية، أن آلهتهم العِظام، يسيرون وفق قواعد الأخلاق في سلوكهم، لكن في الحقيقة – وحسب ما رأينا من خلال الاطلاع على هذه النواميس – أن هؤلاء الآلهة، هم الذين خلقوا الشر والكذب والجور والظلم، أي جميع أنواع السلوك المُنافي للأخلاق الكريمة عند البشر، لذلك وجدنا من ضمن ثبت هذه النواميس، التي أوجدها الآلهة لتسيير الكون وتنظيم شؤونه، ما يدلُّ على التنوع والشمول، فنراها تتحدث عن الصدق والسّلام والخير والعدالة، بل احتوى بعضها أيضاً الرِّثاء والخوف.

وهنا يطرح السؤال التالي نفسه، لماذا رأى الآلهة، أنه من الضروري خلق الشر والظلم والإثم والألم والمصائب ... إلخ؟، ويقول لسان حال المُتشائم السومري، المثل التالي: ((لم يولد لأمٍ طفل بلا خطيئة))، ويبدو أن الحكماء السومريين رؤوا، بأن مشيئة الآلهة

وبواعثها في أفعالها، لا يُدْرَكُ كنهها في الغالب، وإن السبيل الصحيح، الذي كان ينبغي على أي انسان، أن لا يتساءل، ولا يُحاجج، إذا ما حلَّت به مصيبة لا مبرر لها في الظاهر، وأن كل ما يُمكن فِعله في هذه الحالة، هو التَّضرُّع والندب والاعتراف بالخطايا والذنوب، التي لم يكن منها بُدٌّ، فكان الإنسان على الدوام، هو المَلوم، وليس الإله، وخير دليل نسوقه على ذلك، ما ورد في قصة أيوب السومري، خاصةً، أن العقيدة السومرية تقوم على فكرة، أن الآلهة، هي من خلقت الإنسان – من الطين – كي يخدمها، وقد اشترك في خلقها كُلٌّ من الإلهين (أنكي – أيا) وأُمُّه الإلهة نمو (إلهة البحر الأول)، بمساعدة الإلهة الأم ننماخ، فتقوم ننماخ بصنع البشر من الطين، ثم يعمد أنكي إلى تقرير مصيرها؟، وفي هذا الصدد – حين يُخاطب أنكي أمه – نقرأ في الأسطورة:

- ((يا أُمّاه، إن المخلوقَ الذي **نطقت** باسمه موجود.
- فاربطي عليه صورة الآلهة ؟؟.
- أعجبني لُبُّ الطين الموجود فوق (مياه العمق)
- واجعلي (الصّانعين المهرة) يُكثفون الطين.
- وعليكِ أنتِ أن توجدي له الأعضاء والجوارح.
- وستعمل (ننماخ) (الإلهة الأم) من فوق يدكِ.
- وستقوم بجانبكِ إلهة (الولادة) ... في أثناء صنعكِ.
- يا أُمّاه، **قدِّري مصيره** (أي مصير المولود الجديد)

- وسنربط (ننماخ) عليه صورة الآلهة ؟؟
- إنه الإنسان ...)) [٤١].

إذن، فمصير الإنسان مُقدَّرٌ من قِبَل الآلهة، منذ لحظة ولادته، وذلك وفق ألواح الأقدار، التي خطَّتها الآلهة له، وهذا ما يتَّسِقُ مع السِّياق العام لمفهوم ألواح القدر، بما يخصُّ نشأة الإنسان، ومصيره!.

[٤١] – صمويل كريمر: من ألواح سومر، مرجع سابق، ص ١٩٦، ١٩٧، ١٩٩، ٢٠٤.

ثانياً: ألواح الأقدار الـ (مِهْ – مي) حسب التصور الأكادي

هي ألواحٌ مرقومٌ عليها مصير وحياة البشر، ومن يستطيع امتلاكها، فإنه يمتلكُ القدرة على حكم العالم[٤٢]، ففي الأساطير الرافدية القديمة، نسمعُ عن سرقة هذه الألواح، أو الاستيلاء عليها بالقوة في مناسبات عديدة[٤٣]، وهذا ما سنتعرف عليه لاحقاً في أسطورة الطائر الخرافي (أنزو)، الذي حاول سرقتها من مالكها الأصلي الإله إنليل[٤٤]، وقد نجح في ذلك. وإذا كان الأكاديون، يعتقدون أن الآلهة، هي التي تُملي القدر، فإن السومريين – قبلهم – اعتقدوا، أن القدر يُفرَضُ – حتى – على الآلهة أنفسهم، فالقدر يحكم الآلهة والطبيعة معاً، ولكن حياة العالم نُظِّمت في إطارها العام.

وهنا، يجدرُ بنا – قياساً على مفهوم الـ (مي) – أن نتعرَّف – أيضاً – على آراء بعض الباحثين في مفهوم ألواح القدر، فقد ساهم العديد منهم، في تقديم العديد من الرؤى والتفسيرات حول هذه الألواح، منهم:

---

[٤٢] – د. ازدارد، و م.هـ. بوب، و ف. رولينغ: مرجع سابق، ص ٨٣.

[٤٣] – صموئيل هنري هووك: منعطف المخيلة البشرية، مرجع سابق، ص ٢٣.

[٤٤] – د. ازدارد، و م.هـ. بوب، و ف. رولينغ: مرجع سابق، ص ٨٣.

د. عيد مرعي

الذي يقول فيها: هي بحسب الميثولوجيا الرافدية: مجموعة من الألواح السحرية التي تمنح حاملها السلطة المطلقة على جميع الآلهة والبشر والسيطرة على الكون، وتعطيه أيضاً المقدرة على إعادة الأشياء إلى أصولها الأولى وتتضمن معلومات عن القضاء والقدر وتحديد مجريات الأحداث لجميع المخلوقات [٤٥].

الباحثة الفرنسية دافيد

التي تقول في هذا الصدد: أن كل قدرٍ، هو قرارٌ صادرٌ عن إرادةٍ أعلى من الرجال، وإنها تتضمن تحديد الوظائف التي يجب على كل الناس القيام بها، دون وهنٍ أو خور، فالآلهة – هي – سيدة الأقدار، وهي التي أصدرت القدر، وهي التي تُملي القدر كما تشاء.

الباحث ميرو

الذي يعتبر: أن القدر، هو مجموعة القواعد التي تهيمن على تسلسل وقائع الوجود، سواءً كانوا آلهة أم بشر، فإن هذه القواعد تضمن استقرار العالم، فالقدر – حسب رأيه – يحكم الآلهة والطبيعة، ولكن حياة العالم نُظِّمت في إطارها العام.

---

[٤٥] – عيد مرعي: معجم الآلهة والكائنات الأسطورية في الشرق القديم، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١٨م، ص ٩٥.

الأستاذ سامي سعيد الأحمد

وهو الباحث في تاريخ العقائد الرافدية، يرى، أن القدر بنظر سكان بلاد الرافدين القدماء، يبدأ عمله منذ ولادة الإنسان، وقد كانت الآلهة (آلهة الكون) تجتمع في اليومين الثامن والحادي عشر من احتفالات الآكيتو (عيد رأس السنة الجديدة) لتقرير آجال البشر، وإقرارها نهائياً، وهذا ما سنراه لاحقاً في أسطورة (آنوم اَلِش) حينما في العلى، قصة الخليقة البابلية.

وربما كان إيمان العراقيين القدماء، بالقدر، هو محاولةُ تفسير النِّظام الكوني، وَسَطَ عالمٍ مليء بالآلهة الكثيرة، ذات الأهواء المختلفة، والرغبات المتعددة، وربما المُتضاربة[٤٦].

---

[٤٦] اسامة عدنان يحيى: مرجع سابق، ص ١٧٩، ١٨٠.

ثالثاً: ألواح القدر الـ (مِهْ – مي) حسب التصور البابلي

كان الغالب على فكر البابليين، أن كل ما يحدثُ على الأرض، ما هو إلا انعكاس لِما يحدث في السَّماء، ومصائر البشر، إنما تُعينُها حركات النجوم، وقد رأينا، أنه – كان – لِكُلٍّ من الآلهة الكِبار (آنو، إنليل، أنكي – أيا، ننخرساك مردوخ ....إلخ) نصيبه من السَّموات، عند إقامة نظام العالم، الذي أعقب القضاء على تيامة، ولعلَّ الكثير مما عرفناه عن ديانة بابل وآشور، يوحي – لنا – بأن هذه الديانة، تقوم بصفةٍ رئيسة على أداءٍ آلي لنظامٍ طقسي مُحكَم، يُشكِّل حياة الإنسان ويُسيرها من المهد إلى اللحد[٤٧]، ويبدو أن سبب تَمسُّك الناس بالقواعد الاجتماعية المُدوَّنة – أي بالقوانين المدوَّنة – وبالعرف القانوني والاجتماعي، أنهم كانوا يُعِدُّون مصدرها وأصلها الآلهة، فكان ملوكهم عند إصدارهم القوانين أو ذكرهم نشر العدل وتشريع الشرائع، يقولون: أنهم مسوقون بإرادة الآلهة ورغبتها، ويتضح ذلك – جليّاً – فيما جاء في مقدمة شريعة حمورابي، حين يقول[٤٨]: ((عندما خصَّ آنو العظيم، ملك الأنوناكي، وإنليل سيد السّماء والأرض، الذي يُقَسِّمُ أقدار الأرض وسيادة الشعب الإلهية بمردوخ، وهو أول ابن (وليد) لـ أيا، وعظَّماه بين

---

[٤٧] – س . هـ . هوك: ديانة بابل وآشور، ت. نهاد خياطة، العربي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط ١، ١٩٨٧م، ص ١٥٥، ١٦٥.

[٤٨] – طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات، مرجع سابق، ص ٢٨٠.

الإيكيكي، وسمَّيا بابل باسمها العلي (و) وضعاها في موقع الصدارة في أنحاء العالم الأربعة*)) [٤٩]، وكذلك، نراه في خاتمة هذه الشريعة يوَّجِّهُ الدعوات واللعنات وبالعقوبات، على كل من يتجاهل أحكام شريعته، أو يمحو المواد القانونية المنقوشة عليها، أو يمحو اسم حمورابي، التي سَتُنزلها عليه الآلهة، نقرأ:

- الإله إنليل، السّيد **مُقدر الأقدار**
- الذي **لا تُنكر مقولته**
- مُعظِّم ملكوتي
- ليَحُل له في مستقره عشواً لا اشباع له ولطامة هلاكه
- عهد خمول، أيام قليلات

---

* – وترد هذه المقدمة أيضاً، في كتاب: حضارة مصر والعراق التاريخ الاقتصادي – الاجتماعي – الثقافي والسياسي ، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٨٩م،، دار الفارابي بيروت لبنان، ١٩٨٩م، ط ١، ص ٤١٩، على الشكل التالي: ((حين حدد آنو المتعالي ملك أنوناكي، وإنليل سيد السّماء والأرض ومحدد أقدار البلاد ... لـ مردوخ، بكر أنكي، وظائف إنليل على البشر ... جعلاه سيداً على الـ إيجيجي، وسُمَّيت بابل باسمها المُبجَّل، وجُعلت أعظم ما في العالم)).

[٤٩] – مجموعة من المؤلفين: شريعة حمورابي وأصل التشريع في الشرق القديم – دراسة مقارنة مع النصوص الكاملة، ت . أسامة سراس، العربي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط ١، ١٩٨٨م، ص ١٧.

- سنوات عوز، حلكةٌ لا إنارة فيها
- **ليُقدر لهُ موتَ لمحةِ عينٍ، قدراً له**
- **ليَنْطُقَ** بِفمهِ المُبجَّل
- هلاكَ مدينته، تَفسُّخ ناسه
- تَبدُّل ملوكيته
- انعدام اسمه وذكره في البلاد[٥٠].

ففي هذا النص المهم جداً، نرى إثبات للعديد من المفاهيم، منها، إن إنليل من الآلهة المُقدِّرة للأقدار، والذي لا يمكن تغيير قراراته، وإنه قادرٌ على تقرير المصير (الموت هنا) بلمحة عين، وكل ذلك بفعل قوة الكلمة، **ليَنْطُقَ**، كما مرَّ معنا سابقاً، وكل ذلك وفق ألواح القدر.

والجدير بالذكر – هنا – أن كاتبَ هذه الألواح – خاصة في العصر البابلي القديم – هو الإله (نابو) بن الإله (مردوخ) الذي بقيت في حوزته قبل أفول نجم بابل السياسي[٥١]، وهذا ما أثبته العديد من النصوص المسمارية.

---

[٥٠] – نائل حنون: الحياة والموت في حضارة، مرجع سابق، ص ٢٢٦، ٢٢٧.

[٥١] – د. ازدارد، و م.هـ. بوب، و ف. رولينغ: مرجع سابق، ص ٨٣.

رابعاً: ألواح القدر الـ (مِهْ – مي) حسب التصور الآشوري

لم تكن الرؤية الآشورية بعيدة عن ذلك، فقد تحدث لوح طيني آشوري من عهد الملك سنحريب (٧٠٤ – ٦٨١ ق.م) واصفاً ألواح القدر، بأنها حزمة السلطة المطلقة والسيادة على السماء والعالم السفلي، والصلة ما بين خيمة السماء والبوابة الأولى للعالم السفلي، ويذكر أيضاً، أن آشور ملك الآلهة يحملها بيده أمام صدره بحيث يسيطر على الكون[٥٢].

---

[٥٢] – عيد مرعي: معجم الآلهة والكائنات الأسطورية في الشرق القديم، مرجع سابق، ص ٩٦.

العلاقة ما بين ألواح القدر والـ (مِهْ أو الـ ME)

يعتقد بعض الباحثين بوجود علاقة معنوية بين الكلمة الأكادية (بارسو – Parsu) مع الكلمة السومرية الـ (مي – ME) فكلمة (بارسو) كما يبدو بالأكادية، تُعبِّرُ عن المستوى الأخير لتجسيد الآلهة البابلية، ويبدو أنها تُفيد بمعنى الشيء القريب من مفهوم (قوانين) أو (مراسيم) أو (طقوس)، بما يُشابه المفهوم القديم للـ (مي – ME)، وهنا يجدرُ بنا أن نذكر أن الإله (أنكي – أيا)، بطل الألف الثالث قبل الميلاد، وفي الكثير من النصوص، التي ترقى إلى الألف الثاني والأول قبل الميلاد، قد شارك في تقرير المصير، ومنها نصوص: (أيا ملك الأقدار) و(أيا مصائره نحو الأمام) و(أيا حاكم الأقدار) وما مُحاولة استحضار الإله (أنكي – أيا) إلى هذا التاريخ الحديث نوعاً ما (قياساً للتاريخ السومري) في الألف الثالث قبل الميلاد، سوى تعظيم المالك القديم للـ (مي* –

---

* – يبدو أن امتلاك ألواح الـ مي (ألواح القدر) كان ينتقل من إلهٍ إلى آخر، وذلك حسب الفترة الزمنية، ومُقتضى الحاجة، فمن امتلاكها من قبل الإله (آن – آنو) إله السّماء، الذي احتفظ بها في أعلى مكان من سمائه، ثم إلى الإله إنليل إله الهواء والأجواء، الذي كان يحتفظ بها تحت أنفه، ثم إلى الإله (أنكي – أيا) إله الماء والحكمة، وذلك في الألف الثالث قبل الميلاد، ومن ثم إلى الإله مردوخ سيد الآلهة في العصر البابلي، في الألف الثاني والأول قبل الميلاد، ويبقى الحافظ النهائي لها وكاتبها الإله نابو إله الكتابة.

ME)[٥٣]. وبالتالي تعظيم المالك الجديد لألواح القدر أو الـ (بارسو) مما يدلُّ على تقارب مفاهيم الـ (مي)، مع ألواح القدر، أي مع الـ (بارسو) تقارُباً، ربما يصلُ حد التطابق، مع الأخذ بعين الاعتبار، حدوث التطور الطبيعي للمفهوم، بما يتناسب مع مرور الزمن الطويل، وتطور الفكر بشكلٍ عام، فنحن – هنا – نتحدث عن تاريخ يمتد إلى أكثر من ٢٠٠٠ سنة، ومن الطبيعي حدوث هذا (التطور) على بعض المفاهيم، من حيث الشكل، مع الاحتفاظ بالمضمون الواحد.

أما لغوياً، وبما يخص هذا التطابق، فقد جاء في كتاب الدكتور نائل حنون: دراسات في علم الآثار واللغات القديمة، الجزء الثاني، وفي ترجمة للكلمات السومرية إلى اللهجة العربية الفصحى، نجد أن:

كلمة (مي) تعني: كان (القوة السَّماوية، التي تحدد فروض السَّماوات والأرض).

والـ (مي – لِ٩ / لِم) تعني: نظرة مرعبة (حرفياً: قوة سماوية متوهجة).

والـ (مي) تعني: قتال، نزال[٥٤].

وفي اللغة الأكادية، نجد أن:

---

[٥٣] – كلشكوف: مرجع سابق، ص ٤٢.

[٥٤] – نائل حنون: دراسات في علم الآثار واللغات القديمة، ج ٢، الجمهورية العربية السورية، هيئة الموسوعة العربية، دمشق، ط١، ٢٠١١م، ص ١١٤.

كلمة الـ (مِهْ) تعني – أيضاً – ألواح القدر بالأكادية (اللهجة البابلية)، وهي التي تمنح من يمتلكها سلطاناً على (قدر) كل شيء، وفي التفكير البابلي الأول، كان تقدير (قدر) شيء، من حيوان أو جماد، معناه تعيين مكانه من نظام الخلق [٥٥].

كما أن كلمة / ب ر س/ تعني: قَسَمَ، قَرَّرَ.

وكلمة / بَرس/ تعني: مُقَرَّرْ.

وكلمة / برس/ تعني: قسمة، مقطع.

وكلمة / ب ر ص/ تعني: كذب [٥٦].

وقد ترجم البابليون كلمة الـ ME إلى كلمة (برصو) أو (برضو) Parsu التي تضاهي كلمة فرض أو فروض بالعربية الفصحى[٥٧].

وهي كلها معانٍ تتعلق بالقوة السَّماوية المرتبطة بالآلهة، وبالفروض التي تمليها على الناس، كما تتعلق بالقدر وتقدير مصير كل الأشياء، وتوزيع الأدوار وتنظيمها. لذلك يمكن القول: أن قوانين الـ

---

[٥٥] – س . هـ . هوك: ديانة بابل وآشور، مرجع سابق، ص ٤١.

[٥٦] – نائل حنون: دراسات في علم الآثار، مرجع سابق، ص ٢٤٧.

[٥٧] – طه باقر: مقدمة في أدب العراق القديم، دار الحرية للطباعة، جامعة بغداد، ١٩٧٦م، ص ٩٠.

مي تقابل – من حيث الاستخدام – ألواح القدر، والـ (بارسو) أو (برصو) وذلك من حيث امتلاك السلطة لمن يمتلكها، وتقدير الأقدار والمصائر. لذا يمكن القول: إننا – هنا – نتحدث عن مفهوم واحد، وبأشكال مختلفة، تبعاً للزمن والاستخدام.

علاقة بعض الآلهة بألواح القدر

لقد تفرَّد العديد من الآلهة باستحواذهم على ألواح القدر الـ (مي)، وكانت لهم بها علاقة وثيقة، حددت الكثير من مكانتها في عملية تنظيم الخلق، وهنا سنكتفي بذكر بعض هؤلاء الآلهة، وعلاقتهم بألواح القدر.

الإله (آن – آنو)

وهو سيد الآلهة ورب الأرباب، وهو المالك الأول لهذه الألواح، وقد كان يحتفظ بها في أعلى مكان من سمائه، ومن عنده هبطت الملوكية إلى الأرض، هذه الملوكية التي حددتها ونظمتها ألواح القدر، لكننا لا نعرف الكثير عن علاقته بها أكثر من ذلك.

الإله إنليل

يبدو أن علاقة وثيقةً، كانت تربط ما بين الإله إنليل وألواح القدر، فقد امتلكها بعد الإله آن. وقد كان الإله إنليل يحتفظ بها تحت أنفه، كما فوِّضَ إنليل بالحكم على الآلهة، لأنه بعد أن قهر قوى فوضى العالم السفلي، خلق نظام الكون المنقوش على ألواح القدر[٥٨]، وكان من أهم وظائفه – أي إنليل – حفظ هذه الألواح، التي كان امتلاكهُ لها

---

[٥٨] – أنطون مورتكات: تموز – عقيدة الخلود والتقمّص في الشرق القديم، ت. توفيق سليمان، دار المجد للنشر والخدمات الطباعية، ط ١، ١٩٨٥م، ص ٢٠٢.

يمنحه سلطاناً على (قدر) كل شيء، أي أنه عيَّنَ لها أقدارها، أي مكانها في نظام الخلق[٥٩]، ففي ترنيمة مرفوعة إلى الإله إنليل، نقرأ:

- تقارب السّماء – فيكون الفيض،
- من السّماء ينزل الفيض إلى الأرض،
- تلامس الأرضَ – فتكون الوفرة،
- حكمتكَ – هي الزرع، **كلمتكَ** هي الحبوب،
- **كلمتكَ** – هي الماء الغامر، حياة جميع البلاد[٦٠].

وترد في مكان آخر من الترتيلة – خاصةً – التي يُمجِّدُ الإله إنليل نفسه فيها، ولا سيما، ذلك الدَّيْنُ الذي تُدين به مدينة نفر له، نقرأ:

- (إنليل) ذو الأمر الواسع المدى الذي (**كلمته**) مقدسة،
- الرب الذي **لا يُبدل (كلامه)**، الذي **يقدر المصائر** إلى الأبد،
- الذي تنصر عيناه المتفرستان جميع الأقاليم،
- الذي يتغلغل نوره المُتعالي في دخائل (قلب) جميع البلدان،
- .....
- الذي يحكم **إرادات القوة والسيادة** والإمارة[٦١]

---

[٥٩] – س . هـ . هوك: ديانة بابل وآشور، مرجع سابق، ص ٤١، ٤٢.

[٦٠] – س . كريمر: إينانا ودموزي طقوس الجنس المقدس عند السومريين، ت. نهاد خياطة، سومر للدراسات والنشر والتوزيع، نيقوسيا، قبرص، ط ١، ١٩٨٦م، ص ٨١.

- .... إلخ.

وهنا، يجدر بنا التذكير بأسطورة سرقة الطائر أنزو (زو) لألواح القدر، التي كانت بحوزة إنليل، كما سنرى لاحقاً.

الإله أيا (أنكي)

كان الإله أنكي، هو المسؤول الثالث بعد الإله (آن – آنو) إنليل في حفظ ألواح القدر (الـ مي) التي كانت عنده بمثابة الكلمات السحرية لمفاتيح العوامل الحضارية السومرية، كما حددتها الآلهة، فهو الذي يلعب الدور الكبير في تحديد وتوزيع (المصير) على البشر، كما يُطبِّق القوانين الصّادرة عن إنليل، بفضل ذكائه الخارق[٦٢] وذلك من خلال دوره في خلق البشر، وفي تنظيم الكون والبلاد، وإيجاد أسس الحضارة، وكل ذلك وفق الـ (مي).

الإلهة ننخرساك

الإلهة الأم، وهي التي عُرفت باسم (ننخرساك) Niuhursag وباسم (ننماخ) Ninmah (أي السّيدة العظيمة) فقد ورد اسمها في بعض الأساطير، كمشاركة في خلق الإنسان، كما تلد سلسلة من الآلهة، وتُشير بعض أسماء الأم الكبرى إلى علاقتها بالقدر والمصير،

---

[٦١] – صمويل كريمر: من ألواح سومر، مرجع سابق، ص ١٧٥.

[٦٢] – عيد مرعي، فيصل عبدالله: مرجع سابق، ص ١١٦.

فهي إذ تحضر إلى سرير الميلاد كربة للولادة، فإنها في نفس الوقت، هي التي تغزل خيط أقدار الكون برمته[٦٣].

فهي من خلق كل شيء، حتى الآلهة، وطبيعي أن تخلق الإنسان، بالتعاون مع أنكي، كل ذلك، وفق الوصفة المنقوشة على ألواح القدر، وهي التي وُصِفَت بـ ((سيدة الوقت، سيدة الأقدار والمصائر))، فهي الأم القمرية الكبرى، التي ابتدأت زمن الكون المُنظَّم، بعد أن خرجت من أزمان الهيولى الأولى، على اعتبار أنها مرتبطة بحركة القمر الشهرية، فهي سيدته القيمة على استمراره وتدفقه، ورغم غلبة الآلهة الشمسية (المذكرة) على سيدة القمر القديمة، فإن السيطرة على الزمن استمرت قمرية، حتى وقت متأخر جداً من تاريخ الحضارة، حيث بقي التقويم القمري الأداة الوحيدة التي استخدمها الإنسان لحساب الوقت[٦٤]. وكل ذلك، حسب ما قدَّرته ألواح القدر.

الإلهة عشتار

وبالسومرية انانّا، من صيغة (nin – an – na) ومعنى كلمة عشتار النجمة الأكثر ضياءً أو الأكثر لمعاناً بين النجوم (الزهرة)، وفي

---

[٦٣] – فراس السواح: لغز عشتار – الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة، سومر للدراسات والنشر، قرص، نيقوسيا، ط ٢، ١٩٨٦م، الطبعة السورية، دار الغربال، دمشق، ص ٩٦.

[٦٤] – المرجع نفسه، ص ٩٢، ٩٣.

ابتهالٍ موجَّهٍ لها، يتمُّ نعتها بـ (إلهة الإلهات) الذي يُظْهِرُ ارتقاءها وارتباطها بالسلطة، حين بلغت أوج ارتقاءها، وأصبحت أملاً للخلاص، يتمسك به جميع البشر، وفي هذا الصدد، نقرأ:

- سيدة السيدات، إلهة الإلهات
- ملكة جميع المدن، قائدة جميع البشر
- فائقة هي **قدرتك.**
- أنت أعلى شاناً بين جميع الآلهة ....
- **أنت تديرين قوانين الأرض وقوانين السّماء**
- **قوانين المعابد وقوانين المساكن الخاصة**
- **والغرف السرية**
- **.....** .[٦٥]

إذن، الإلهة عشتار ليست بعيدةً عن كونها من جوقة الآلهة، التي تدير شؤون البلاد والبشر، وفق قواعد وقوانين الـ (المي) وألواح القدر، ولا ننسى، أنها حين هبطت إلى العالم السفلي، كانت تحمل معها (شيئاً ما) يُشبه هذه الألواح، وقد تمَّ نزعهُ منها، لذا فقدت قدرتها وسلطتها، واستسلمت لأختها إيريشكيجال إلهة العالم السفلي، وهذا ما يتوافق مع السلطة التي تمنحها ألواح القدر لمالكها.

[٦٥] – ديوان الأساطير، سومر وأكاد وآشور – الكتاب الثالث – مرجع سابق، ص ٢٩٣.

الإله نابو

كان الإله نابو (نبو) يوصف بأنه إله الكتابة وإله الحكمة، وحامي حمى الأدباء والمُدافع عنهم، وقد اكتسب كل صفات الحكمة، التي تتمتع بها الإلهة السومرية نيسابا♣، ولذلك كان يُقرن في العصر السومري بزوجها إله الصوامع (حايا) ويُعتقد أن كلمة (نبي) أُخذت من اسمه باعتبارها درجة دينية عظيمة لكهنته.

وصلت ألواح القدر إلى الإله نابو بصفته كاتب الآلهة، فاحتفظ بها، وأصبح بسبب ذلك مُتحكِّماً في مصائر الكون، وكان هذا مدعاةً لانتزاعه اسماء مردوخ الحسنى في المدائح الإلهية، حيث كان يوصف في إحدى أناشيد العصر الآشوري الحديث، بِمُفجِّر الينابيع ومانح الخصب والنمو للمزروعات، وكانت هذه صفات الإله أنكي إله الحكمة والمياه العذبة.

وقد وصل الأمر في القرن الثامن قبل الميلاد، أن أصبح الإله نابو يمثل النزعة التوحيدية في الديانة الرافدية (الآشورية البابلية) فقد ذكرت كتابة مدونة على أحد التماثيل: ((أثقُ بِـ نابو ولا أثقُ بغيره من الآلهة)).

♣ – نيسابا، هي إلهة الكتابة والحساب والعلوم والعمران والفلك، والقصب الذي يُصنع منه القلم، وكانت لفترة زوجة الإله نابو.

وبعد سقوط الدولة الآشورية، ارتفع مقام الإله نبو إلى أقصاه عند الملوك الكلدانيين البابليين، وحاول كهنته وضعه فوق جميع الآلهة، لكن محاولتهم – هذه – لم تنجح[٦٦]. وتبقى الوظيفة الأهم لنابو، هي كتابته وحفظه لألوح القدر.

[٦٦] – د. ازدارد، و م.هـ. بوب، و ف. رولينغ: مرجع سابق، ص ١٦٥، ١٦٦.

ألواح القدر والمُلكية وحكم الملوك

يبدو أن الملكية – أي حكم الملوك على الأرض – كانت – أيضا – قد نزلت من السَّماء، حسب ما عُيّن لها، وهذا ما أخبرتنا به قصة الطوفان السُّومرية، التي تُعبِّر عن عقائد السومريين، في أصل الكون، وأصل الآلهة، وأصل المُلكية وتأسيس المدن، إذ ورد ذكر ما لا يقل عن خمس مدن أُسِّست قبل الطوفان، وفي هذا الصدد، نقرأ:

- بعد أن أُنزلت ... المُلكية من السّماء.
- وبعد أن أُنزل التاج والعرش الخاصّان بالملكية من السّماء.
- أكمل رسوم العبادات **والنواميس الإلهية المقدسة** ...،
- وأسس المدن الخمس في مواضع مُطَهَّرة ...، وسمّاها بأسمائها، وخصصها كمراكز للطقوس والعبادات.

ومن ثم يتحدث النص عن إعطاء كل مدينة إلى إلهٍ خاصٍ بها، نقرأ:

- وأعطى أولى المدن وهي إريدو إلى نودِمُّد (وهو أحد أسماء أنكي).
- والثانية (باد – تبيرا) أعطاها إلى ...،
- والثالثة (أوروك) أعطاها إلى (اندُر بِلخُر ساج)
- والرابعة (سبار) أعطاها إلى البطل (أوتو)

- والخامسة (شروباك) أعطاها إلى (سدْ)[٦٧].

لقد كان للآلهة – وحسب اعتقاد سكان بلاد الرافدين القديم – سلطانٌ غير مُحدد على الإنسان، ينضوي تحته الملك، الذي طالما تفاخر به بأنه ابن الآلهة، والرجل العادي على السواء. وكان من أهم مظاهر السلطة الإلهية، إنها مصدر المُلكية، التي تنزلها على الأرض، وإنها – هي – التي تُحدد مصائر البشر وأقدارهم، وتحتفظ بألواحها في **(أعلى مكان من سماء آنو).**

إذن، لقد هبطت المُلكية على الأرض قبل الطوفان وبعده، وكلما خلا كرسي العرش، بسبب وفاة الملك، أو أي سبب آخر، عادت برموزها الدّالة عليها إلى السّماء، لتوضع أمام عرش كبير مجمع الآلهة وأبيهم الأول، حتى إذا بدأ عهد جديد هبطت من جديد راجعة من السّماء[٦٨].

وهذه المُلكية هي من نواميس الـ (المي) التي كان يحتفظ بها أنكي في مدينته إريدو، ثم أخذتها انانّا معها إلى مدينتها أوروك كدلالةٍ على انتقال السِّيادة والحضارة إليها، وعند قراءتنا لهذه النواميس، نجد أن أول سبعة نواميس منها، تتعلق بمفهوم الملكية والسِّيادة، هي: ١ – السِّيادة،

---

[٦٧] – صمويل كريمر: من ألواح سومر، مرجع سابق، ص ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤.

[٦٨] – عبد الغفار مكاوي: جذور الاستبداد – قراءة في أدب قديم، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٩٢، ١٩٩٤م، المجلس الوطني للثقافة والأدب، الكويت، ص ٥٨.

٢ – الألوهية، ٣ – التاج العظيم الخالد، ٤ – عرش الملوكية، ٥ – الصولجان العظيم، ٦ – الشارات الملوكية، ٧ – المزار المعظم، ٨ – الرعاية، ٩ – الملوكية[٦٩].

[٦٩] – خزعل الماجدي: متون سومر، مرجع سابق، ص ٢٥٨.

نتائج فقدان ألواح الأقدار

كثيراً ما كان يَرِدُ في العديد من النصوص، أن امتلاك ألواح القدر، كان يعني امتلاك القدرة الشاملة، والسلطة والقوة المُطلقة، وكذلك القدرة على تنظيم الكون، وفق أسس دقيقة. إذن، ألواح القدر، هي الحافظة لأسس تنظيم الكون بكل مفرداته، ومن الطبيعي أن فقدانها ووقوعها بيد من لا يستحقها سيؤدي إلى مفاعيل عكسية، قد تكون مُدمرة.

ويبدو أن امتلاك ألواح القدر – الـ (مي) كان ينتقل من إله إلى آخر، وذلك حسب الفترة الزمنية، ومقتضى الحاجة، فمن امتلاكها من قِبل الإله (آن – آنو) إله السّماء، الذي احتفظ بها في أعلى مكان من سمائه، ثم إلى الإله إنليل إله الهواء والأجواء، الذي كان يحتفظ بها تحت أنفه، ثم إلى الإله (أنكي – أيا) إله الماء والحكمة، وذلك في الألف الثالث قبل الميلاد، ومن ثم إلى الإله مردوخ سيد الآلهة في العصر البابلي، في الألف الثاني والأول قبل الميلاد، ويبقى الحافظ النهائي لها وكاتبها الإله نابو إله الكتابة، كما ذكرنا سابقاً.

فعلى اعتبار أن هذه الألواح تُمثل سلطة الإله، وهي التي يستطيع بواسطتها تسير أمور الكون، فإن سرقتها تسبب الكوارث، وتخل بسير الكون وإدخال الرعب إلى قلوب الآلهة، لذلك اعتقد سكان بلاد الرافدين،

بأن حسن سير الكون، يكْمُنُ في إرضاء الآلهة، وأن غضب الآلهة يعني عقاب البشر[٧٠].

ويمكننا الإطلاع على نتائج غياب ألواح الأقدار أو المصير، من خلال عيد الآكيتو، عيد رأس السنة البابلي، خاصة في فترة غياب الإله عن المدينة لمدة يوم أو يومين على الأكثر. ففي هذه الفترة تعيش المدينة بدون مصائر مُقدَّرة، أو بعبارة أخرى، وسط فوضى كونية، يجهل، أو بالأحرى، يتجاهل، الناس نهايتها، وكان سكان بلاد الرافدين القدماء – في هذه المدة بالذات – يعتقدون أن الإله الرئيس للمدينة يختفي خلال تلك الفترة الوجيزة، ويواجه الخطر في محنةٍ هي أشبه بالمخاض المؤلم قبل الولادة، أو دامس الظلام، قبل بزوغ الفجر.

ففي هذه الفترة من غياب الإله، كان الناس يشعرون بالحزن والغم، بسبب غياب إلههم الحامي، وذلك في مواجهة المصير المجهول، الذي سيقرر حالتهم في السنة الجديدة، ولكن الآمال كانت مُتعلِّقة بمساعدة بعض الآلهة (زوجته، أمه، أخته، ابنه) في العثور عليه، وبالطبع كانوا ينجحون في هذا، فيعود الإله إلى مدينته وسط احتفالات الفرح والسَّعادة، وتتقرر المصائر للسنة الجديدة. ويبدو أن هذا (الموت)

---

[٧٠] – ديوان الأساطير، سومر وأكاد وآشور – الكتاب الثاني – الآلهة والبشر، ت. قاسم الشّواف، تقديم، أدونيس، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩٧م، ص ٣٠٧، ٣٠٨.

السنوي، كان يدخل في الحيز الاحتفالي وشرعية الحكم وتوجيه شؤون البلاد ومصائر الناس[٧١].

خلاصة القول: ألواح الأقدار، هي ألواحٌ محفوظة لدى الآلهة، التي تعرف قدرها، وتحافظ عليها من الضَّياع، خشية وقوع ما لا تُحمد عُقباه، وهذا هو الشيء الذي تخوَّفَ منه الآلهة، عندما سرقها الطائر أنزو، من الإله إنليل، فسارعت إلى إعادتها، مهما كلَّف الثمن، كما سنرى لاحقاً.

---

[٧١] - نائل حنون: الحياة والموت في حضارة، مرجع سابق، ص ١٥٤، ١٥٥.

البحث الخامس

مفهوم المصير عند البابليين

وعلاقته بالـ (مِهْ – مي – ME)

كُنّا قد رأينا سابقاً، كيف عرَّف العالم: ماكس . س . شابيرو، رودا . أ . هندريكس، في كتابه: / معجم الأساطير/، ألواح القدر، بأنها: ألواحٌ خُطَّت عليها أقدار ومصير شعب بأكمله، شعبٌ اعتقد بأنه محور ومركز الكون والعالم، إذن هي من حددت مصير العالم، وإن الرب الذي كانت هذه الألواح بحوزته يُصبح كُلّي القدرة، وقد أسموها بـ (دوب شيماني) [٧٢]، ولو بحثنا عن معنى هذه الكلمة في قواميس اللهجات السومرية والأكادية، لوجدنا، أن:

كلمة دوب بالسومرية تعني: ذرى، رقيم، وثيقة.

وكلمة (دوب – شين) تعني: صندوق حفظ ألواح الكتابة[٧٣].

وكلمة دوبو duppu (m) بالأكادية تعني: لوح (خشبي) صينية[٧٤].

---

[٧٢] – ماكس . س . شابيرو، رودا . أ . هندريكس: مرجع سابق، ص٢٣٥.

[٧٣] – نائل حنون: دراسات في علم الآثار، مرجع سابق، ص ١٠٠.

وكلمة (ش ي م) بالأكادية تعني: قَدَّرَ (القدر، المصير).

وكلمة شيمة الأكادية تعني: قدر، مصير [٧٥].

وكلمة شيمتو šemû(m) تعني: سمع، تعلم، وهي من السَّمع[٧٦].

نجد أن: كلمة (دوب) في كل ما سبق، تأتي بمعنى، الرقيم، اللوح، الوثيقة.

وكلمة (شيم) تأتي بمعنى: قدر، مصير، سمع.

نخلص من كل ذلك، أن كلمة (دوب شيماني) تعني: ألواح القدر، رقيم القدر، أو بمعنى الوثيقة الواجب السَّماع لها وتنفيذها. وبالتالي هي من تحدد مصير الإنسان.

إذن، وبعد التعرف على المعنى اللغوي لكلمة (دوب شيماني)، يجدر بنا الدخول في عالم الفكر واللاهوت والعقائد البابلية، للتعرف على رؤية هؤلاء الناس لفكرة المصير، متى وجدت؟، ومن أوجدها؟،

---

[٧٤] – عيد مرعي، اللسان الأكادي – موجز في تاريخ اللغة الأكادية وقواعدها، الهيئة العامة السورية للكتاب، تاريخ العرب والعالم (١٠)، دمشق، ٢٠١٢م. ص ١٤٢

[٧٥] – نائل حنون: دراسات في علم الآثار، مرجع سابق، ص ٢٦١.

[٧٦] – عيد مرعي، اللسان الأكادي، مرجع سابق، ص ٢٨٢.

ومتى، وكيف تعاملوا معها؟!!. وهل آمنوا بها؟، وهل هناك من سبيل للتخلص منها؟. هي أسئلة كبيرة سنحاول الإجابة عليها.

إن الباحث في الأساطير الرافدية، وما خطته من تعابير تخصُّ موضوع المصير، وحتى القارئ العادي، سيجد، وبكل سهولة، أن فكرة المصير، كمصيرٍ مُقرر، أو (مكتوب) للإنسان، لم تتم قبل خلق الآلهة – خاصةً – الكِبار منهم، وذلك على اعتبار أن هؤلاء الآلهة، هم مَنْ خلق البشر، وبالتالي هم من قرروا مصيرهم، لذا فأن مصير البشر تقرر بعد خلقهم من قِبل الآلهة. نقرأ في أسطورة الخلق البابلية:

- حينما لم يكن أي من الآلهة في الوجود
- فهم لم يُذكروا حتى بالاسم
- ولم تقرر **المصائر** بعد
- بعدئذٍ خلق الآلهة في داخلهم[٧٧]

ويبدو أن اهتمام البابليين – ووفقاً لما سبق – لم يكن مُنصبّاً على فكرة الزمن بحد ذاته، من حيث تسلسل عملية الخلق التي كانت بديهية بالنسبة لهم، بل كان كل ما يشغل فكر الإنسان البابلي، هو (المصير) أي مصير هذا الإنسان وليس الزمن، وذلك تماشياً مع المثل السومري القائل: ((اتبع مصيرك)). وهناك من ذهب إلى تعريف فكرة أو مفهوم

---

[٧٧] – نائل حنون: الحياة والموت، مرجع سابق، ص ١٩.

المصير، لدى البابليين، كما يلي: ((هو الضرورة الحتمية التي تتحكم بجميع الموجودات، أو القوة التي لا يمكن إدراكها على الإطلاق، ولها يخضع جميع الناس، ويمكن أن تتجلى بلا ذات)).

وهنا نطرح السؤال التالي: هل كان البابليون يعتقدون بأن حياتهم مُسيَّرة ؟. أي، هل كانوا يؤمنون بفكرة (الجبرية) ؟[٧٨]. وهل كان لهم من الخيارات في الحياة بما يُغير هذا المصير ؟.

إن الباحث في تاريخ الفكر البابلي، يجد أنه لا يوجد مفهوم شامل للمصير، على جميع المستويات الحياتية واللاهوتية والأسطورية، بل هناك حالة من التشتت والتعددية، مبنية على فكرة وجود مجموعة من مصائر الأشياء التي يتشكل منها العالم.

وفي هذا المجال يمكن الإشارة إلى مفهوم، الكلمة السومرية (نام – تار nam – tar) والتي تقابلها في الأكادية كلمة (šimtu) شيمتو، ويمكن ترجمة الكلمة السومرية (نام – تار) بكلمة (المصير) أو (قدر)، أي أن كلمة (نام – تار) تعني: (إله القدر، أو شيءٌ ما قريب من ((ملك الموت))).

ويُعتبر الإله (نامتار) من الآلهة المُهمة المعروفة في عالم الموتى عند البابليين، فهو وزير العالم السفلي، ورسول الربة إيريشكيجال، وقد

---

٧٨ – كلشكوف: مرجع سابق، ص ٣٣.

كان البابليون يعتقدون أنه كان لكل شخص (نامتار) خاص به، هو سيد (قدره) ومُقرر موته في خاتمة الحياة. إذاً، الـ (نامتار) هو الإله المسؤول عن قبض الأرواح، وهو الذي يُحدد ساعة القيام بذلك.

ويعتقد العالم ثوركليد ياكبسون: أن كلمة (نام – تار) تعني: (الـ لا أحد، أو لا شيء، الذي يُقرر المصير ... وتُشير هذه الصيغة ((nam – tar – mu –)) التي تعني ((ذاك الذي)) أو ((الشيء الذي)) يقرر المصير)[٧٩]، وإن استخدام هذه الكلمة (nam – tar) كان للتعبير عن حدث تثبيت أو تقرير المصير، أي إنه المصير في الجوهر.

ويمكن القول: أن كلمة (nam) في السومرية تعني المصير، التي – ربما – ارتبطت بشكلها، بفكرة هذا الرمز (nam) أو الكلمة (nam) للتعبير عن المصير[٨٠].

والجدير بالذكر أنه، في اللغة (اللهجة) السومرية، نجد أن كلمة (نام) (nam) لها عدة معانٍ، ومنها، فيما يخص هذا الموضوع، أنها تعني: المصير أو المَنية بالعربية الفصحى. وقد يلحق الفعل السومري (تار) (tar) بالكلمة (نام) ليدل على نفس المعنى.

---

[٧٩] – كلشكوف: مرجع سابق، ص ٣٤.

[٨٠] – المرجع نفسه، ص ٣٥.

أما كلمة (تار) فتقابل بالعربية (قطع)، وإذا تقدمت الكلمتين السومريتين العلامة الدالة على الآلهة، (دنكر♣ DINGIR) فيصبح الاسم دنام.تار (^{d}nam tar) الذي يرادفه في الأكادية، نمتار namtaru، وهو اسم رسول آلهة عالم الأموات إيريشكيجال ووزيرها، أي إنه كان ملاك الموت[٨١].

♣ – ✳ العلامة الدالة على الإلوهية.

[٨١] – نائل حنون: الحياة والموت، مرجع سابق، ص ٢٠٠.

مفهوم المصير الأكادي

أما فيما يتعلق بالمفهوم الأكادي عن المصير (šimtu) السّالف الذكر، والذي يقابل المصطلح السومري (الغاية)، (تعيين)، (وصية)، (مصير)، (قدر)، و(الموت المكتوب)[٨٢]. فقد اشتقت هذه الكلمة من الفعل samu بمعنى وضع، أو حدد، أو عيَّنَ، ويعتقد الباحث (ل – كينغ) أن هذه الكلمة samu كانت تُفهم كفعل (التحديد، الوضع) أي تقرير المصير[٨٣].

ونجد في اللغة (اللهجة) الأكادية، أن الشكل الصوري الأول لكلمة (شيمةُ) (šimtu) هو رسم الغراب، ثم تطور إلى الشكل الأخير للعلامة. وهنا، لا بد من الإشارة، إلى الشؤم الذي اقترن بالغراب، حتى يومنا هذا، وإلى التسمية العربية (غراب المحتوم) أو (غراب البين)[٨٤]

وهنا، نخلص إلى وجود فكرة أو جوهر المفهوم ذاته، أي المصير، وهو الذي يعني: شيءٌ ما مُقَرَّرْ من قِبَل شيء ما، أو قوة ما، أو شخص ما، وهنا يبدو مفهوم المصير، كقوة مُتحكِّمة ومُسيرة للذي تقررت أموره (أي مصيره).

---

[٨٢] – كلشكوف: مرجع سابق، ص ٣٥.

[٨٣] – المرجع نفسه، ص ٣٦.

[٨٤] – نائل حنون: الحياة والموت، مرجع سابق، ص ٢٠٠.

مفهوم المصير البابلي

وفي الفكر البابلي القديم، نجد أن تقرير المصير (شيمتو – المصير) كان يرتبط بحدث الإعلان عن الأمر الإلهي الذي يُحدد شكل وأسلوب وهدف وحدود وجود هذه الظاهرة أو تلك.

ووفق هذا المفهوم، تكون الكلمة البابلية (**شيمتو**) بمثابة الكلمة الإلهية المُقرِّرة لـ (طبيعة) الاشياء. أضف إلى ذلك، أن تسمية الشيء باسمه، وتقرير مصيره (هما نفس الشيء تقريباً) يعني خلق هذا الشيء، ودعوة المُسمَّى، ليكون الشيء غير موجود، ما دام بلا اسم، وما دام لم يتقرر مصيره، أي أن وجود الشيء مرهون بتسميته من قِبل الآلهة، أو مقرري المصير، وهذا ما يذكرنا بقوة (**الكلمة**) التي كانت هي إحدى أهم عناصر القوة الإلهية القادرة على الخلق. وهذا ما نجده في الملحمة السومرية المشهورة (حينما في العلى) أي أسطورة الخلق، فنقرأ:

- ((عندما، في الأعالي، لم تكن السّماء قد **سُمِّيت**
- وفي الأسفل، لم **تُسمِّ** الأرض باسمها
- ......
- قبل أن يظهر الآلهة الآخرون للوجود
- **قبل أن تُسمَّى الأسماء، وتُحدد الأقدار**
- ......
- آنذاك، لم يكن أي شيء، سوى الفوضى المائية المختلفة)).

إذن، لقد اعتقد البابليون أن لكل شيء مصيره في هذا الكون، للآلهة وللبشر، ولكل ظاهرة طبيعية أو اجتماعية، لكل شيءٍ على الإطلاق، ومصير الإله يُقرر دوره (أي مجال نشاطه) وعظمته، وموقعه في مجمع الآلهة، أي أن هناك إله قد كُلِّفَ بخلق أشكال القوالب لصناعة الآجر، وهذا تقرر أن يكون إله الغلال، وذاك مسؤولٌ عن صناعة المعادن، وآخر للزراعة أو للماشية ... إلخ. وكان مصير كل ظاهرة من الظواهر يبدو وكأنه مصير الإله نفسه، فطبيعة الرعد والعواصف والأمطار، كانت بمثابة مصير الإله هدد (حدد – أدد – أشكور) مثلاً.

أما المؤسسات الاجتماعية، فكان لكل منها مصيرها المُحدد، أي موقعها من حياة المجتمع، وشكل كينونتها، وكمثال على ذلك، نجد أن المفهوم السومري للحكم الملكي (nam – Lugal) الذي يعني حرفياً (مصير الملك) وبالتالي مصير مؤسسة الملكية. وهكذا، فالمصير، هو جوهر كل شيء، وكل إنسان، وهو مستقبله المُقدَّر من قِبل الآلهة. وهنا يَطرح السؤال التالي نفسه: من كان يقرر هذا المصير ؟ [٨٥].

إن الباحث في تاريخ الأساطير، الغائر في لُبِّ معانيها، يجد أن جميع الآلهة تُشارك وتساهم في تقرير المصائر، وإن على درجات ومستويات مختلفة، ما بين آلهة كِبار، أو عِظام، أو آلهة عادية. فقد

---

[٨٥] – كلشكوف: مرجع سابق، ص ٣٦، ٣٧.

كانت لكل إله دائرة اهتمامه، والمسؤوليات الخاصة به، وكانت الصلاحيات عند بعضٍ أكثر مما عند البعض الآخر، وذلك حسب الموقع الذي يحتله – الإله – في مجمع الآلهة، فَلِكُلٍّ شغله واهتمامه.

وقد انعكس هذا الأمر على الواقع، أي، على الإنسان، فلكل فردٍ عمله المُحدد، فالفخّاري مسؤول عن صناعة الفخار، والراعي يسهر على القطيع، وهو الذي يُحدد ويُقرر ما عليه أن يفعل، أو يتصرف بقطيعه. لكن، من هو المشرف العام عن كل هذه المصائر، وعن كل هذا النظام الدقيق ؟.

وهنا نجد، أن أساطير بلاد الرافدين، كانت من الشمول والوضوح والكثرة، بحيث أنها تُجيبنا عن بعض هذه التساؤلات، فنجد أن هناك آلهة شتى، هي الآلهة الكِبار السبعة، أمثال: (آن – آنو) إله السّماء وسيد الآلهة .. وإنليل، سيد الهواء والجو .. والإله (أنكي – أيا) سيد الماء والحكمة والأرض .. وننماخ، الإلهة الأم العظيمة .. ومردوخ، رب الأرباب في العصر البابلي .. وشمش، إله الشمس والعدالة .. وآشور، رب الأرباب في النصوص الآشورية، وربما غيرهم، وذلك تبعاً للمرحلة الزمنية، التي يكون الموضوع بصددها. إضافةً إلى الآلهة الخمسين العِظام. كما نجد في بعض النصوص، وجود أكثر من إله مسؤول عن تقرير نفس المصير.

ويُشير العالم ثوركليد. ياكبسون، إلى أن مراسيم تقرير مصير العالم واتخاذ القرارات المُهِّمة من قِبل الآلهة، تُشبه عملية اتخاذ القرار، التي تتم بطريقة ديمقراطية، فالحكم والقرار النهائي يرجعان إلى مجمع الآلهة، حيث يُعقد الاجتماع برئاسة كبير الآلهة (آن – آنو) إله السّماء، وبعد ذلك يتم الإعلان الشّكلي عن القرارات والحلول من قِبل الآلهة السبعة الكِبار (مُشرِّعي القوانين) ثم تجري المُصادقة عليها من قِبل الجميع بالهتاف: ((ليكن هكذا))، وعندها فقط تكتسب صيغة القانون (nam – tar – a)، وكان للآلهة الخمسين العِظام دورٌ بارزٌ ومتميز في تهيئة ومناقشة القرارات.

وإذا ما اعتبرنا، أن هذه الصورة، التي قدمها ورسمها ياكبسون مثالية، فإننا نستخلص، أن دور مجمع الآلهة في عملية اتخاذ القرارات المُهمة يبقى مبهماً!!.

وهنا، يمكننا أن نسوق مثالاً على ذلك، من خلال القرار، الذي أُتخذ في مسألة خلق الإنسان من أجل قيامه بالأعمال الشّاقة الموكَلة بالأساس للآلهة من الدرجة الثانية، نقرأ في ملحمة أتراحسيس:

- حين كان الآلهة كالبشر
- عملوا، وشقوا، وتحملوا الأعباء
- عظيماً كان عبء الآلهة
- العمل شاق والنوائب كثيرة

- سبعة من الأنوناكي العِظام
- أرغموا الإيجيجي على العمل

ويبدو أن الآلهة (الإيجيجي) كانوا قد ثاروا، بعد أن أضناهم العمل، نقرأ:

- فرموا اسلحتهم في النار
- وتجمعوا أمام معبد إنليل
- واضطرب إنليل وهرع مُستنجداً بملك الآلهة (آنو – آن)

وبعد المناقشات والمفاوضات، التي ترأسها إنليل، تم القرار بخلق الإنسان، وحسب قوله – أي الإله (أنكي – أيا) – وفي نفس الأسطورة، نقرأ:

- في الاجتماع قالوا: ((**فليكن هكذا**))
- **الأنوناكي العِظام، مُسيرو الأقدار**
- في اليوم الأول، والسابع، والخامس عشر
- انتهوا من غسل أنكي
- وفي اجتماعهم هذا **قرروا**
- قتل الإله (أويل ؟)♣ ذي العقل !!؟؟.

♣ – وهو الإله (وي – ايلا)، الذي يرد في مقدمة ملحمة (اترا – خاسس) الأسطورية، الذي قرر الآلهة ذبحه، بمشورة الإله أيا، لتمزج الإلهة الأم ننخرساك

إذن، لقد أُتُّخذَ القرار بالإجماع بالفعل، ولكن من قِبل صفوة مُختارة ضيقة جداً من الآلهة، لكن هذا النص لا يُشير إلى أن القرار عُرِضَ للمصادقة عليه من قِبل المجمع العام للآلهة، أم لا [٨٦]. ونرى هذا يتكرر مرةً أخرى في نفس الملحمة، عند القرار الجماعي للأنوناكي العِظام بالقضاء على البشر بواسطة الجوع.

ووفق النصوص الآشورية والبابلية الحديثة، نرى أن الآلهة أوقفت الأمطار وأرسلت الطاعون بأمر من الإله إنليل، وفي ملحمة (عندما في العلى– ملحمة الخليقة) يطلب مردوخ من أنشار الدعوة لعقد اجتماع الآلهة لمنحه الحق المُطلق في تقرير المصائر بدلاً عنهم، فقد تم اختيار مردوخ – خاصة بعد القضاء على تيامة – ليكون مسؤولاً، أولاً عن الأقدار. ورغم كل ذلك فقد واصل (آلهة المصائر الكِبار السبعة) و(الآلهة العِظام الخمسون) مهامهم، بعد تسليم الأمر إلى مردوخ، مما يدل على أن الدور الجديد المُناط بمردوخ لم يؤثر على دور هذه الآلهة، ولم يُغير من وضعهم.

لحمه ودمه بالطين، الذي يُعدُّ لخلق الإنسان، وبذلك يمتزج شيء من الإله مع تكوين الإنسان، وهو الذي يصفه النص القديم، بأنه: ((الإله ذي المشورة))، انظر، كتاب: نائل حنون: الحياة والموت، مرجع سابق، ص ١٣٤، ١٣٥.

[٨٦] – كلشكوف: مرجع سابق، ص ٣٨، ٣٩، ٤٠.

لذلك نستطيع القول: أن تقرير المصائر مرهونٌ بالدرجة الأولى بالآلهة الكِبار السبعة، ومن ثم بالآلهة العِظام الخمسين، بالتصويت والموافقة – وربما – بالمشاركة الشكلية.

ويبدو أن السلطة العليا في عالم الآلهة، كانت مرتبطةً بلوح الأقدار، الذي يَمنحُ حامله سلطة الإشراف على مصائر الآلهة، وبالتالي سلطة التحكم بالكون[٨٧]، ومن هنا يمكن ربطها بمفهوم الـ (مي – ME) السّالف الذكر عند السومريين♠.

---

[٨٧] – كلشكوف: مرجع سابق، ص ٤٠.

♠ - إن القدر في الفكر الإغريقي، هو تلك القوة الغامضة، التي يخضع الجميع لسطوتها، ولا يُستثنى منها الآلهة أنفسهم، والتي تبدو بحثاً عن مبدأ موحَّد تطلَّبه قلق العقل الإنساني الذي مزَّقه الشُّرك، وإن القدر كما بيَّن البعض بالنسبة للإغريق القدماء، هي تلك القوة، التي لا يمكن للآلهة القدرة على السيطرة عليها، وتصف الأساطير الإغريقية القدر بأنه: تلك القوة الخفية، التي هي أقوى من الإله زيوس، فنجد هيرا تسأله ذات مرة في خبثٍ أو استخفاف، إن كان بوسعه أو نيته أن ينقذ من الموت رجلاً كُتِبَ عليه أن يموت في لوح القدر.

كما آمنت القبائل ((الآرية)) بوجود القضاء والقدر، وكانوا يرون فيه شيء غير مُجسَّد يفوق كل الآلهة من البشر، ولا يمكن التأثير عليه بتلاوة الصلوات أو بتقديم القرابين أو حتى السحر.

مفهوم الـ (شيمتو – المصير) البابلي بشكل عام

كان من الطبيعي أن تكون فكرة المصير، من الأفكار المحورية التي شغلت مُخيلة وذهنية سكان بلاد الرافدين، وهم المأخوذون بالدين والفكر الديني، هذا الفكر الذي جعل من هؤلاء يسلِّمون أمرهم إلى آلهتهم، أولاً، ومن ثمَّ إلى كهنتهم ثانياً، كيف لا، والموت يخطف كل يومٍ العشرات منهم، إذن، لا خلود للإنسان، فالموت هو المصير المحتوم للجميع، فحتى الملوك لم يُخلَّدوا، وإن كان جزءٌ من بعضهم إلاهاً، فجلجامش، الذي أمه الإلهة نينسون♠ وبالتالي ثلثاه إله، لم ينجُ

ويؤكد أصحاب مذهب الزروانية الجبرية – وهو أحد المذاهب التي انبثقت من الزرادشتية خلال العصر الساساني – أن القدر لا يحدد فقط النصيب الدنيوي للإنسان، بل، شخصية الإنسان أيضاً.

وفي الهند في العصر ((الآري)) نقرأ عن إيمانٍ مطلق بالقدر. انظر الحاشية السفلية في كتاب: اسامة عدنان يحيى: الآلهة في رؤية الإنسان العراقي القديم، مرجع سابق، ص ١٨٠، ١٨١.

♠ – الإلهة نينسون، التي تَعْرِفُ كل المعرفة، إلهة مدينة كلّاب السومرية (الشقيقة لأوروك والمجاورة لها)، وهي البقرة الوحشية الجيدة، وأم العجل الجيد، ورمزها البقرة، وقرينها (زوجها) الملك ورئيس كهنة المدينة (لوجال بندا)، وهما والدا الملك جلجامش، انظر كتاب: هنري س . عبّودي: معجم الحضارات السّامية، جروس بُرس، طرابلس، لبنان، ط ٢، ١٩٩١م، ص ٣١٨، ٨٧٣.

من الموت، ولم ينل الخلود، وهو خيرُ مثالٍ على ذلك، فلا بد من المصير (شيمتو) المحتوم.

وفي هذا الصدد، يمكن القول: إن البابليين، نظروا لهذا القدر المحتوم، بصيغته الـ (شيمتو) البابلية♣، على أنه، يُمثِّل تمازج نوعين من المعتقدات أو التصورات عن المصير:

١. المصير، مثل الـ (مي – ME) السومرية، وهو (الطبيعة) الثابتة للأشياء، وهي ترتبط بالقدرة القديمة، وهنا لا نقصد بالقديمة جوهر القضية، بقدر ما نقصد، أنها تُساهم في إدراك البُعد الزمني، بينهم وبين ذلك العهد القديم، مما أدى إلى صعوبة إيجاد تفسير مُقنع له.

♣ – **إن كلمة** (šimtu) التي ترجمها علماء الآشوريات، بأنها قضاء وقدر أو نصيب أو مصير، هي بشكلٍ عام تدلُّ على مِزاج ذي فاعلية مُفعمة بالقوة، تتمكن من الفصل والتنظيم. وفي ملحمة الخليقة ما يدل على وجود الأزمان الأصلية قبل أن تُعطى أسماء الآلهة، أي قبل أن يتكون الشيمتو الخاص بهم، أي وظائفهم وواجباتهم، ويُسمّى منادي الموت عندهم بـ نمتار (Namtar) وهذا التعبير يساوي الكلمة شيمتو، ينظر في هذه الموضوع، كتاب: اسامة عدنان يحيى: مرجع سابق، ص ١٧٩.

٢. المصير، بمثابة مستقبل الظاهرة، أو الكائن الحي، والمُقرَّر من قِبل الآلهة، وقد نشأت – هذه الفكرة – في مرحلة سّيادة هذا النوع [٨٨].

وعلى الرغم من عدم وجود إشارات في النصوص، تُشير إلى ذلك، لكن بعض المعطيات – هي – التي تُشير إلى هذه الفكرة، التي تؤكد من كل العرض السّابق، أن المصير، يتقرر في لحظة نشوء الظاهرة، فنجد في النصوص عبارات على شاكلة: لقد تقرر مصير المدينة عند تأسيسها، ومصير الإنسان عند ولادته.

وفي العقل الجمعي لسكان بلاد الرافدين، كان يطفو نحو السطح – دائماً – فكرة يعرفها الجميع، وهي: (أن الكلمات التي تُقال للطفل عند ولادته: يمكنها أن تُصبح مُسيّرتهُ طيلة فترة حياته، وهذه الفكرة تذكرنا في الوقت الحاضر، عند قيام البعض بالتكبير في أذن الوليد (الطفل لحظة ولادته) بُغية تحديد مصيره من حيث الانتماء الديني. وفي هذا الصدد، يُشير العالم ثوركليد ياكبسون إلى البيتين التاليين من قصيدة (نشيد نونجال) حيث نقرأ:

- أنا أُعين الإلهة نينتو على ولادة الطفل
- أنا أعرف كيف يُقطع (الحبل السري) **ويتقرر المصير**.

---

[٨٨] – كلشكوف: مرجع سابق، ص ٤٢.

ويبدو من النصوص كافة، أن قرارات الآلهة وكلمتهم والمصير المُقرَّر من قِبلهم، تكون نهائية وغير متغيرة دائماً، فتقرير المصير النهائي (الثابت) للإنسان عند ولادته، لا بدَّ وأن يؤدي إلى تقرير مستقبله بشكل تام، ولا بد – في نهاية المطاف – أن يقود إلى القدرية التامة، فلا فائدة تُرجى من أي محاولة للتوجه نحو الآلهة بالرجاء، لتبديل الوضع (المصير).

ومع ذلك، نجد بعض النصوص الأكادية، التي تُخبرنا عن الكثير من الأدعية، التي تتحدث عن الرغبة في تغيير المصير، منها: ((الرجاء تقرير مصير جيد، أو رديء، للمعبد والمدينة والإنسان ... وإطالة العمر وغير ذلك))، وكذلك نقرأ: ((أن فلاناً قضى نحبه في غير موعده))[٨٩].

كما نجد، أن هناك العديد من الأساطير الرافدية، التي تؤكد أهمية سعيهم وراء الحياة، مثل أسطورة إيتانا Etana الراعي[♣]، الذي

---

[٨٩] – كلشكوف: مرجع سابق، ص ٤٣، ٤٤، ٤٥.

[♣] – إيتانا: هو الملك الثالث عشر، من حكام سلالة كيش الأولى السومرية بعد الطوفان، وقد حكم في الفترة ما بين ٢٩٠٠– ٢٧٠٠ ق.م، وهو يوصف بالراعي الذي صعد إلى السّماء على ظهر نسر، وقد كان عقيماً، فصعد باحثاً عن نبتة الخلود، لكنه، وعندما غابت عن ناظريه الأرض، خاف وقرر العودة، فسقط عن ظهر النسر، فتبعه النسر حتى أمسك به، وللأسف إن اللوح – الذي نقشت عليه هذه الكلمات – قد تهشم هنا.

حاول أن يرقى إلى السّماء على ظهر النسر، للحصول على نبتة الخلود، لكن محاولته – هذه – باءت بالفشل. بل – حتى – دموزي (تموز)، الذي كان – في الأصل – ملكاً على أوروك، والذي قِيلَ أنه تزوج من الإلهة انانّا، كان لا بد أن (يموت)، وعندما هبط إلى العالم السفلي، راحت حبيبته تبحث عنه بغير جدوى، وبقي دموزي ليحكم تلك الأرض، التي لا عودة منها[٩٠].

وفي قصة المعذب والصديق*، أيضاً، نقرأ : أن القدر، هو من يأخذ حياة الإنسان، وهذا ما قاله المعذب لصديقه:

– كنت أصغر الأطفال (عندما) أخذ **القدر** أبي [٩١].

كما يرد على لسان الصديق:

---

[٩٠] – جفري بارندر: مرجع سابق، ص ٢٥، ٢٦.

* – وهي عبارة عن حوار شعري بين معذبٍ جنى عليه الظلم المستشري في عصره، وصديقٍ – له – عالم مُتَّزن، يُعبِّر عن التقاليد والسّلطة الدينية والأخلاقية السّائدة، ويحاول – على ضوء الأفكار والقيم والمعتقدات – البحث عن عدالة التنظيم الإلهي للعالم، والتنظيم الاجتماعي الذي أقامه الآلهة بأنفسهم، وأنزلوه على البشر، على صورة مؤسسات وتشريعات مقدسة، وهي تصور اعتقاد سكان بلاد الرافدين، أن القدر هو من يأخذ الأرواح. ينظر كتاب، عبد الغفار مكاوي: مرجع سابق، ص ٢٠٣، ٢٠٤.

[٩١] – عبد الغفار مكاوي: مرجع سابق، ص ٢١٢.

- مسلّمون آباؤنا يسلكون طريق الموت
- نـهر خُبرٌ♠ يعبرون، قيل منذ القِدم

وفي العديد من النصوص المسمارية – أيضاً – نقرأ عن فكرة الموت المفاجئ، مثال ذلك: ((من كان حيّاً في المساء يكون ميتاً في الصَّباح))[٩٢].

ويبدو من خلال هذا الأدب الغزير، أنهم كانوا يرغبون بعيش عمرٍ مديد وطويل، إلا أنهم، اقتنعوا أن آلهتهم، قدَّرت لِكُلٍّ منهم موعداً لموته، وأنه يجب على كل فردٍ – كما يقولون – أن: ((يذهب إلى مصيره)). وأمام هذا الموت المُحتَّم، لا بد من التسليم بالقدر، وأن الأبدية والخلود، فقط للآلهة، وفي هذا الصدد، نقرأ:

- إن الآلهة وحدها، التي تعيش تحت الشمس إلى الأبد
- أما الإنسان، فإيامه معدودة ... ومهما كان عمله
- فهو ليس إلا هباءً[٩٣].

وهنا يَطرحُ السؤال التالي نفسه: هل كان بإمكان سكان بلاد الرافدين القدماء تحديد يوم الموت؟. أو تغييره، أي أن يموت المرء قبل

♠ -وهو النهر الذي يُحيط بالعالم السفلي.

[٩٢] - نائل حنون: الحياة والموت، مرجع سابق، ص ٢٠١.

[٩٣] – عيد مرعي، فيصل عبدالله: مرجع سابق، ص ١٢٩.

أوانه، أو بحسب التعبير الأكادي (اوم لا شيمةِ) أي (اليوم غير المحتوم) ويُقصد به، اليوم الذي لم يكن، اليوم المُقرَّر لملاقاة المصير؟.

وللإجابة على هذا التساؤل، نجد أن العديد من النصوص المسمارية، تؤكد أن لكل إنسان يوم محدد يلاقي فيه منيته، ولا يمكن أن يتعداه، أو أن يُغيّره، فكل سيموت في يومه المُحدد سابقاً، الذي هو بكل تأكيد من شأن الآلهة، وليس من شأن البشر، الذين لا رأي لهم في تحديده، وقد أبقته الآلهة سراً من أسرارها، وهذا ما أوضحته ملحمة جلجامش من خلال خطاب أوتنابشتيم (نوح) إلى جلجامش، إذ يقول له:

- آلهة أنوناكي، العِظام، اجتمعوا
- ماميتو (إلهة العالم السفلي) مُحدِّدة **المصير**، تُثبِّتُ **المصائر** معهم
- أقاموا الموت والحياة
- لكنهم لم يكشفوا عن يوم الموت[٩٤]
- ....

---

[٩٤] - نائل حنون: الحياة والموت، مرجع سابق، ص ٢٠٠، ٢٠١.

وبالتالي لا يمكن معرفة يوم المصير أو تغيره أو تبديله، فقد باءت كل محاولات الخلود بالفشل، إذ، كان الموت نصيب البشر رجالاً ونساءً، مهما علا شأنهم.

لكن بعض النصوص، تُشير وبشكلٍ واضح، إلى أن هناك قدرٌ كبيرٌ من الغموض كان يلفُّ نظرة هؤلاء الناس، إلى الموت والحياة الأخرى، فالجحيم المُظلم أرالو، أو الأرض الهائلة أو (دار الأشباح)♣ توجد تحت الأرض، وتبلغها أرواح المتوفين، عندما تعبر بالقوارب نهر خُبرٌ، وهناك نجد مملكة إيريشكيجال وزوجها الإله نرجال مع حاشيتهما من الآلهة والموظفين، وعلى رأسهم الإلهة (بيلية صيري)♠ Beleterstim كاتبة العالم السفلي، التي تقوم بتسجيل الداخلين وحاجياتهم[٩٥] وبالتالي التطبيق الفعلي لمصيرهم في اللاعودة إلى الحياة مجدداً.

♣ – أرالو أو أرَلُّ (arallu) كلمة أكادية من الأصل السومري، أ.را.لِ A.RA.LI ولا يُعرف معناها على وجه التحديد، وهناك افتراض أن هذا الاسم، كان تسمية شعبية للعالم السفلي أكثر من كونه مصطلحاً دينياً، انظر كتاب، نائل حنون: الحياة والموت، مرجع سابق، ص ٢٢٨.

♠ – بيلية – صيري، كاتبة العالم السفلي، وقد وردت ترجمتها سابقاً.

[٩٥] – جفري بارندر: مرجع سابق، ص٢٧.

محاولات خرق حتمية المصير

على الرغم من اعتراف الجميع بأن كلمة الآلهة (التي لا تُحرَّف) قد أصبحت بمثابة (الدستور) الحتمي للحياة، وما وراءها، وعلى الرغم من التسليم الكلي بفكرة الموت، جرت عدة محاولات لخرقها، في حالات كثيرة، منها:

١. قيام بعض الآلهة – في حالاتٍ كثيرة – ببعض التعديلات على القرارات المُتخذة من قبل، كما حصل مع بطل الطوفان البابلي – وكل أبطال الطوفان الآخرين – أوتنابيشتيم، عندما أنقذه مجمع الآلهة من العِقاب العام، الذي شمل جميع البشر، من ثم مُنحَ الخلود، وفي هذا خرقٌ واضح لقاعدة (مصير) موت الإنسان المحتوم، وسنورد لاحقاً تبرير هذه الحالة بشكلٍ مقنع.

٢. كان بوسع مجمع الآلهة، وفي بعض الحالات الاستثنائية، تغير (المصير) وذلك في مطلع كل سنة، عند تقرير مصائر السنة الجديدة المقبلة (الآكيتو)، وحتى هذه الحالة، يُمكن اعتبارها – كـ فكرة – بمثابة القدر أو الشيء المكتوب سلفاً، وبالتالي لا يمكن اعتبارها خرقاً.

٣. محاولة نزول الإلهة انانّا إلى العالم السفلي – ربما – لتغيير نُظمه، أو تملُّكه، أو إخراج دموزي منه، وسننظر فيها لاحقاً.

٤. وعلى مستوى البشر، كانت هناك محاولات كثيرة، من قِبل بعض رجال الكهنوت (الدين) تغير (المصير) لبعض الناس – ربما – مقابل بعض الهدايا، أو المال، أو الحظوة ...إلخ. لكن، لا نعلم مدى مقدار نجاحهم بذلك، وكيف يستطيعون إقناع الناس بهذا النجاح!!.

٥. وعلى اعتبار أن علاقة الأب بابنه، يحددها ارتباطهما بنفس الإله الشخصي، فقد اقتضى ذلك، فرض الطّاعة العمياء للآباء، لذا، كان بوسع الابناء الاعتماد على حب وعطف ورعاية آبائهم وأمهاتهم (المؤلَّهين)، وهذا ما دفع البابلي، ليعتمد على تدخل حُماته (إلهه الخاص) لتقرير مصيره، أو محاولة تغيير هذا المصير، وفي هذا الصدد، نقرأ:

- ((إلى إلهي، أبي، قل لي ! هكذا يقول عبدك (ابيل – حدد)
- لماذا تزدريني؟ من سوف يُعطيك آخر مثلي
- اكتب إلى الإله مردوخ، الذي يُحبك، واطلب منه أن يغفر لي ذنوبي
- لأرى وجهك ... سألحس أقدامك،

- أعطف على عائلتي، الصغار والكبار، أعطف عليَّ من أجلهم...))[٩٦].

وفي التعليق على الحالة الأولى، حالة الخلود لأوتنابشتيم وزوجته، نقول: إن هذا الخلود، ليس خلوداً بشريّاً، بل إنهما خُلِّدا كآلهة، لأنه كان قد جرى تحويلهما إلى آلهة قبل خلودهما، وبالتالي لم يُخلَّدا كبشر، وإنما كآلهة. ومنذ أن تحولا إلى إلهين أُبعدا عن البشر، ليعيشا حياة الآلهة الخالدة بعيداً، حيث لا يصل إليهما إنسان، إلا في السِّياق الأسطوري الخارق، الذي يتطلبه لقاء الآلهة، وبالتالي عدم تغيير قواعد المصير المحتوم، ومن هذا التحول، الذي كان بأمر من الإله إنليل، وفي هذا الصدد، وعلى لسان أوتنابشتيم، نقرأ:

- صعد إنليل إلى الفلك
- أمسك بيدي وجاء بي إلى السطح
- وجلب إلى السطح زوجتي وجعلها تركع إلى جانبي
- لمس جبهتينا وهو واقف بيننا ليباركنا
- من قبل كان أوتنا – نبشة (أوتنابشتيم) بشراً فانياً
- لكنه وزوجته الآن يكونون مثلنا آلهة
- وسيستقر أوتنا – نبشة حيث تتبع الأنهار (يقصد دلمون)
- هكذا أخذوني بعيداً ووطَّنوني حيث تتبع الانهار

---

[٩٦] – كلشكوف: مرجع سابق، ص ٤٥، ٤٦.

- .....

وفي ختام القصة، يسأل أوتنابشتيم جلجامش:

- لكن من سَيُقنعُ جميع الآلهة من أجلكَ
- لكي تنالَ الحياة التي تنشد ؟[٩٧].

وبالتالي، لا خلود لكَ أيها الإنسان، مهما فعلت، حتى ولو كنت ثلثا إله.

---

[٩٧] - نائل حنون: الحياة والموت، مرجع سابق، ص ٢٠٥، ٢٠٧، ٢٠٨.

البحث السادس

الإنسان وعلاقته بألواح القدر

في هذا البحث، سوف نتعرف على علاقة الإنسان بألواح القدر، وكنّا قد تعرفنا سابقاً على علاقته بها، لكن، من خلال اعتباره مُتأثراً بها، يخضع لها، ويُنفِّذ نواميسها، ويموت حسب ما قُدِّرَ له فيها، كل ذلك، من خلال ارتباطه بالآلهة، وتنفيذ رغباتها، والتَّسليم بفكرة تفوقها وخلودها، وإيمانه بأنه مَيِّتٌ لا محالة، فهو الضعيف العابد والمُتَعبِّد لها، وهو الخاضع المُتضرِّع في حال أراد إرضاءها، أو رغب بتغيير مصيره وأقداره عبرها، أو بواسطة إلهه الشخصي كشفيعٍ له عندها، لكن، هيهات تغيير هذا القدر.

ولا بد هنا من التساؤل، هل حاول إنسان ما – وهو المخلوق مؤخراً وعرضاً لخدمة الآلهة* – الحصولَ على هذه الألواح؟، رغماً عن الآلهة – كما فعل الطائر أنزو، بسرقتها – أو برضىً منها؟.

---

* - ففي البدء لم يكن في الكون مخلوق أو كائن سوى العماء، الذي تمثله المياه البدائية المؤلفة من عنصرين أحدهما مذكر، هو (الأبسو) والآخر مؤنث هو (تيامة)، ومن هذين العنصرين، وُلدت جميع الأشياء والآلهة، فأول ما جاء منهما، إلهان هما: (لخمو) و(لخامو)، جاء منهما الآلهة الأخرى. أما الإنسان، فلم يُخلق إلا عرضاً، وبعد زمن طويل على خلق الآلهة.

تذهب بعض الدراسات – خاصةً – التي قدمها د. خزعل الماجدي، إلى اعتبار أن بعض ملوك بلاد الرافدين، كان قد حصل على جزءٍ يسير من هذه الألواح (الأسرار) ولكن بطلبٍ ورضى من الآلهة،

فقد ظهرت لدى – الإنسان عامةً – وبعض الملوك خاصةً، محاولات حثيثة وعديدة، للبحث عن الخلود، كبديلٍ عن الخلود الجسدي، وهو المُقدَّرُ حسب ألواح القدر، كالخلود عبر الاسم، الذي تجلَّى بمحاولة الملك **(إنميدار أنّا)** للخلود عبر المعرفة، وكانت المعرفة – حينها – هي معرفة العرافَةُ والسحر، ويُعدُّ (إنميدار أنّا) هو أول ساحرٍ وعرَّاف، وأول من حاول امتلاك ألواح المصائر والأقدار[٩٨]، لكن، بطلب – ورضى – من الآلهة، كما ذكرنا أعلاه، وهنا نتساءل: من هو (إنميدار – أنّا) هذا، ومتى ظهر، وماذا فعل؟.

يتحدث ثبت الملوك السومري Sumerian King List المُكتشف على رُقمٍ طينية سومرية، وهو الذي حدد قائمة الملوك الأوائل قبل الطوفان، هذا الطوفان، الذي يُفترض زمن حدوثه نحو ٣٠٠٠ ق.م، إذ نقرأ في هذه القائمة، التي حرَّرها وترجمها العالم ثوركليد ياكبسون، ومن

---

[٩٨] – خزعل الماجدي: العقل الشعريّ، النايا للطباعة والنشر، دمشق، سورية، ط ١، ٢٠١١م، ص ٣٢٨.

خلال هذه القائمة، نجد أن الملوكية هبطت من السّماء – أولاً – في مدينة إريدو، ثم بدأت بالانتقال من مدينة إلى أخرى، نقرأ:

- عندما هبطت الملوكية من السَّماء
- صارت في إريدو
- في إريدو أصبح (أ – لو – ليم a – Lu – Lim) ملكاً♠
- وحكم ٢٨٨٠٠ سنة
- حكم (أ – لال – كا a Lan – gar) ٣٦٠٠٠ سنة
- ملكان
- حكما ٦٤٨٠٠ سنة
- أُسقطت إريدو
- ملوكيتها إلى بادتبيرا
- نُقلت
- (في) بادتبيرا (إين – مي – إين – لو – أن – نا en – me – en – Lu – an – na)
- حكم ٤٣٢٠٠ سنة
- (أين – مي – إين – كال – أن – نا en– me – en – gaL – an – na)

♠ – ألوليم: هو أول ملك معروف حتى الآن، والجدير بالذكر، أن هذا الاسم، هو اسمٌ أكادي، وليس اسماً سومرياً !!؟؟.

- حكم ٢٨٨٠٠ سنة
- دمو – زي – سيبا dumu – zi – sipa) حكم ٣٦٠٠٠ سنة
- أُسقطت في بادتبيرا
- ملوكيتها نُقلت إلى لاراك (أوروك)
- ......
- أُسقطت في لاراك (أوروك)
- ملوكيتها إلى سيبار (زمبير Zimbir)
- حُملت
- (في) سيبار (**أين – مين – دور – أن – أنا** **en – me – en – dur – an – na**) (إنميدار – أنّا)
- أصبح ملكاً وحكم ٢١٠٠٠ سنة
- .....
- أُسقطت سيبار
- ملوكيتها إلى شروباك حُملت[٩٩].

وهكذا نرى أن اسم (إنميدار – أنّا) كان في قائمة الملوك ما قبل الطوفان، ونرى كيف كانت هذه الملوكية تنتقل من مدينة إلى أخرى،

---

[٩٩] – خزعل الماجدي: أنبياء سومريون – كيف تحول عشرة ملوك سومريين إلى عشرة أنبياء توراتيين؟، المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء، المغرب، ط ١، ٢٠١٨م، ص ٧٥، ٧٦، ٣١٣، ٤٢٥.

فمن إريدو، إلى بادتبيرا، إلى أوروك، إلى سيبار، إلى شروباك. ... إلخ – ربما – حاملةً معها أسس الحضارة (الـ مي – ME)، ونورد هنا بداية هذه القائمة:

١. إريدو، حكم فيها: (ألو لم) و(ألكار).
٢. بادتبيرا، حكم فيها: (أنمنلو أنا) و(أنمنكال أنا) و(دِموزي) الراعي.
٣. لاراك (أوروك)، حكم فيها: أنسيبازي.
٤. سبار، حكم فيها: **(إنميدار – أنّا)**.
٥. شروباك، حكم فيها: (أوبار توتو) و(شكور لام) و(زيوسودرا).

ففي هذه القائمة نجد أن **(أين – مين – دور – أن – أنا – en – me – en – dur – an – na)** (إنميدار – أنّا) هو ملك مدينة سيبار قبل الطوفان، وهو الملك، الذي حكم مدينة سيبار ٢١٠٠٠ سنة، وهذا الملك سبق انتقال الملكية إلى مدينة شروباك.

لكن، يبقى المهم في أمر هذا الملك، أنه هو ((الذي استدعيَ إلى حضرة الآلهة، وهذا لا يعني أنه نال الخلود، وإنما كان استدعاؤه لتسليمه أسرار فن كهانة الفأل أو العرافة Baru فقط، إذ كان واحداً من بين سبعة ملوك قدامى ذُكِرَ عنهم في أحد النصوص، بأنهم تسلموا (سرَّ آنو) لوح الآلهة، لوح الفأل، أسرار الفأل، أسرار السّماء والأرض،

وإنه علَّمها لابنه، مما يدلُّ – بوضوحٍ – على أنه – نفسه – لم يتوقع أن يبقى خالداً في الحياة، ولذلك ورَّثَ ما يعرفه إلى ابنه.

وبذلك يكون الملك (إنميدار – أنّا) هو الإنسان الوحيد، الذي استطاع الحصول على جزءٍ يسير من ألواح القدر (الـ مي) خاصة الأسرار المتعلقة بنواميس الفأل والعرافة، وبعض أسرار الأرض والسَّماء!!.

ويبدو أن (إنميدار – أنّا) هذا يُقابل – حسب رأي د. خزعل الماجدي – الإله هرمس، وبناءً عليه، يمكن اعتبار (إنميدار – أنّا) الوارد ذكره في قائمة الملوك السومرية، على أنه ملك (سيبار، زمبار) هو هرمس السومري، أي، هو هرمس الأول، الذي يُقابل أخنوخ ((العبري)) والنبي إدريس في الإسلام.

وربما يُساعدنا تفصيل اسم (إنميدار – أنّا) Enmeduranna/Enmeduranki على زيادة فهم الموضوع، هذا الاسم الذي يتكون من المقاطع:

إين، وتعني: سيد

مين، وتعني: تاج أو وظيفة

دور، وتعني: رابط

آن، وتعني: السماء

كي، وتعني: الأرض.

وبالمجمل فإن اسمه يعني: **سيد التاج الذي ربط السّماء بالأرض.** فهو من اتصل بالآلهة، وحظي بعطفهم وبالحصول على بعض أسرارهم، وبذلك يكون الملك (التاج) الذي ربط السّماء (الآلهة) بالأرض (الإنسان).

والمعروف أن هرمس♣ كان يُدعى بـ (مثلث العظمة) لأنه كان (نبياً وحكيماً وملكاً) وهو أول من اخترع الكتابة، وأول من كتب الصحف، وأول من خاط الثياب ولبسها، ومن صفاته، أنه اهتم بالحكمة والفلك والكيمياء والتنجيم والطب ... إلخ، وهو – أيضاً – أول من حصل على الخلود، وأول من صعد إلى السماء[١٠٠].

♣ – ومعنى كلمة هرمس بالإغريقية، هي: إر – موس، بمعنى ابن الأرض، وهو البديل عن (دمو – زي) الابن البار للحياة، وهو مشتق – أيضاً – من (إر – إيموش) و(إيموش) هو معبد دموزي المعروف، ينظر في هذا الصدد، كتاب: خزعل الماجدي: أنبياء سومريون، مرجع سابق، ص ٣١٤.

[١٠٠] – خزعل الماجدي: أنبياء سومريون، مرجع سابق، ص ٣١٢، ٣١٣.

البحث السابع

الـ (مِهْ – مي – ME) وألواح القدر ومفهوم المصير

من خلال أساطير وملاحم وتراتيل ومراثي بلاد الرافدين

في هذا البحث، سوف ندخل حيِّزَ التطبيق العملي لِما ورد معنا في الأبحاث السّابقة، حول المفاهيم الثلاثة (الـ مي، ألواح القدر، المصير – شيمتو) وذلك من خلال ورودها في الأساطير والملاحم والتراتيل والمراثي و – حتى – بعض القصص، بُغية معرفة المكان، والمُبرر، والحالة، التي استخدمت فيها هذه المفاهيم، والغاية من ذلك، وبالتالي المزيد من الفهم لهذه المفاهيم على أرض الواقع!. لكن، وقبل الدخول في عالم أسطورة بلاد الرافدين وملاحمها، لا بدَّ لنا من التعرف على مفهوم الأسطورة، بما يخدم بحثنا.

الأسطورة

إن الأصل في كلمة الأسطورة، هي كلمة ميتوس Mythos، وفي تعريف هذه الكلمة، يقول أ. وديع بشور: أن كلمة ميتوس، هي كلمة يونانية، تعني حكاية، وكلمة أسطورة العربية، مُقتبسة من كلمة (أستوريا) Historia اليونانية أيضاً، وتعني حكاية أو قصة، إلا أن كلمة أسطورة، تعني حكاية غير حقيقية أو عكس الحقيقة، بينما الكلمة ذاتها Historia تعني (تاريخ)، و (لوغوس) (الكلمة) صارت (علم).

وهكذا، أصبحت ميتوس المُترجمة (أسطورة) بعكس (لوغوس) أو (أستوريا)، تعني، شيئاً غير موجود في الواقع أي خرافة. وكلمة ميثولوجيا تعني علم الأساطير[١٠١].

ويبدو أن هذا التعريف يُخالف تفسير أ. قاسم الشوّاف لنفس المصطلح، حول اعتبارها أحداثاً حقيقية أم لا، ويقول فيه: هو – يعني الأسطورة – تعبير يوناني، يُعتبر بمثابة قصص حقيقية (مقدسة) يحُتذى بها (وذات مغزى)، أبطالها آلهة وقوى خلّاقة، وزمنها هو (زمن البدء) أو الزمن (المُكثَّف) أو (الزمن المُشبع) بالقوى الفعّالة

---

[١٠١] – وديع بشور: الميثولوجيا السورية، مرجع سابق، ص ٧.

والخلاّقة[١٠٢]. ويبدو أن هذا التعريف، أقرب إلى مفهوم الأسطورة الحقيقي، ويتناسب مع مجرياتها.

فيما يذهب د. خزعل الماجدي إلى تعريفٍ – ممتاز – للأسطورة من حيث المضمون، فيقول عنها: الأسطورة شعرٌ سردي عن إلهٍ مُعين، أو عدة آلهة، فهي إذن قصة محكية عن طريق الشعر، وهي ثابتة نسبياً ومقدسة، ومربوطة بنظام ديني مُعيَّن، ومُتناقلة بين الأجيال، ولا تُشير إلى زمن مُحدد، بل، إلى حقيقة أزلية من خلال حدث جرى، وهي ذات موضوعات شمولية كبرى، محورها الآلهة، ولا مؤلِّفٌ – واضحٌ – لها، بل هي نتاج خيال جمعي.

وهكذا، صارت الأسطورة أحد أهم المكونات الأساسية للدين، مع المعتقدات والطقوس، كما أصبحت مادة الشعر الديني المُعبِّر عن هذه المرحلة، وهي مرحلة ظهور الأديان الوضعية[*]، التي استغرقت زمن الحضارات القديمة كلها.

وتعتبر الأسطورة، قفزةً نوعية قياساً إلى التميمة والترتيلة، فقد تضمنت في أحشائها العلم البدائي والفلسفة الأولى، التي جعلت الإنسان

---

[١٠٢] – قاسم الشوّاف: مع الكلمة الصّافية، دراسات فلسطينية، منشورات دار الأجيال، دمشق، ط ١، ١٩٦٩م، ص ٢٣.

[*] – أي الأديان التي ظهرت في العصر الحجري الحديسث (النيوليت) ٨٠٠٠ – ٥٠٠٠ ق.م.

يتأمل الكون ومعناه وغايته، وما وراءه، واتسعت فيها رقعة الأدب لتشمل السرد والشعر بأنواعهما، وانطوت على أخيلة ومجازات واستعارات جريئة وكُليَّة. وبذلك اجتمعت في الأسطورة أسس (العلم والفلسفة والأدب والدين) في صورتها الأولى، الأشدُّ قرباً إلى الناس وقتذاك، فهي إذن، صفحة من صفحات العقل البكر للإنسان، التي تخفي نضارته وطفولته، وأول تشوّقاته لفهم وتفسير ما حوله[١٠٣].

[١٠٣] – خزعل الماجدي: العقل الشعريّ، مرجع سابق، ص٢٩٠.

أنواع الأسطورة

ويمكننا تصنيف الأسطورة – حسب مضمونها – إلى أربعة أنواع أساسية، هي:

١. **أساطير الخليقة** Myths of Genesis (التكوين)، وتشمل أساطير خلق الكون (كوزموغونيا) وأساطير خلق البشر (أنثروبوغونيا) ولا شك أن نموذجها الفريد، هي أسطورة الخليقة البابلية (إينوما ألش: حينما في العُلى) فهي أسطورة خليقة نموذجية في العالم القديم، تتضمن خلق العالم والآلهة والإنسان، إذ تتم هذه الخليقة عبر أحد أهم العناصر الأربعة الأساسية للخليقة، وهي (الماء، التراب، الهواء، النار) أو بخلطِ بعضها.

٢. **أساطير البناء** Myths of construction، وهي الأساطير التي يقوم فيها الآلهة بخلق وبناء تفاصيل العالم، وتأسيس المدن، ومنح الإنسان أدوات العمل والحكم والسّلطة والملكية وغيرها، وتُسيطر على هذه الأساطير المدائح الإلهية ومدائح المدن، التي بناها الآلهة وقصائد البناء، وتظهر فيها رموز الخير والبناء التي تنطلق من الأنماط الموجبة، وتشكل أساطير البناء بمجملها ما يُشبه الكوميديا الإلهية المليئة بالأفراح والمسرّات والمدائح، ولعل أرفع أشكالها، هي أساطير الحب

المقدَّس بين الآلهة، وخصوصاً الإلهين الشّابين اللذين مثَّلهما دموزي واناتّا (تموز وعشتار) خير تمثيل في الميثولوجيا العراقية القديمة.

٣. **أساطير التدمير** Myths of deconstruction، وهي الأساطير التي تبدأ بأساطير الحب المدنَّس، حين نزول الإلهين العاشقين إلى العالم الأسفل، وما يتبع ذلك من مراثي الحب. ثم تليها أساطير تدمير المدن وهجرها ورثائها، وقصائد البكاء، وتبدأ رموز الشر والخراب والدمار بالظهور. ولعل أهم نماذج هذا النوع، هو نزول اناتّا للعالم الأسفل، ومراثي مدن أور وسومر وبابل وغيرها.

٤. **أساطير النهاية** Myths of death، وتسمى (الاسكاتولوجيا – Eschatology) وهي أساطير نهاية الكون والآلهة والإنسان، إما بالماء (الطوفان) أو النار (الحريق) أو الهواء (العاصفة) أو التراب (الزلازل والبراكين). ولعل أهم الأساطير العراقية – هنا – هي أسطورة الطوفان، حيث تسيطر على أجوائها الكابوس والدمار والنهاية، وتمثل عودة الكون إلى العماء، وتَحطُّم الأنماط البدائية، وظهور الأنماط البدائية السلبية[١٠٤].

---

[١٠٤] – المرجع نفسه، ص٢٩٠، ٢٩١.

وهنا نعود للإجابة على السؤال، الذي طالما طرحناه على أنفسنا، سابقاً، هل ذُكرت تلك المفاهيم (الـ مي، ألواح القدر، المصير) في نصوص بلاد الرافدين؟؟، لذا – وبعد هذا العرض – نقول: لقد ذُكِرت تلك المفاهيم، في العديد من أساطير بلاد الرافدين، فهي مذكورة بشكل واسع وواضح، كما في أسطورة زيارة اناتّا إلى إريدو، لكن أغلب – تلك – الأساطير، لم تذكرها إلا بشكل عرضي، وهنا سوف نذكر بعض هذه الأساطير والملاحم ... إلخ، التي ذكرت هذه المفاهيم، لكن، حسب تسلسلها من حيث الأهمية، ونبدأ بأسطورة.

نماذج من أساطير وملاحم وتراتيل ومراثي بلاد الرافدين وعلاقتها بألواح القدر ومفهوم الـ (مِهْ – مي – ME) والمصير

لقد تم اختيار بعض هذه النماذج التي عالجت موضوع ألواح القدر ومفهوم الـ (مِهْ – مي – ME) ومنها:

أسطورة زيارة انانّا إلى إريدو وسرقة ألواح الأقدار

هذه الأسطورة، هي عبارة عن نص طويل يعود إلى الثلث الأول من الألف الثاني قبل الميلاد حوالي ١٧٠٠ ق.م ويُستدل من شكله وأسلوبه، إمكانية عودته إلى نهاية الألف الثالث قبل الميلاد.

يروي هذا النص خبر مغادرة انانّا مدينتها أوروك لزيارة مدينة إريدو معقل الإله أنكي– أيا، بُغية نقل كنوز الحضارة (نواميس الـ ME – ألواح الأقدار) هذه الألواح، التي يُفهم من تعدادها، أنها ليست سوى مجموعة من المعارف والفنون والعلاقات الاجتماعية، وكل ما جعل من مدينة إريدو عاصمة المعرفة والسلطة، هذه المعرفة التي كانت تعطي القوة والقدرة والسلطة لهذه المدينة، وهو المفهوم الذي لم يغفل عنه مفكرو بلاد الرافدين منذ ذلك الزمن.

ويتألف النص – الذي نحن بصدده – من نحو ٨٠٠ سطراً موزَّعة على ستة أعمدة، نرى من خلال قراءتها كيف توجهت انانّا بسفينتها (سفينة السّماء) من مدينتها أوروك إلى إريدو، حيث يستقبلها الإله أنكي، وأثناء مأدبة يُقيمها على شرفها، يمنحها – بسخاءٍ – كل (أسس) الحضارة، التي في إريدو، فتحملها معها كبضاعة ثمينة إلى سفينتها، لتعود بها إلى أوروك[١٠٥].

وقد صمَّمت انانّا أن تذهب إلى إريدو، المركز القديم لثقافة سومر، حيث الإله أنكي رب الحكمة (الذي يعلم ما تكنُّه قلوب الآلهة) ويسكن في مياه العمق (الآبسو) ومالك كل النواميس الإلهية الضرورية للعمران والحضارة، للحصول على نواميس الحضارة بالطرق المشروعة أو عكسها، لأن إحضارها إلى مدينتها أوروك سيسمو مجدها على جميع المدن والآلهة، وقد اعتمدت انانّا على جمالها، هذا الجمال الذي سحر أنكي عندما رآها تقترب من الآبسو حيث يسكن[١٠٦].

---

[١٠٥] – ديوان الأساطير، سومر وأكاد وآشور – الكتاب الثالث، مرجع سابق، ص ١٩٤، ١٩٥.

[١٠٦] – وديع بشور: الميثولوجيا السورية، مرجع سابق، ص ٦٤.

وفي تفصيل الاستقبال، نرى الإله أنكي، لمّا بلغه نبأ مقدم انانّا، يتهيأ لاستقبالها بما يليقُ بها من تكريم، وقد كلَّف رسوله ووزيره وتابعه المُسمّى (إيسمود)* أن يرحب بمقدمها، تقول الأسطورة:

- عند ذلك انانّا، (انانّا) المرأة الفتية ...
- انانّا المقدسة، قامت وحدها بسلوك طريقها
- نحو آبسو أنكي في إريدو
- وعندما لم تكن إلا على بعد مسافة من قصر إريدو
- في تلك اللحظة بالذات (قام) الحكيم
- مالك **أسس المعرفة** في السّماء كما على الأرض،
- والقادر إلى النفاذ بعيداً حتى إلى قلوب الآلهة
- أنكي ملك الآبسو، الكُلّي المعرفة (قام)
- باستدعاء إيسمود
- وأعطاه التعليمات التالية:
- تعال هنا يا حاجبي، واستمع إليَّ جيداً ...

ولما وصلت الإلهة انانّا بقاربها إلى إريدو، أعدَّ لها أنكي مائدةً عامرةً حوت الأشربة الفاخرة والمآكل الشهية، وجلس مع ضيفته إلى المائدة وأخذا يتناولان الطعام والشراب، وصارت انانّا تُكثر من تقديم الخمرة لمضيفها أنكي حتى غلبه السّكر وثَمُلَ وصار يُبالغ في التودد

---

* - حاجب الإله أنكي ومستشاره الأمين.

إليها، ولما طلبت منه أن يُهديها النواميس الإلهية (الـ ME) قدَّمها إليها عن طيب خاطر، وفي هذا إشارة من الأسطورة، إلى أن الحفاظ على مصدر القوة والسلطة لأيّة دولة أو حضارة، بُغية استمرارها، يتطلب الإشراف عليها من قِبل قيادةٍ لا تقبل التفريط بمصدر القوة، في لحظة طيش، وفي هذا الصدد، تقول الأسطورة:

- قدَّم لها لتأكل الحلوى (المصنوعة) بالزبدة
- وليصُبَّ لها الماء البارد المُنعش للقلب
- على مقربةٍ من الأسد (أسد إريدو) قدّم لها الجعة
- استقبلها كصديقةٍ، عاملها كحليفة
- على المائدة المُقدَّمة، على المائدة السَّماوية
- رحَّب بقدوم انانّا المقدسة
- ....
- شَرِبا معاً نخب السّماء والأرض
- وارتشفا دونما تسرُّع
- في أقداحِ عساسٍ (مجوفة كأنها قارب)
- وبعد أن ارتشفت الجعة وتمَّ تذوق الخمرة
- قال أنكي لحاجبه إيسمود:
- تعال يا حاجبي واسمع جيداً
- باسم سلطاني! وباسم الآبسو (مقري)
- إلى انانّا المقدسة، ابنتي، لأقدمنَّ

- ولن يحول أحد دون ذلك
- (شعارات) **منصب إين** (بمعنى السّيد) **ومنصب لاجال** (بمعنى السّيد أيضاً)
- **والوظيفة المقدسة**
- **والتاج الشرعي الرفيع والعرش الملكي**[♠]
- أخذته انانّا[١٠٧].

وهنا نرى كيف فرَّط أنكي بنواميس الحضارة والقوة والسّلطة، ويتوافق هذا مع ما حدث في التاريخ، فمن المعروف أن الحضارة التي نشأت في إريدو (كواحدةٍ من أهم مدن حضارة العبيد ٤٥٠٠ – ٣٥٠٠ ق.م) انتقلت فيما بعد إلى مدينة أوروك، لتبدأ بعدها حضارة أوروك (الوركاء) حوالي ٣٥٠٠ ق.م.

ثم تتابع الأسطورة في ذِكرِ كل المنجزات الحضارية لانانّا، فأسرعت قبل أن يستفيق أنكي من خِماره في الصَّباح، إلى العودة بقاربها المُحمَّل بالنواميس الإلهية إلى مدينتها أوروك. ولمّا زال أثر الخمرة عن أنكي،

♠ – نلاحظ أن كل هذه الشعارات، هي من مقومات القوة، وهي من نواميس الـ مي.

١٠٧ – ديوان الأساطير، سومر وأكاد وآشور – الكتاب الثالث، مرجع سابق، ص ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨.

أدرك فداحة تهوره، فأمر رسوله إيسمود أن يُسرع في اللحاق بقاربها ويُعيد إليه النواميس الإلهية، ويترك انانّا تسير ماشية إلى مدينتها.

وقد استطاع رسول أنكي إدراك قارب انانّا وأمسك به، وهنا، اجتهدت الإلهة في إقناع هذا الرسول أن يدعها تستمر في رحلتها، ولكنه لم يستجب لتوسلاتها، فاستنجدت بوزيرتها المُسمَّاة (نينشوبور)♣ التي استطاعت أن تُسعفها، فاستمرت في رحلتها، ولكن رسول أنكي استمر في ملاحقتها، بيد أنه كلما أمسك بقاربها، خفَّت وزيرتها إلى تخليص القارب، إلى أن استطاعت أن تصل إلى مدينتها أوروك، في قاربها الذي يحمل تلك الكنوز من النواميس الإلهية ونظام الحكم (التاج، والصولجان)، ووظيفة الكهانة، والصدق، والعدل، والطوفان، والجِماع والبغاء، وطائفة من الحِرَف والصناعات المختلفة، مثل النِّجارة والحِدادة والبناء والحياكة[١٠٨] ... إلخ. وفي هذا السِّياق، تقول الأسطورة:

- عند ذلك (قالت) نينشوبور مساعدتها
- إلى انانّا المقدسة
- سيدتي، ها هي إذن سفينة السَّماء
- قد أرجعت اليوم

♣ – نينشوبور، وزير ومساعد انانّا، وأحياناً ترد على أنها أنثى (وزيرة).

[١٠٨] – طه باقر: مقدمة في أدب العراق القديم، مرجع سابق، ص ٩٢.

- حتى بوابة نيج (ولاّ الكبرى في أوروك – كلّابا)
- .....
- وأجابتها انانّا المقدسة
- أنا أرجعت في هذا اليوم (سفينة السَّماء)
- حتى بوابة نيجولا الكبرى في أوروك – كلّابا
- فلتُغطِّ (الجماهير) (الشوارع)
- ولتَغرق (بالجماهير) الطُّرق
- ....
- فليُقدم القدماء نصائحهم
- ولتَعرض المُسنّات آراءهن
- وليتنافس الشُبّان الأبطال
- على حُسْنِ استعمال السِّلاح
- وليخرج الأطفال – الصغار (للهو بلطافة)
- .....
- وليتلُ الابتهالات العظيمة
- وليضع الملك بسخاء الثيران الخراف
- ....
- وليُمجدني شعبي
- ...... إلخ

أما في مدينة إريدو، وبعد فشل إيسمود بإعادة نواميس الحضارة الـ (مي) تقول الأسطورة:

- عند ذلك توجه الأمير إيسمود حاجبه
- استدعى أنكي حاجبه الطيب، الشخصية السَّماوية
- إيسمود يا حاجبي الطيب، أيتها الشخصية السَّماوية
- ها أنذا يا مليكي أنكي! أنا طوع أمرك ! أطلب
- أين هي الآن، إذن سفينة السَّماء؟
- إنها ترسو الآن على الرصيف – الأبيض [١٠٩].

وفي ذكر هذه القوانين، وعلى لسان انانّا في تعدادها، بعد حصولها عليها، تقول الأسطورة:

- ... الاستقامة، أعطاني إياها!
- تخريب المدن أعطاني إياها!
- ممارسة النِواح أعطاني إياها!
- القناعة أعطاني إياها!
- المُكر أعطاني إياه!
- الثورة أعطاني إياها!

---

[١٠٩] – ديوان الأساطير، سومر وأكاد وآشور – الكتاب الثالث، مرجع سابق، ص ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩.

- الرَّخاء أعطاني إياه!
- التجول أعطاني إياه!
- أمان السَّكن أعطاني إياه!
- شغل الخشب أعطاني إياه!
- شعل المعادن أعطاني إياه!
- فنُّ الكتابة أعطاني إياه!
- صب المعادن أعطاني إياه!
- صناعة الجلد أعطاني إياها!
- صناعة النسيج أعطاني إياها!
- فن العمارة أعطاني إياه!
- صناعة السِّلال أعطاني إياها!
- الذكاء أعطاني إياه!
- مهارة الصنع – أعطاني إياها!
- الاغتسال المقدس أعطاني إياه!
- مَجْمع السَّماد أعطاني إياه!
- تكوين الجمر أعطاني إياه!
- الحظيرة أعطاني إياها!
- الاحترام أعطاني إياه!
- الإجلال أعطاني إياه!
- التحفظ أعطاني إياه!

- الكذب – والفظاظة (؟) أعطاني إياها!
- فن اشعال النار سلَّمني إياه!
- فن إطفاء النار سلَّمني إياه!
- العمل الجبري سلَّمني إياه!
- أل ... سلَّمني إياه!
- اجتماع العائلة (سلَّمني إياه!)!
- المُجادلة (سلَّمني إياها)!
- التَّناسل (سلَّمني إياه!)
- النصر (سلَّمني إياه!)
- فن إسداء النصح (سلَّمني إياه!)
- .... إلخ[١١٠].

وفي ختام الأسطورة، يتمُّ ذكر القيام بتفريغ حمولة السفينة، بحضور كورس من الأمناء لانانّا، يستقبلون بالترحيب الأسس والسلطات، التي كسبتها انانّا لأوروك، ويعددونها الواحدة تلو الأخرى في نوعٍ من الجرد لمحتويات السفينة، على الشكل التالي: نقرأ (مختارات):

- أي انانّا (أنتِ جلبت) منصب إين!
- (أنتِ جلبتِ) منصب لاجال

---

[١١٠] – المرجع نفسه، ص ٢٠٢، ٢٠٣.

- (أنتِ جلبتِ) الوظيفة المقدسة
- (أنتِ جلبتِ) التَّاج الشرعي العظيم
- (أنت جلبتِ) العرش الملكي
- .....
- (أنت جلبتِ) النزول إلى العالم السفلي
- (أنت جلبتِ) الصعود من العالم السفلي
- (أنت جلبتِ) قلب الأدوار الجنسية بالتنكرّ!
- (أنت جلبتِ) الخنجر – و – الهراوة
- (أنت جلبتِ) حالة المسترجلات!
- (أنت جلبتِ) اللباس الأسود
- (أنت جلبتِ) اللباس المتعدد الألوان
- (أنت جلبتِ) الشعر المردود على النقرة
- ....
- (أنت جلبتِ) الراية
- (أنت جلبتِ) الجعبة
- (أنت جلبتِ) العلاقات الجنسية
- (أنت جلبتِ) قُبلة – العشاق
- .....
- (أنت جلبتِ) فن شغل الخشب
- (أنت جلبتِ) فن شغل المعادن

- (أنت جلبتِ) فن الكتابة
- (أنت جلبتِ) فن صب المعادن
- (أنت جلبتِ) فن صناعة الجلود
- (أنت جلبتِ) فن النسيج
- (أنت جلبتِ) فن العمارة
- ......
- (أنت جلبتِ) الذكاء
- (أنت جلبتِ) مهارة الصنع
- (أنت جلبتِ) الاغتسال المقدس

وهكذا، تستمر الأسطورة في سرد هذه المنجزات إلى ختامها، الذي يتحدث عن قرار أنكي الأخير، بعد فقدانه الأمل في عودة النواميس، تقول الأسطورة:

- توجَّه أنكي إلى انانّا المقدسة
- باسم سلطاني! وباسم الآبسو (مقري)
- ......
- وليتمكن مواطنو مدينتك، وأطفال أوروك
- من قضاء حياةٍ ممتعة فيها
- أما بالنسبة لكِ، فمدينتك تبقى
- طبعاً حليفة لإريدو:

- ولتحتل أيضاً مركزها السَّابق

(وهنا تنتهي الأسطر والأسطورة معاً)[١١١].

الطريف – والمُهم – في الأمر، هو قيام أحد الشعراء القدماء، وأثناء قيامه بتأليف إحدى أساطيره (قصائده)، رأى أن يذكر ثبتاً بجميع أنواع تلك (النواميس) أو القواعد الحضارية، إذ نجده يُحلل الحضارة، كما عرفها، ويقسمها إلى نيفٍ ومائة عنصر من المقومات الحضارية، ولكن لا يُعرف من جميع هذه المقومات والعناصر معرفةً واضحة، سوى ستين عنصراً، فبعض هذه المقومات، مُجرَّد كلمات لا يُعرف عن فحواها الحقيقي سوى تلك الإشارة المقتضبة، إذ ينقصنا السّياق الذي يوضح المعنى.

ومهما كان الحال فإن ما بقي منها، يكفي ليوضح لنا طبيعة وأهمية أول محاولة مُدوَّنة في تحليل مقومات الحضارة، ذلك التحليل الذي نجم عنه ثبتٌ (جدول) مهم بما يُعرف الآن بمصطلح (الميزات والمقومات الحضارية)، تتألف هذه العناصر الثقافية الناتجة من عددٍ متنوع من الأنظمة والمؤسسات الاجتماعية، ووظائف الكهانة المختلفة، ومجموعة الشعائر والطقوس الدينية، والميول والاتجاهات العقلية

---

[١١١] – المرجع نفسه، ص ٢١٩ حتى ٢٢٥. (ملاحظة: كل الأسطر الواردة من هذه الأسطورة، هي من هذا المرجع).

والعاطفية، والمعتقدات والمذاهب المتنوعة. ومن هذه القوانين والعناصر الأكثر وضوحاً، نذكر وحسب الترتيب، الذي نظَّمه الكاتب السومري القديم:

١ – السِّيادة، ٢ – الألوهية، ٣ – التاج العظيم الخالد، ٤ – عرش الملوكية، ٥ – الصولجان العظيم، ٦ – الشَّارات الملوكية، ٧ – المزار المعظم، ٨ – الرعاية، ٩ – الملوكية، ١٠– مقام السِّيادة النسوية الدائم، ١١ – السيدة المقدسة (وظيفة كهنوتية)، ١٢ – وظيفة الكاهن المُسمَّى (إيشب)، ١٣ – وظيفة الكاهن المُسمَّى (لو – ماخ)، ١٤ – وظيفة الكاهن (جوتُج)، ١٥ – الصدق، ١٦ – الهبوط إلى العالم الأسفل، ١٧ – القيامة (الصعود) من العالم الأسفل، ١٨ – طائفة الخصيان المعرفة باسم (كرُجَو – وّ)، ١٩ – الخصيان من نوع (جِرْبَدْرا)، ٢٠ – نوع الخصيان (ساجور ساج)، ٢١ – راية (الحرب)، ٢٢ – الطوفان، ٢٣ – السِّلاح (؟)، ٢٤ – الجِماع الجنسي، ٢٥ – البغاء، ٢٦ – القانون (؟)، ٢٧ – القذف أو الطعن، ٢٨ – الفن، ٢٩ – حجرة العبادة، ٣٠ – (البغاء المقدس) الخاصة بالسماء، ٣١ – الألة الموسيقية (جوسِلم)، ٣٢ – الموسيقى، ٣٣ – المشيخة، ٣٤ – البطولة، ٣٥ – القوة والسلطة، ٣٦ – العداوة، ٣٧ – الاستقامة، ٣٨ – تدمير المدن، ٣٩ – الرثاء، ٤٠ – أفراح القلب، ٤١ – الغش، ٤٢ – البلاد الثائرة، ٤٣ – الصلاح والخير، ٤٤ – العدالة، ٤٥ – فن صناعة الخشب، ٤٦ – فن صناعة المعادن،

٤٧ – فن الكاتب، ٤٨ – فن الحدادة، ٤٩ – فن صناعة الجلود، ٥٠ – فن البناء، ٥١ – فن حياكة السِّلال، ٥٢ – الحكمة، ٥٣ – الانتباه والعناية، ٥٤ – التطهير المقدس، ٥٥ – الخوف، ٥٦ – الوجل، ٥٧ – الخِصام، ٥٨ – السَّلام، ٥٩ – التَّعب، ٦٠ – النصر، ٦١ – الشورى، ٦٢ – هموم القلب، ٦٣ – القضاء، ٦٤ – القرار والحكم، ٦٥ – الألة الموسيقية (ليلش)، ٦٦ – الألة الموسيقية (أب)، ٦٧ – الألة الموسيقية (ميسي)، ٦٨ – الألة الموسيقية (آلا).

وقد أعيد ذكر ذلك الثبت المُتضمن نيفاً ومائة عنصر حضاري، أربع مرات في الأسطورة، وبهذا أمكن إعادة النص وسد النقص من أكثر أجزائه[١١٢].

ويورد أ . د خزعل الماجدي في كتابه الموسوم: /متون سومر/ وتحت عنوان: (الـ مي) أي النواميس المقدسة، ذكر حوالي ٨٠ ناموساً، أي بإضافة ٢٠ ناموساً، وذلك حسب ما ورد في أسطورة انانّا وأنكي، هي:

(١) الكهنوتية العليا، (٢) الألوهية، (٣) التَّاج الرفيع، الخالد، (٤) عرش الملكية، (٥) الصولجان السَّامي، (٦) العصا، (٧) ذراع

---

[١١٢] – صمويل كريمر: من ألواح سومر، مرجع سابق، ص ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥.

القياس المقدس، (٨) العرش السَّامي، (٩) فن الرعاية، (١٠) الملكية، (١١) كاهنة الأميرة (مقام السِّيادة النسوية الدائم)، (١٢) كاهنة الملكية المقدسة، (١٣) كاهن التعاويذ (إيشب)، (١٤) الكاهن السَّامي (لوماخ)، (١٥) كاهن الإهراق (جودا)، (١٦) الحقيقة (الصدق)، (١٧) الهبوط إلى العالم الأسفل، (١٨) الصعود من العام الأسفل، (١٩) الكوركارا Kurgarra، (٢٠) الخنجر والسيف، (٢١) الرداء الأسود، (٢٢) الرداء الملون، (٢٣) إسدال الشعر، (٢٤) عقص الشعر، (٢٥) الراية، (٢٦) الكنانة، (٢٧) فن عمل الحب، (٢٨) تقبيل القضيب، (٢٩) فن البغاء، (٣٠) فن النجاح، (٣١) فن الكلام الصريح، (٣٢) فن اللسان السَّليط، (٣٣) الكلام المُنمَّق، (٣٤) البغاء المقدس، (٣٥) الحانة المقدسة، (٣٦) المزار المقدس، (٣٧) كاهنة السّماء المقدسة، (٣٨) الآلة الموسيقية المدويّة، (٣٩) فن الغناء، (٤٠) فن رئيس الكهنة، (٤١) فن البطل، (٤٢) فن السُّلطان، (٤٣) فن الخيانة، (٤٤) فن الاستقامة، (٤٥) سلب المدن، (٤٦) إقامة المناحات، (٤٧) إبهاج القلب، (٤٨) الخديعة، (٤٩) البلاد المتمردة، (٥٠) فن الحنان، (٥١) السفر، (٥٢) المأوى الآمن، (٥٣) حرفة النَّجار، (٥٤) حرفة النَّحاس، (٥٥) حرفة الكاتب، (٥٦) حرفة الحداد، (٥٧) حرفة صانع الجلود، (٥٨) حرفة القَّصار، (٥٩) حرفة البناء، (٦٠) حرفة ناسج القصب، (٦١) الأذن المصغية، (٦٢) ملكة الانتباه، (٦٣) طقوس التطهير المقدسة، (٦٤) الحظيرة

التي توفر الطعام، (٦٥) تكويم الجمر، (٦٦) الحظيرة، (٦٧) الخوف، (٦٨) الذعر، (٦٩) الفزع، (٧٠) الأسد ذو الأسنان الفتاكة، (٧١) إضرام النار، (٧٢) إطفاء النار، (٧٣) الذراع الناحلة، (٧٤) العائلة المُلْتمَّة الشَّمل، (٧٥) الإنسال، (٧٦) تأجيج المُشاحنات، (٧٧) المشورة، (٧٨) تهدئة الخاطر، (٧٩) إصدار الأحكام، (٨٠) صنع القرارات.

ويمكن أن نلاحظ، أن هذه النواميس تشمل أغلب جوانب الحياة، بوجوهها الإيجابية والسلبية، وقد كان مقصوداً منها الإشارة إلى السَّيطرة على كل مفاصل الحياة[١١٣]، كما يبدو أنها تُحدد وجود أهم الظواهر الكونية والاجتماعية – الثقافية، وما يتعلق بالملكية والطوفان والعداوة، والعرش، والحقيقة ... إلخ [١١٤].

لذلك يمكن القول: لقد تصور سكان بلاد الرافدين أن الكون تُسيُّرهُ منذ البدء، نواميس إلهية سمُّوها بالسومرية الـ مي – ME، وهي لا تتمثل بعناصر الخير (كالصدق والعدل والسَّلام) فقط، لكن بعناصر الشَّر أيضاً، (كالزور والكذب والنِفاق) وبتعبيرٍ آخر، فإن الشَّرَ موجودٌ في الآلهة، وبالضرورة في البشر أيضاً، إلى حدٍّ يقول عنه المثل

[١١٣] – خزعل الماجدي: متون سومر، مرجع سابق، ص ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١.

[١١٤] – كلشكوف: مرجع سابق، ص ٤١.

السومري: ((لم تلد امرأة قط ابناً بريئاً))، لكن الخير، لا بدَّ من أن ينتصر في النهاية على الشَّر، أي في نهاية المطاف [١١٥].

وفي هذا المقام، يبدو أن المهم في الموضوع، هو ربط هذه الأسطورة بالواقع، الذي يؤكد أن الحضارة أول ما ظهرت في إريدو، ومن ثم انتقلت إلى أوروك، وهذا ما يتوافق مع مجريات الأسطورة من حيث حالة المجاز والترميز، وفي هذا المجال يقول د. نائل حنون: ((يبدو أنها حُبكت لتبرير تصدُّر أوروك في الأداء الحضاري والثقافي على المدينة الأقدم إريدو))، وهو المهم في الموضوع.

كما يمكن اعتبار سرقة ألواح القدر (نواميس الـ (مي)) من إريدو بمثابة مخالفة قوانين الآلهة، وفي هذا الصدد يضيف د. حنون، قائلاً: ((على الرغم من خرق انانّا للعرف الإلهي، وخِداعها لأحد الآلهة الرئيسية، وسرقتها للنواميس الإلهية، وما يتضمَّنه ذلك من مخالفةٍ لمقررات الآلهة، فإن قدسيتها ومكانتها، لم تتأثر عند السكان، الذين أنشدو التراتيل في تمجيدها، ولا يبدو أنه كانت هناك أيّة محاولة قديمة، ولو شكلية لتفسير مخالفتها تلك لأوامر الآلهة الكِبار، وفي الوقت نفسه، لم يكن هناك شعور يمكن تلمسه من خلال النص القديم، بأن في

---

[١١٥] – فاضل عبد الواحد علي: من سومر إلى التوراة، دار الشروق الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط ١، ١٩٨٩م، وكانت تحت عنوان: من ألواح سومر إلى التوراة، ودار سينا للنشر، القاهرة، مصر، ط ٢، ١٩٩٦م. ص ٢٩٣، ٢٩٤.

تصرف انانّا ما يُسيء إلى إلوهيتها، فهي في نظر القدماء ليست سوى إلهة مقدسة ...))[116] وفي هذا دلالاتٌ كبيرة، لِمن يبحث عن الإجابات الشّافية.

---

[116] - نائل حنون: الحياة والموت، مرجع سابق، ص ٩١، ٩٢.

أسطورة الطائر أنزو (زو) وعقابه

في هذا النشيد الأسطوري، نتعرَّف على الطائر – الإله – أنزو (زو)* المخلوق الإلهي العملاق برأس أسد، وعلاقته بالآلهة عامة، وبإنليل، خاصةً، وعن قيامه بخيانة الإله إنليل، حين كان بخدمته، وطموحه للاستيلاء على سلطة الآلهة، (لوحة الأقدار) لوحة السُّلطات كلها، التي يمتلكها إنليل، كأداةٍ لتسيير الكون. فقد استولى عليها – في غفلةٍ من إنليل – ومن ثم التجأ إلى الجبل، حيث مقره الأصلي، حينها جَمَدَ الكون، وتعطَّل سيره، وانتاب الرُّعب جميع الآلهة، إذ فقدوا سلطتهم، وكان لا بد من إنقاذ الموقف، بالسرعة القصوى، واستعادة

* – الأنزو، هو طائر عملاق برأس أسد، وهو ضخم للغاية، لدرجة أنه يُسبب الزوابع والعواصف عندما يرفرف بأجنحته. وهو من قوى العالم الأسفل المُدمِّرة، ويُسمَّى: (أنزو) بالسومري، و (زو) بالأكادي، واسمه الأصلي في ملحمة لوكال بندا السومرية (أمدجود) وهو طير العاصفة الخرافي في المصادر الأكادية، ويظهر على شكل نسر برأس أسد، وأسطورة (زو) معروفة في العصر البابلي القديم، وفي نصوص العصر الآشوري الحديث. ويصف كتاب: د. ازدارد، و م.هـ. بوب، و ف. رولينغ: قاموس الآلهة والأساطير، مرجع سابق، ص ٥١. طائر الأمدجود بأنه: نسرٌ برأس أسد (طائر خرافي) وقد يعني الغيمة، ويمثل قوى الشر، التي تهدد حياة الحيوانات الإنسية، والأمدجود، هو شعار الإله ننجرسو إله مدينة لجش.

لوحة الأقدار[١١٧]، مهما كلَّف الثمن، وإلا فالخراب والمصير المشؤوم، قادمٌ لا محالة.

ففي هذه الأسطورة، نرى، أن إنليل، كان قد عيَّن الطائر أنزو حاجباً عنده، أو حارساً له، تقول الأسطورة:

- لقد عيَّنه حاجباً على القاعة الداخلية، التي كمَّلَ بناءها (أي إنليل)
- وكان يستحمُّ بالماء المقدس، في كل يوم، وهو ماثل أمامه (أي أمام أنزو)
- فرأت عينا أنزو حِلي سلطة إنليل ورموزها
- رأى تاج السَّيادة وثوب القداسة
- **وألواح القدر بين يديه**
- لقد أطال أنزو التحديق إلى رب الدورانكي وأبي الآلهة
- وعزم في النهاية على اغتصاب سلطة إنليل
- سوف آخذ لنفسي **ألواح القدر** التي يُمسك بها، ولسوف **أتحكم بمقادير كل الآلهة**
- **سوف يكون العرش لي، وأكون سيد الشعائر**
- وستكون لي السلطة على كل واحد من آلهة الإيجيجي

---

[١١٧] – ديوان الأساطير، سومر وأكاد وآشور – الكتاب الثاني، مرجع سابق، ص ٣١١.

- لقد دبَّر أنزو في سرِّهِ خطة للتمرد
- وعند مدخل القاعة التي كان يتلصص منها
- انتظر طلوع الصَّباح
- فلما بدأ إنليل يأخذ حمَّامهُ الصَّباحي في الماء المقدس،
- وبعد أن خلع ثيابه ووضع تاجه على العرش
- انقضَّ أنزو واختطف **ألواح القدر**
- استولى على قوة إنليل
- **فهُجِرت الشَّعائر**
- ثم طار ووجد لنفسه مخبأً
- فاختفى الألق والبهاء عن القاعة

ويرد نفس المقطع، حسب الرؤية الآشورية، التي عُثر عليها في مكتبة الملك الآشوري آشور بانيبال، على الشكل التالي:

- لقد وجَّه (زو) نظره الدائم إلى سلطته – أي إنليل – وإلى حِلِّه (أي الحِلي).
- إلوهيته، وإلى **ألواحه المقدسة**
- وحين كان ينظر على الدوام أبا الآلهة إله دورانكي
- نوى في قلبه على أخذ ربوبية إنليل (محدثاً نفسه)
- لآخذن **ألواح الأقدار** المقدسة
- وسأتحكم بإرادات جميع الآلهة

- وسأوطد عرشي فأكون سيد النواميس الإلهية
- وسأدير الإيكيكي بجميعهم[118]
- وعمَّ الصمت، وإنليل مستشار الآلهة وقف مشدوهاً، لأن القاعة وبهاءها قد اختفيا

وبعد فشل مجلس الآلهة في تكليف كُلٍّ من الإله أدد، سيد ينابيع السّماء **(الماء)**، والإله جيرّو إله النار والمتحكم بالصواعق، أي نار السّماء **(النار)**، والإله شارا، المُلقَّب بابن عشتار بمعنى مُفضلها، وهو هنا إله العواصف، والمتحكم بالرياح **(الهواء)**، وبعد رفض هؤلاء الآلهة: الماء، والنار، والهواء، لم يبقَ سوى **التراب**♣، للقاء أنزو ومحاربته[119]، بسبب خوفهم منه، لأنه امتلك ألواح القدر، قائلين:

إذن، لقد حاز أنزو لنفسه على ألواح القدر، واستولى على قوى إنليل، ومن ثم طار ولجأ إلى مخبئه في الجبال، فهُجرت الشَّعائر، لقد

---

[118] – طه باقر، بشير فرنسيس: عقائد سكان العراق القدماء في العالم الآخر (أسطورة زو)، مقال في مجلة سومر، المجلد العاشر، الجزء الأول، الحكومة العراقية، مديرية الآثار القديمة العامة، ١٩٥٤م، ص ٣٣، ٣٧.

♣ - ولا ننسى أن العناصر الأربعة المُشكلة للكون هي: الماء، النار، والهواء، التراب. إذ تتم هذه الخليقة عبر أحد أهم هذه العناصر الأساسية للخليقة، أو بخلطِ بعضها. وبها جميعها تتم القوة والخلق.

[119] – ديوان الأساطير، سومر وأكاد وآشور – الكتاب الثاني، مرجع سابق، ص٣١١، ٣١٢.

حلَّت كلماته – أي أنزو – محل كلمات رب الدورانكي (إنليل)، وما عليه سوى أن **ينطق الكلمة**، وهي أولى أقانيم القوة الإلهية (كما مرَّ معنا سابقاً)، حتى تُحوِّل كلماته أي شيء يريده إلى تراب.

نلاحظ هنا، كيف اكتملت عناصر القوة والخلق، هذا الخلق، الذي لا يمكن أن يتم، إلا بوجود العناصر الأربعة الأساسية للخليقة، المؤسسة لها، وهي: (الماء، النار، الهواء، التراب). لذا، رأينا كيف رفض الآلهة الثلاثة (أدد، جيرّو، شارا) التي تقابل (الماء، النار، الهواء) قتال أنزو، (دلالةً على نقص القوة) إلا بحضور إله وسيد الأرض (التراب) وهو نينورتا (كما سنرى) الذي بحضوره تكتمل القوة المؤسسة للخلق، وفي هذا إشارةٌ واضحة لمعرفة العناصر الأربعة المكونة للخلق الكامل، من قبل سكان بلاد الرافدين، والتي يكتمل الخلق والقوة الإلهية، بواسطتها، حسب ما هو مُقرَّر في ألواح الأقدار.

ونتابع الأسطورة، أمام هذا الحدث الجلل، فنرى صمت الآلهة ووجومهم، حين لم يستطيعوا تكليف أحدٍ من الآلهة لقتال أنزو، فقد وجمَ الإيجيجي وتحيروا. ثم تسرد الأسطورة – لترينا – كيف تقدم الإله (أنكي – أيا) الفطن الماهر المُتدبر، وقال لآنو: سأقول لكم أمراً يُزيل الهمَّ عنكم، وأمام مجلس الآلهة، سأعين – لكم – من ينتصر على أنزو، هجم الإيجيجي على أقدامه وقبلوها، ففتح أيا فمه قائلاً:

– استدعوا سيدة الآلهة وكبيرتهم (مامي)

- امنحوها لقب سيدة المجلس
- امنحوها الجلال، وسأخبرها بما دبرتُ [١٢٠].

هنا، تتابع الأسطورة، كيف قام الآلهة باستدعاء، بيليت (مامي) أخت الآلهة الحكيمة، ومُشيرة إخوتها، مُعلنين لها علو شأنها في المجمع الإلهي، ورافعين من قدرها، من قِبل الجميع.

قال لها إيا: في الماضي كنتِ تُسمين (مامي)، ومن الآن سَنُسميك (سيدة الآلهة كلها) سيكون اسمك هذا، ولكن امنحينا اسم البطل القادر – وحده – على الانتصار، امنحينا نينورتا، الذي تفضلين ليواجه أنزو[١٢١].

وافقت مامي، واستدعت ابنها نينورتا، واخبرته، بِما حدث من سرقة ألواح الأقدار، قائلةً:

- لكن أنزو زعزع الملوكية التي خصصت
- وأخذ لنفسه **ألواح الأقدار** .... لقد سرق إنليل، ونبذ أباك.
- فافتح الطريق، وعيَّنَ السَّاعة
- لقد سرق **الشعائر** وجعلها لاستعماله الخاص

---

[١٢٠] – خزعل الماجدي: انجيل بابل، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، الطبعة الأولى العربية، ١٩٩٨م، ص ٥٥.

[١٢١] – المرجع نفسه، ص ٥٦.

وبعد إغراء نينورتا، بإعلاء شأنه وانتشار عبادته في كل الجهات الأربع، وافق على قتال أنزو، بدعمٍ من أيا وتوجيهه، وهنا تبدأ المعركة بين الطرفين. وعندما رأى أنزو الإله نينورتا، هاج وصرخ قائلاً:

- لقد أخذت لنفسي كل شعيرة، وأنا الآن **من يُصرِّفَ مقادير الآلهة.**

وفي هذا القول، دلالة واضحة على امتلاكه القوة القادرة على منحه النصر!؟. وبعد معركة طويلة، وبمساعدة أيا وإرشاداته، استطاع نينورتا التغلب على أنزو، واسترد منه ألواح الأقدار، ليُعيدها إلى الإله آنو والإله داجان، وهنا فتح إنليل فمه مُتحدثاً إلى الإله داجان:

- عندما ذُبِحَ أنزو الشرير في وسط جباله
- استردِ نينورتا الصنديد بيده **ألواح الأقدار**
- فلنرسل في طلبه إلينا، ويضع بين أيديكم **ألواح الأقدار**

وهنا، نقرأ في الأسطورة، كيف يعود نينورتا منتصراً، ليأخذ مكاسبه، التي وُعِدَ بها، بعد أن أنقذ ألواح الأقدار من يدي الطائر الغريب أنزو، وهي – كما رأينا – أساس السّلطات، وحُسنُ سير الكون، وهو بذلك، يكون قد أنقد جميع الآلهة، وأنقذ – بشكلٍ خاص – حكم

أبيه إنليل، فارتفع بذلك شأنه بين الآلهة، فَخُصِّصت له المعابد والهياكل في كل مكان[١٢٢].

ثم تتجه الأسطورة، كي تُرينا، كيف يمكن – أحياناً – أن تسلبَ القوة والسّلطة عقلَ من يمتلكها، إن لم يكن قادراً على ضبط نفسه وأهوائه، لِما لهذه الألواح، من بَريقٍ خاص، فهي، من تمنح السّلطة والقوة لمن يمتلكها، ويبدو أن نينورتا، وقع تحت هذا الإغراء، فعندما أعاد ألواح الأقدار، كان في نيته الاحتفاظ بها، خاصةً، عندما سأل نفسه: لماذا، لا يحتفظ لِنَفْسِهِ بلوحة الأقدار التي أعادها للآبسو مقر (أنكي – أيا)؟، ولماذا لا يستأثر بالسّيادة؟. ويبدو أن النص، يُشير إلى نوعٍ خاص من التحريض، الذي مارسه الطائر أنزو على نينورتا، وإلى حالة الندم من قِبل نينورتا نفسه، تقول الأسطورة، وعلى لسان أنزو:

- عندما بأمر من أنكي (أيا)
- ضَرَبْتني يا نينورتا بسلاحك
- وسقطت السلطات في الآبسو
- حين أفلتت من يدي
- عندما أُجبِرتُ على التخلي عن **لوحة – الأقدار**
- وبمجرد عودتها إلى الآبسو
- وإذا لم تكد (هذه اللوحة) تُرَدُّ إلى هناك

---

[١٢٢] – ديوان الأساطير، سومر وأكاد وآشور – الكتاب الثالث، ص ٤٨، ٤٩.

- لم يبقَ لي أي (أثر) لسلطة.
- ......

وهنا، تُبرز الأسطورة موقف نينورتا النادم على إعادته للألواح.

- نينورتا بقي صامتاً
- ومع ذلك كان نينورتا – باشيشانا (أحد ألقاب نينورتا) يأسف (بداخله)
- لأن السّلطات لم تبقَ له في يديه (هو)
- ولم يحصل منها على أيّة سيادة

إذن، لألواح القدر، بما تملكه من قوةٍ وسلطة، بريقٌ خاصٌ بها، وعلى ما يبدو أن هذه المسألة، قد عولجت في الكثير من القصص والروايات والأفلام، التي تتحدث عن الرغبة الجامحة عند الكثير من الناس، أو حتى الآلهة لامتلاك السلطة، بغية تلبية رغبة دفينة للسيطرة على الآخرين بواسطة القوة.

قصة نينورتا وأنكي والسلحفاة

في هذه القصة، نرى أن الإله نينورتا يُحاول (أو يرغب) الاحتفاظ بألواح القدر، وإن كان ذلك في سرِّه، لكن الإله (أيا – إنكي) العارف بالنِّيات، وبِما تخفيه الصدور، يستدعي نينورتا إلى مقره، وهنا، يرفض نينورتا المثول أمامه، فيعمد أيا (أنكي) إلى خلقِ سلحفاة ويجعلها تتمركز على مدخل مقره، وحين يقترب منها نينورتا، تقبض عليه من كاحلِ رجله وتَجُرَّه القهقرى، ثم تحفر بأظافرها حفرةً وتُسْقِط فيها نينورتا، ومن ثم تبدأ بردم التراب عليه، وهنا يتدخل (أيا– أنكي) ليُلقن البطل نينورتا، الذي أصابه الغرور، فأضمر الاستيلاء على سلطةٍ لم تكن له، درساً في التواضع[١٢٣].

ويبدو أن (أنكي – أيا) كان قد خلق هذه السلحفاة، التي – عادة – ما تأتي بالسومرية بصيغة BA.AL.GI.KU من الطين، ومنحها الحياة، وعندما سقط نينورتا في الحفرة التي اعدتها، استعادت منه ألواح الأقدار، لذلك تُعتبر السلحفاة من رموز أو أسلحة هذا الإله (أنكي)[١٢٤].

---

[١٢٣] – ديوان الأساطير، سومر وأكاد وآشور – الكتاب الثاني، مرجع سابق، ص ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢.

[١٢٤] – فاتن موفق فاضل الشاكر: مرجع سابق، ص ٤٠.

أسطورة أنكي ونظام العالم

تنظيم الأرض ومقومات حضارتها

أو أسطورة أنكي ينظم البلاد، وهو نصٌّ مؤلف من ٤٦٧ سطراً، ويعود إلى بداية الألف الثاني قبل الميلاد، وقد عُثر على معظم أجزائه في مدينة نفر (نيبور)[١٢٥].

ففي هذه الأسطورة نرى، كيف خُصَّ الإله أنكي (أيا) في حضارة بلاد الرافدين، بمنزلةٍ رفيعةٍ بين الآلهة العِظام، وأفردوه بصفات مميزة، منها الحكمة والمعرفة، وعطفه وحدبه على البشر، والتزام جانب الإنسان، في كثيرٍ من المحن والشدائد، التي أحاقت به، كما في كارثة الطوفان، وإنه الذي علَّم البشر فنون الحضارة، ونشرَ عناصر العمران البشري، كما كان يحوز على النواميس الإلهية (الـ مي) التي تسير بموجبها العناصر المختلفة للعمران والحضارة.

وتصف هذه الأسطورة تنظيم الإله أنكي للكون، وخلاصتها: أن الإله أنكي، قام برحلةٍ في أقاليم الأرض المعروفة آنذاك، ابتداءً ببلاد سومر، ليسْبُغ عليها بركاته، وينشر عناصر العمران والحضارة فيها، واضطلع من بعد ذلك بتنظيم أحوال الأرض وأنهارها وبِحارها، فملأ

---

[١٢٥] – ديوان الأساطير، سومر وأكاد وآشور – الكتاب الثالث، مرجع سابق، ص ١٥٩.

نهري دجلة والفرات بالمياه العذبة وبالأسماك، وأوجد أحراش القصب والآجر، وكثَّر الحيوانات، ثم تابع رحلته إلى العديد من البلاد الأخرى بغية تنظيمها. ومن أجل شؤون المجتمع الإنساني، عيَّن أنكي آلهةً يتولى كلٌّ منها ناحية مُعينة من النشاط الحضاري، فمثلاً: خصَّصَ للإشراف على الأنهار وشؤون الري إلهاً أسمه أنبيلولو.. أما الإله أينكمدو فقد خصصه للفلاحة والزراعة .. فيما خصص الإلهة أشنان للخضار والغلال ... والإله دموزي (تموز) للماشية والرعي[١٢٦] ... إلخ

كما نقرأ في هذه الأسطورة، وصفاً مُمتعاً لأفعال أنكي الخالقة في تنظيم الظواهر الطبيعية والثقافية اللازمة للعمران والحضارة، وتُفيد قراءة هذه الأسطورة، في الاطلاع على آراء السومريين، حول الطبيعة وخفايا أسرارها، ونقرأ تحت عنوان:

أنكي يُقدِّر مصير بلاد سومر

ففي جولته التنظيمية تلك، قام أنكي بتنظيم بلاد سومر، مُعتبراً إياها مصدرَ النواميس الإلهية السّامية الـ (مي)، وفيها يتم تقرير المصائر، وفي هذا الصدد نقرأ:

- يا (سومر) يا أيها البلد العظيم بين جميع بلدان العالم

---

[١٢٦] – طه باقر: مقدمة في أدب العراق القديم، مرجع سابق، ص٩٠، ٩١.

- أنت مغمورُ بالنور الثابت الراسخ، الذي ينشر من مطلع الشمس
- إلى مغرب الشمس **النواميس الإلهية** بين جميع الناس
- إن نواميسكَ المقدسة نواميس سامية لا يمكن إدراكها[١٢٧].
- .....
- ألا فلترفع ... الراسخة يدها إلى السّماء
- ألا فليقرر الأنوناكي، في **وسطكَ**، **المصائر**[١٢٨].

كما نقرأ فيها، كيف يُعرِّفُ أنكي عن نفسه، بأنه – هو – من حمل جميع الفنون (المي) من مدينة نفر، إلى مدينته إريدو، وهذه الفنون، سوف تُنقل مرةً أخرى من إريدو إلى أوروك، وهذا ما كُنّا قد شاهدناه سابقاً*، كل ذلك بتفويضٍ من الإله إنليل، وفي هذا الصدد، يقول:

- أبي ملك السّماء والأرض
- وضعني في المرتبة الأولى من الكون
- وضع بين يديَّ جميع السلطات (يقصد ألواح الأقدار)

---

[١٢٧] – صمويل كريمر: من ألواح سومر، مرجع سابق، ص ١٧٨، ١٧٩.

[١٢٨] – فراس السواح: مغامرة العقل الأولى – دراسة في الأسطورة، دار الكلمة للنشر، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٩٨١م، ص ٣٥.

* – في أسطورة زيارة انانّا إلى إريدو وسرقة ألواح الأقدار.

- ومن الإيكور♠ معبد إنليل
- حملتُ إلى إريدو، إلى الآبسو
- **جميع الفنون**
- .....
- أنا الذي أتفحص الأرض قبل **تقرير مصيرها**
- مع إنليل جنباً إلى جنب
- (إنليل) هو الذي **خوَّلني** هذه المهمة
- (أمارسها) حتى أطراف العالم [١٢٩].

الإله أنكي ينظم مدينة أور

ولعلَّ مدينة أور – في هذا القصيدة – كانت عاصمة بلاد سومر، في نفس الوقت، الذي نُظِّمت فيه القصيدة، فنرى كاتبها يتحدث عن عظمة وخير هذه المدينة♣، فيقول:

♠ - الإيكور E.kur معبد إنليل في مقره في نفر ومعناه بيت الجبل.

[١٢٩] – ديوان الأساطير، سومر وأكاد وآشور – الكتاب الثالث، مرجع سابق، ص ١٦٣، ١٦٤.

♣ – وفي مقدمة قوانين أورنمو، مؤسس سلالة أور الثالثة ٢١١٢ – ٢٠٠٤ ق.م، نقرأ: ((إن تقرير مصير سومر بيد الآلهة، التي اختارت أورنمو ليحكم البلاد نيابة عنها)). انظر كتاب، برهان الدين دلّو: حضارة مصر والعراق التاريخ الاقتصادي –

- عسى أن يُحسن توجيه **نواميسك** التي اكتملت
- لقد أعلن (الجبل العظيم) إنليل، **اسمك** المتسامي في السّماء والأرض
- أيتها المدينة التي **قدَّرَ مصائرها** (أنكي) [١٣٠].

الإله أنكي يقرر مصير بلاد ملوخا وماجان ودلمون وعيلام

هنا نرى كيف يرحل أنكي إلى بلاد ملوخا – Melukha[♠] الجبل الأسود، ويزرع خيراته، ومن بعدها يرحل إلى بلاد ماجان Magan[♥]، ودلمون Delmun[♦]، ومن بعدها، يُقرر مصير بلاد عيلام ومارخَشي Markhashi[♣] وكذلك قبائل المارتو (البدوية) التي تتجول في الشّمال

الاجتماعي – الثقافي والسياسي ، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٨٩م،، دار الفارابي بيروت لبنان، ١٩٨٩م، ط ١، ص ٣٩٦.

[١٣٠] – صمويل كريمر: من ألواح سومر، مرجع سابق، ص ١٨٠، ١٨١.

[♠] – بلاد ملوخا، وهي الشاطئ الغربي لشبه الجزيرة الهندية، فيما يعتبرها د. نائل حنون، في كتابه: الحياة والموت، مرجع سابق، ص ٨٢، ٨٣. تقع على البحر الأحمر، باسم ملوخا.

[♥] – بلاد ماجان: هي المنطقة السّاحلية المجاورة لخليج عُمان.

[♦] – بلاد دلمون: هي منطقة البحرين حالياً.

[♣] – بلاد عيلام ومارخَشي: وهي المنطقة الواقعة إلى الشرق من سوز العيلامية في إيران.

الغربي من بلاد الرافدين بجوار نهر البليخ والخابور من شمالي سوريا[١٣١].

وبعد جولة كبيرة ومثيرة من تنظيم وتوزيع المهام – دائماً – وفق ألواح الأقدار والمصائر، التي بحوزته، نراه يُنظم أمر المحراث والنير والحقول والمزروعات وغيرها من أدوات العمل والصناعة، وذلك وفق مقتضيات ومقررات الـ (المي)، تقول الأسطورة:

- لقد وجَّهَ المحراث والنير
- الأمير العظيم أنكي جعل الثور (يفلح)
- .....

ثم التفت إلى الفأس وقالب القرميد، وعيَّن **(كُتباً)** لتنظيم شؤونهما، ودبّر ألة البناء، ووضع أسس المساكن[١٣٢] ... إلخ من تنظيم البلاد والحياة، وقد أوكل لكل إلهٍ مهمة الإشراف على أمرٍ من أمور الحياة، وكل ذلك بفضل ألواح الأقدار، الـ ME.

---

[١٣١] – ديوان الأساطير، سومر وأكاد وآشور – الكتاب الثالث، مرجع سابق، ص ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤.

[١٣٢] – وديع بشور: الميثولوجيا السورية، مرجع سابق، ص ٥٤.

الإله أنكي يقوم بتوزيع مهام بعض الآلهة

ففي هذه الأسطورة – أيضاً – يقوم أنكي، وكما رأينا أعلاه، بتحديد الواجبات الكاملة لعدد من الآلهة والإلهات، ومن بينهم انانّا، التي يُعلن أنكي واجباتها (حسب ألواح القدر) بوضوح كامل، وذلك في مَعْرض ردِّهِ على شكواها ولومها له، بسبب ما ادعته من تفضيل الإلهات الأخريات عليها، فيخاطبها بقوله:

- إنليل ...
- زيَّنَ لكِ
- وجعلكِ ترتدين هناك ثوب قوة الفتى الشّاب
- وأنتِ هيمنتِ على الكلمات، التي ينطق بها الفتى الشّاب
- وأشرفتِ على العصا والصولجان والمحجن
- فماذا نزيد على كل هذا أيتها العذراء انانّا؟.
- وأنتِ التي تُجيبين على أسئلة السّائلين، من ما يخصُّ الحروب والغزوات
- وأنت التي تجدلين الخيطَ المستقيم
- وأنتِ، أيتها العذراء انانّا – عدَّلتِ الخيط المفتول، فأصبح مستقيماً
- وفصَّلتِ الأردية ولبستِ الأثواب
- ونسجتِ نسيجَ الملك، ولففت الوشيعة ؟؟

- في ... صبغتِ خيطَ ... بالألوان المتعددة
- يا انانّا، أنتِ حطَّمتِ ما لا يتحطم، وأتلفتِ ما لا يُتلف
- وأنت أمسكت رق الأحزان
- أيتها العذراء انانّا، أنتِ أعدت ترانيم تيكي والأناشيد إلى بيتها
- وأنتِ التي لا يُملُّ من التطلع إليها

إذن، إنانّا، هي الإلهة المسؤولة عن الحب والجيش والحرب، وهي التي تستقطب طاقة الشّباب، وتستحوذ على أفكارهم، كما أنها مسؤولة عن الغزل، ونسج الثياب، وصباغة الأنسجة[١٣٣]. وبالتالي هي مهامٌ أوكلت بها انانّا وفق ما قررتها ألواح القدر والمصير، لذلك يمكن القول: أنه، حتى عمل ومهام الآلهة من حجم انانّا – ربما – كان مقرراً لها مسبقاً.

أيضاً، نرى الإله أنكي يُنظم عمل الإله لخار، المسؤول عن الماشية والأغنام وحظائرها ومنتوجاتها، عن طريق إقامة مناظرة بينه وبين الإلهة أشنان، إلهة الحقول والغلال وبيادرها المُكدَّسة[♣]، وفي هذا الصدد، نقرأ:

- إن الخير الوفير الذي يأتي من السّماء

---

[١٣٣] – نائل حنون: الحياة والموت، مرجع سابق، ص ٩٧، ٩٨، ٩٩.

[♣] – ويندرج هذا النص ضمن ما يُسمّى بأدب المناظرة.

- كان لخار وأشنان يُظهرانه (في الأرض)
- وكانا يجلبان الخير الوفير في المجمع
- وفي البلاد أحلّا نفسَ الحياة
- ووجَّها **نواميس** الإله
- وضاعفا محتويات المستودعات
- وملآ المخازن.
- ... إلخ

إن المقصود بنواميس الإله هنا: أي نواميس الإله أنكي، فهذان الإلهان، كانا يُجسِّدان القوى المنتجة الكامنة في الحقول والحظائر، تلك القوى الكونية، التي تضمن استمرار الحقول والحظائر في الانتاج[١٣٤]، وهذه القوى – بطبيعة الحال – تتحرك بفضل الـ (مي – ME)، إذن، كل شيء مرسوم، وكل شيء مُخطَّط له وفق هذه الـ (مي)

---

[١٣٤] - نائل حنون: الحياة والموت، مرجع سابق، ص ١٠٩، ١١٠.

أسطورة الإله أنكي والإلهة ننماخ وخلق الإنسان

يدور موضوع هذه الأسطورة السومرية، حول خلق الإنسان من الطين، وعن سبب هذا الخلق، فقد ضجَّت الآلهة من الصعوبات التي كانوا يواجهونها في الحصول على الطعام، فيقومون بإبلاغ شكواهم إلى الإلهة نمّو (إلهة البحر)، أم الإله أنكي، التي بدورها تنقل الشكوى إلى ابنها، بضرورة تدبير الأمر وخلق خدم للآلهة[١٣٥]، أي البشر، أما فيما يخص ألواح المصير في الأسطورة، فنقرأ:

- ثم نادى (أنكي) على أمه الإلهة (نمّو) وقال لها:
- ......
- وعسى أن تساعدكِ في ذلك الإلهة ننماخ (ننخرساك)
- ......
- أمي: **قرري مصير الإنسان**، تُجيب الإلهة ننماخ
- عسى أن يكون العمل **مصيره**[١٣٦].

[١٣٥] – نائل حنون: الحياة والموت، مرجع سابق، ص ٦٦.

[١٣٦] – نخبة من الباحثين العراقيين: حضارة العراق، ج ١، فوزي رشيد، بحث بعنوان: الديانة– المبحث الأول – المعتقدات الدينية، ، بغداد ١٩٨٥، وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٩٩م، ص ١٧٢، ١٧٣.

أسطورة نزول انانّا إلى العالم السفلي

على الرغم من اعتبار انانّا سيدة السّماء، أي العالم الأعلى العظيم، كما يُشير إلى ذلك اسمها، فإنها كانت تسعى أيضاً وراء سلطان أوسع، إذ استهدفت أن تحكم مناطق (جهنم – أرض اللاعودة) أي (العالم الأسفل العظيم) أيضاً، ولهذا صمَّمت على أن تهبط إلى هذا العالم، لترى ما يمكن عمله بهذا الشأن، وبعد أن جمعت ما لديها من (النواميس الإلهية الـ ME) اللائقة، وازدانت بحللها وحلاها الملكية، أصبحت على أهبة الاستعداد للدخول إلى تلك (الأرض التي لا رجعة منها).

ويبدو أنها كانت تعتمد على هذه النواميس (بما لها من قوة وسلطة) في السَّيطرة على العالم الأسفل، لكن ذلك – كان – مخالفاً للنواميس الإلهية العليا، ففشلت في مسعاها، بعد أن كُشِفَ أمرها[١٣٧]. وإذا كانت الأسطورة قد اظهرت سبب نزولها حسب ادعائها، حين قالت:

- جئت من أجل أختي الكبرى إيريشكيجال
- لأن زوجها السّيد (جوجالنا) قد قُتل

---

[١٣٧] – صمويل كريمر: من ألواح سومر، ت. طه باقر، تقديم ومراجعة أحمد فخري، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ص ٢٦٤.

- لكي أحضر جنازته (كما سنرى لاحقاً)

فإنه يبدو ليس السبب الحقيقي لنزولها إلى هناك، وفي هذا الصدد فإن د. نائل حنون، يُبين سبب نزولها إلى العالم الأسفل بقوله: ((لم يكن سوى طموحها وتهورها ورغبتها في فرض سلطاتها على العالم السفلي ... وربما لسبب فردي شخصي، يكمن في الرغبةِ في فرض السيطرة على العالم السفلي، ومنافسة حاكمته إيريشكيجال، شقيقة انانّا، على حُكمهِ ... أو – ربما – لهدفٍ غير مُعلن، هو رؤيتها لدموزي، على اعتباره من آلهة العالم السفلي، بُغية محاولة إخراجه منه، وهذا ما يُفسر غضب إيريشكيجال حين علمت بقدومها، لأنه فيما لو نجحت – أي انانّا – في مسعاها، فإن سلطة إيريشكيجال على العالم السفلي، وتطبيق قوانينه (المي الخاص به) ستتقوض، وستنهار القواعد الصارمة المُطبَّقة فيه، بعدم جواز لقاء من يسكنون فيه، أحبتهم في العالم العلوي..))[١٣٨]. وفي هذا إشارة واضحة منه حول وجود ألواح قدر خاصة بالعالم السفلي كما أشرنا سابقاً.

وكانت الملكة التي تحكم في العالم الأسفل – كما رأينا أعلاه – أختها الكبرى وعدوتها اللدود إيريشكيجال، وهي إلهة الموت والظلام

---

[١٣٨] – نائل حنون: الحياة والموت في حضارة بلاد الرافدين القديمة – بحث في المعتقدات الدينية والأساطير القديمة، دار الخريف للنشر والتوزيع، ط ١، دمشق، ٢٠٠٥م، ص ٩٣، ١٥٩، ١٦٤.

عند السومريين، وبسبب خشية انانّا من أن تُميتها أختها في ذلك العالم الذي تحكمه، في حال فشلت، فقد احتاطت للأمر، فأوصت وزيرها ننشوبر[♣]، إن هي لم تعد بعد ثلاثة أيام، عليه أن يطلب مساعدة الإله إنليل في مدينة نفر، وإن رفض، عليه بإله القمر (سين) في مدينة أور، وإن أبى، عليه الذهاب إلى إريدو وطلب مساعدة إله الحكمة أنكي، الذي – حُكماً – لن يتقاعس عن نجدتها.

وبعد هذا نجد انانّا تهبط إلى العالم الأسفل، وتقترب من معبد إيريشكيجال المُشيَّد من حجر اللازورد، وعند الباب يعترضها رئيس حراس المدخل أي البوابة الأولى (نيدو)[♠]، الذي طلب منها أن تُخبره من تكون، ولماذا جاءت إلى العالم الأسفل، فلفَّقت انانّا عذراً لزيارتها، وبعد ذلك، كانت كلما مرَّت من باب من الأبواب السبعة – وعلى الرغم من ممانعتها – جُرِّدت من حللها قطعةً قطعة. أخيراً، وبعد أن مرَّت من البوابة الأخير، قادوها – وهي – عارية لا يستر جسمها شيء، وبذلك تكون قد فقدت السيطرة والسلطة، لذا، أُمرت أن تسجد أمام إيريشكيجال وأمام الأنوناكي، وهم قضاة العالم السَّبعة المخيفون الخاصون بالعالم

[♣] – ننشوبر وزير أو وزيرة انانّا، وذلك بسبب اختلاف المصادر فيها، لكن على الأغلب وزير.

[♠] – نيدو، هو رئيس بوابي العلم السفلي، وخو حارس البوابة الأولى.

الأسفل، فصوبوا إليها نظرات الموت، فتحولت من أثرها إلى جثة هامدة، عُلِّقت من قائم.

وبعد مرور ثلاثة أيام على مغادرة انانّا، وعندما رأى وزيرها ننشوبور، أن سيدته لم تعد، نفَّذ وصيتها، وحدث كما توقعت – هي – من عدم مساعدتها إلا من قِبل الإله أنكي، الذي ابتدع وسيلة لبعثها إلى الحياة، حيث أرسل إليها مخلوقين لا جنس لهما، وزَّودهما بطعام وماء الحياة، وأمرهما أن يدخلا إلى العالم السفلي، وينثرا ذلك الماء، وذلك الطعام على جثة انانّا المُعلَّقة، ففعلا ما أُمرا به، فعادت انانّا إلى الحياة ثانيةً.

لكن عودة انانّا – هذه – إلى الحياة، كانت مشروطةً – حسب قوانين العلم السفلي، الأرض التي لا رجعة منها – بإرسال بديل عنها، فعادت إلى العالم العلوي برفقة حراسةٍ من الشياطين الغِلاظ، لكي تفي بوعدها، وهنا، تختار انانّا زوجها دموزي بديلاً عنها، ورغم كل المساعدات التي قدمها الإله أوتو (شمش) له، فإن النص ينتهي بدخول دموزي إلى العالم الأسفل، ويصبح إلهاً فيه، وذلك حسب مصادر أسطورية أخرى.

لقد ورد في هذه الأسطورة، ما يُشير إلى علاقة انانّا بألواح الأقدار، نذكر منها:

- هجرت (سيدتي) السّماء وهجرت الأرض
- هجرت انانّا السَّماء، وهجرت الأرض
- وهبطت إلى العالم السفلي
- نبذت السّيادة ونبذت السُّلطان
- ربطت إلى جانبها **(النواميس)** الإلهية السَّبعة*
- وجمعت كل (النواميس) الإلهية ووضعتها في يدها
- ووضعت جميع (النواميس) إلى جانب قدمها
- ووضعت على رأسها الـ (شوجُرَّا)، تاج السّهل
- .....
- ولما وصلت انانّا إلى القصر، إلى جبل اللازورد
- وفي مدخل العالم الأسفل تصرَّفت بجرأة
- وفي قصر العالم الأسفل تكلمت بجرأة
- افتح البيت يا حاجب! افتح البيت
- افتح البيت يا نيتي (نيدو) افتح البيت، أريد أن أدخل وحدي
- فقال نيتي (نيدو) كبير حُجَّاب العالم الأسفل لـ انانّا الطاهرة
- من تكونين أرجوك

---

* – من المعروف أن الرقم سبعة عندما يرد في أساطير بلاد الرافدين، فإنه يدل على الكثرة، وليس على الرقم سبعة بحد ذاته، إذن النواميس الإلهية السَّبعة – هنا – تعني عدداً كبيراً من النواميس، بدليل السطر التالي، عند قوله: ((جمعت كل النواميس، وإلا قال: النواميس السبعة)).

- أنا ملكة السَّماء، الموضع الذي تُشرق منه الشمس
- فلمَ جئت إلى الأرض، التي لا رجعة منها
- وفي الطريق الذي لا رجعة لمن سار فيه، كيف قادك قلبك؟
- فأجابته انانّا الطاهرة
- جئت من أجل أختي الكبرى إيريشكيجال
- لأن زوجها السّيد (جوجالنا) قد قُتل
- لكي أحضر جنازته
- ... وهكذا ليكن

وهنا، نرى كيف يستشير الحاجب الملكة إيريشكيجال بالأمر، ويخبرها بأن انانّا تحمل **النواميس الإلهية السبعة،** فتغضب إيريشكيجال♣، وتأمر حاجبها بإدخال انانّا عاريةً من كل ما تحمله لكي تنحني أمامها، وقد نفذ الحاجب ما أُمر به، فكان كلما دخلت انانّا عبر باب من الأبواب السَّبعة (الكثيرة)، أخذ منها ناموساً من النواميس التي معها، وتكون بذلك قد جُرَّدت من قوتها، نقرأ في الأسطورة:

- وعند دخولها – أي انانّا –
- نزع من رأسها الـ (شوجرا) (تاج السّهل)
- ما هذا؟ أتضرع إليك!

♣ – يبدو أن سبب غضب إيريشكيجال، هو مخالفة انانّا لقوانين (الـ مي) الخاصة بالعالم السفلي.

- اسكتي يا انانّا فإن **أحكام العالم الأسفل** عادلة
- فلا تعترضي، ولا تسترحمي يا انانّا من **شعائر العالم الأسفل**
- وعند دخولها الباب الثاني
- أُخذت منها عصا القياس وخيط اللازورد
- ......
- وعند دخولها الباب الثالث
- اُنتزعت أحجار اللازورد من جيدها
- .....
- وعند دخولها الباب الرابع
- اُنتزِع من صدرها حجر الـ ... (منز)
- وعند دخولها الباب الخامس
- أُخِذَ من يدها الذهب
- وعند دخولها الباب السَّادس
- اُنتزع منها حجاب الصدر المُسمى (تعال يا رجل! تعال)
- وعند دخولها الباب السّابع
- أُخذت من جسدها السّيادة والحكم
- وأُخذت وهي مُنحنية عارية إلى حضرتها (أي إيريشكيجال)
- استوت إيريشكيجال المُطهَّرة على عرشها

- ولفظ (الأنوناكي) القضاة السّبعة بحكمهم في حضرتها [١٣٩].

وهنا لسنا بحاجة إلى الكثير من التفكير، لمعرفة أَن ما كانت انانّا تحمله معها، هو نواميس الـ (مي) التي سبق وعرفناها في أسطورة زيارة انانّا إلى مدينة إريدو (تاج السّهل، عصا القياس وخيط اللازورد، تعال يا رجل! تعال، السّيادة والحكم ...إلخ) فالتطابق واضح جداً، وهذا مخالفٌ للناموس الإلهي (المي). وبهذا نالت انانّا عقابها على مخالفة قوانين العالم السفلي والعلوي معاً، التي لا تسمح لها بالدخول إليه ثم العودة منه، كما لا يمكنها إدخال نواميس الـ (المي) الخاصة بالعالم العلوي، إلى العالم السفلي، مما يُعدُّ مخالفة كبيرة لنواميسه الخاصة.

[١٣٩] - صمويل كريمر: من ألواح سومر، مرجع سابق، ص ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣,٢٧٤.

أسطورة خلق الإنسانين الأولين

في هذه الأسطورة، يتم الحديث عن خلق أول إنسانين، هما:

١. أوليجارا، ويعني الاسم بالسومرية، منشئ الرخام.
٢. زلجارا، ويعني الاسم بالسومرية، منشئ الوفرة.

ونجد فيها أيضاً، أن خلق هذين الإنسانين، يتمُّ في حارة اوزموا المقدسة في مدينة نفر (مدينة إنليل المقدسة) وذلك بذبح أكثر من واحد (اثنين) من الآلهة المُسمَّاة (لامجا) التي كانت مسؤولة عن حرفة البناء، وعلى وجه التخصيص صناعة الآجر. لقد قررت الآلهة – في هذا النص – مصائر البشر، وباركت جهودهم، وفي هذا الصدد نقرأ:

- حينما فُصلت السّماء عن الأرض، جاء التوأم القاصيان
- الموثوق بهما وأم الإلهات إلى الوجود
- حينما كُوِّنت الأرض، ورُسِمت صورها
- **حينما حُددت مصائر السَّماوات والأرض**
- .....
- والآن، **وقد تقررت مصائر السَّماوات والأرض**
- وأُعطي لِكُلِّ وادٍ وقناة مجراه
- .....
- ماذا ينبغي أن نخلق بعد ذلك؟

- الآلهة العِظام، الذين كانوا حاضرين
- **الأنوناكي، الذين يقررون المصائر**
- لنذبح (اثنين) من آلهة لامجا
- ونخلق البشر من دمهما
- .....
- في المقام السَّامي للآلهة اللائق لأن يكون مزاراً معظماً
- أوليجارا وزلجارا
- استدعوهما
- .....
- أرورو (ننخرساك) سيدة الآلهة، الخليقة بالسّيادة
- قضت لهما **بمصائر عظيمة**
- عامل ماهر ينتج لعامل ماهر، وعامل غير ماهر لعامل غير ماهر
- متسامقون بنفسهم مثل قمح من الأرض
- .....
- هذه المصائر العظيمة
- آنو، إنليل
- أيا، وننماخ (ننخرساك)
- الآلهة العِظام قدروها
- وفي الموضع الذي خُلِقَ فيه الإنسان

- تقرر أن يكون مقام الإلهة نيسابا
- ليُعلِّمَ الحكيمُ اللّغزَ لحكيمٍ آخر
- ..... إلخ[١٤٠].

وهنا نرى، أن الآلهة الكِبار (السبعة) في مجمع الأنوناكي (آنو، إنليل، أيا، ننخرساك ...إلخ) هي من تقوم بتقرير مصائر البشر، وكل شيء، وإن الإنسان، قد خُلِقَ من دمِ الآلهة، وفي المكان، الذي خُلِقَ فيه، يكون مقام الإلهة نيسابا؟، فما أعظم مكانة هذا الإنسان في اعتقادهم، فقد امتزج بدم الآلهة المقدسة، وفي مكان خلقه، كان مقام إلهة الحبوب، وإلهة القصب المُستعمل في الكتابة (نيسابا)، فما أعظم من ذلك مكانةً، لمن يريد الحكمة.

ولكن السؤال المهم الآن، ما هو هذا اللغز الذي لا يعرفه سوى بعض الحكماء؟؟، اعتقد أن الحكماء من البشر – حقاً – يفهمون المغزى!!.

---

[١٤٠] – نائل حنون: الحياة والموت، مرجع سابق، ص ٦١ – ٦٥.

ملحمة جلجامش

في هذه الملحمة، نرى ما يُشير إلى قوة القدر، التي لا تُغلب، وكون ما يُقدر على المرء، يبدأ منذ ولادته وقطع حبل سرته. كما يرد أن الآلهة، هي التي تجتمع ومعهم الإلهة ماميتوم (إلهة العالم السفلي) لتحديد الأقدار[١٤١]، وهذا ما نجده في خطاب أوتنابشتيم لجلجامش، نقرأ:

- ألهة أنوناكي العِظام اجتمعوا
- **ماميتو مُحَدّدة المصير**، تثبت المصائر معهم
- أقاموا الموت والحياة
- لكنهم لم يكشفوا عن يوم الموت!!.

وفي هذه الملحمة ما يُشير – أيضاً – إلى أن الموت ليس عقوبةً فُرضت على البشر السيئين، وإنما حقيقة حتمية تشمل كل إنسان مهم كانت منزلته في الحياة، ويتضمن خطاب أوتنابشتيم (نوح البابلي) الموجَّه إلى جلجامش، في اللوح العاشر من النص، خلاصة النظرة العقلانية للموت في الفكر القديم واستدلال على عبثية نُشدان الخلود، يقول أوتنابشتيم في خطابه لجلجامش:

- لقد أخذوا أنكيدو لحتفه، لكنكَ تحملت العناء، فماذا جنيت؟

---

[١٤١] – أسامة عدنان يحيى: مرجع سابق، ص ١٧٩، ١٨٠.

- لقد قاسيتَ من عناء مستمر
- وملأتَ شرايينك بالحزن
- جالباً أيامك إلى نهايتها
- فالإنسان يُكسَرُ مثل قصبة في أجمة القصب
- الفتى الوسيم، الفتاة الجميلة
- جميعهم حالما يكونون في شرخ صباهم يخطفهم الموت
- **لا أحد يرى الموت**
- لا أحد يرى وجه الموت
- لا أحد يسمع صوت الموت
- الموت ضار يحصد البشر
- **فهل حفظنا بيوتنا للأبد؟**
- وهل بنينا مساكننا للأبد؟
- هل يقسم الأخوة ميراثهم للأبد؟
- وهل تقوم البغضاء في البلاد للأبد؟
- هل يفيض النهر ويأتينا بالفيضان للأبد؟
- وذبابة نوار، تطوف فوق الماء
- وعلى وجه الشمس تتكشف طلعتها
- ثم على حين غرة لا شيء هناك
- المخطوف والميت كم يتشابه قدرهما
- ولكن صورة الموت لا ترسم أبداً

- ولا يحيى الميت في البلاد إنسان أبداً
- .... إلخ[١٤٢].

وحتى نبتة الخلود التي تُطيل العمر وتعيد الشباب، وهي سر من أسرار الآلهة (المي)، كان كاتب النص حريصاً على عدم الاستفادة منها لأنها ستخرق قواعد القدر والمصير المحتوم (المي)، ففي خطاب أوتنابشتيم إلى جلجامش، نقرأ:

- دعني أفشي لكَ، يا جلجامش، سراً دفيناً
- سأخبرك بسرٍ من أسرار الآلهة
- هناك نبتةٌ تشبه العوسج
- إنها تخز مثل (وردة الكلب) وتوخز من يقطفها
- لكنك إن امتلكت هذه النبتة ستكون ثانية كما كنت في شبابكَ
- ....

لكن هذه النبتة، وبقدرة قادر!!؟ (الآلهة) تضيع من جلجامش، إذ تأخذها أفعى (وبعدها تجدد جلدها) وبهذا تقدم الملحمة – من جديد – تبريراً أسطورياً في حبكة أدبية لظاهرة نزع الأفاعي لجلودها وكأنها تجدد شبابها[١٤٣]، وهذا ما حُرِمَ منه الإنسان؟.

---

[١٤٢] - نائل حنون: الحياة والموت، مرجع سابق، ص ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣.

[١٤٣] - المرجع نفسه، ص ٢١٠.

أسطورة موت جلجامش

لقد جاءتنا هذه القصة أو الأسطورة، التي تدور أحداثها حول موت جلجامش، بهيئة قصيدةٍ لم يبقَ منها إلا جزء قليل، حيث لا يُعلم مقدار طولها بالأصل، وقد جاء الجزء الثاني الباقي منها، في ثلاثة ألواح من مدينة نفر، ويرجع زمنها إلى مطلع الألف الثاني قبل الميلاد في العصر البابلي القديم، وهي تعطي – على قِصرها – فكرةً جيدة عن عقائد سكان بلاد الرافدين، عن عالم ما بعد الموت.

وخلاصة القسم الأول من النص، أن جلجامش، أدرك الحقيقة المُقدَّرة على البشر، وفق ألواح الأقدار، بحتمية الموت، وإنه لا سبيل للحصول على الخلود، وعليه أن يرضى بنصيبه [١٤٤]، وهنا، يرتاع جلجامش من إدراكه أنه – هو نفسه أيضاً – سيموت، ويتذكر أن الناجي الوحيد من الطوفان (أوتنابشتيم) قد مُنح الحياة الأبدية، فينطلق إلى دلمون♣ يهيمُ في السهوب، وهنا توافيه رؤيا من العالم السفلي، بأنه ينشد عبثاً (المعرفة السرية للآلهة) لأن حتمية الموت من نواميس العالم السفلي، وحين يصل في النهاية إلى دلمون، يقول له (أوتنابشتيم): إن

---

[١٤٤] – طه باقر: ملحمة كلكامش وقصص أخرى عن كلكامش والطوفان، سلسلة الكتاب للجميع (٥)، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، ط ٥، ٢٠٠٧م، ص ٢٠١.

♣ – دلمون، مكان إقامة أوتنابشتيم.

الآلهة جعلت قوانين الطبيعة عصيَّةً – حتى – على بعض الأشخاص المُفضلين لديها، كما حدث معه (أي أوتنابشتيم) أي، ليس هناك مجال آخر لتغيير هذه النواميس، حتى لو كان جلجامش هو المقصود بها.

وهنا يدرك جلجامش الحقيقة المُرْةَ (الناموس) وكأنه تلقى درساً قاسياً عن حدود الحياة البشرية، دون أن يحصل على معلومات خاصة من الآلهة عن الخلود، لأن هذه المعلومات، **حصرٌ** على الآلهة، ويُدرك الحقيقة، ويعود إلى مدينته أوروك، لكي يُركِّز على بناء أسوارها [١٤٥]، أي النظرة الواقعية.

أما القسم الثاني من النص، فيذكر قائمة بأسماء أفراد أسرة جلجامش واتباعه وخدمه، ممَّن ذهب معه إلى العالم الأسفل، ثم قائمة بالهدايا التي قدمها جلجامش لآلهة هذا العالم، وفي مقدمتهم ملكة ذلك العالم إيريشكيجال.

أما فيما يخص الأبيات، التي وردت في هذه الأسطورة، وذكرت ألواح الأقدار، فنذكر منها:

- أن مغزى حُلمكَ أيها السّيد جلجامش
- **لقد قُدِّرَ مصيركَ أن تحوز على الملوكية يا جلجامش**

---

[١٤٥] – كارين آرمسترونغ: موجز تاريخ الأسطورة، ت. أسامة إسبر، دار بدايات للطباعة والنشر، دمشق، ط ١، ٢٠٠٧م. ص ٦٦، ٦٧.

- **أما الحياة الخالدة فلم تُقدَّر لكَ**
- ......
- وقدر لك النصر في المعركة، التي لا يسلم منها أحد
- وقدر لك النصر في الهجوم، الذي لا يسلم منه أحد
- ......
- على فراش المنية المُقدرة يضطجع ولا يقوم [١٤٦].

[١٤٦] – طه باقر: ملحمة كلكامش، مرجع سابق، ص ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤.

أسطورة آدابا

تصف هذه الأسطورة حوادث تقع لآدابا*، صياد السمك، في مدينة إريدو، الذي حباه الإله أيا بسعة المعرفة والسلطة، غير أنه لم يوهب الخلود، وتسنح له الفرصة للحصول على الخلود، حين يقرر الإله آنو (إله السّماء) استدعاءه لمحاسبته على كسر جناح الريح الجنوبية، وهو العمل الذي قام به آدابا، بعد أن أغرقت هذه الريح قاربه، وحين يتوجه للمثول أمام آنو، يُرشده الإله أيا – كالعادة – للتصرف بحزن وإظهار علامات الحداد ليستميل إلهين من آلهة العالم السفلي سيصادفهما قبل وصوله إلى آنو، وهذان الإلهان، هما تموزي وننجشزيدا، ولكنه يوصيه أن يمتنع عن الأكل والشرب في حضرة آنو، مخافة أن يُقدم له طعام الموت وماءه. ويحصل آدابا على رضى تموز وننجشزيدا وعطفهما، فيتشفعان له عند آنو، الذي يُقرر أن يُقدم له طعام الحياة وماءها، رمزاً لمنحه الخلود، ولكن آدابا يمتنع عن تناولهما، تمسُّكاً – منه – بتوصية أيا، فيثير سخرية آنو من تصرفه هذا، ويفقد فرصة الحصول على الحياة الخالدة. وهو المَخْرَج المُعتاد

* – لقد خلق الإله أيا (آدابا) كنموذج للإنسان، وفد أُعتبر واحداً من الحكماء السبعة، وغدا كاهن معبد إريدو، حيث كانت وظيفته تأمين القوت إلى سيده وخالقه، ويمكن اعتبار آدابا بمثابة آدم البابلي. انظر كتاب، عيد مرعي، فيصل عبدالله: مرجع سابق، ص ١٣٧.

في كل أسطورة وحكاية، لكي لا يحصل إي مخالفة لقواعد القدر المعروفة. وبهذا الصدد يرد في نص هذه الأسطورة (الأكادية) التي عُثر على نسخة منها في تل العمارنة بمصر، ما يلي:

- حدَّقَ به آنو وضحك عليه
- اذهبْ آدابا، لماذا لم تأكل، لم تشرب؟
- لن تنال الحياة، الناس لا يخلدون[١٤٧].

هنا، يمكن طرح السؤال التالي: ترى هل أخطأ أيا رغم حكمته؟ أو كذب عمداً على خادمه، لسببٍ لا يمكن معرفته؟ إن هذه الرواية الشعرية لا تقدم إيضاحاً حول هذه الأسئلة. لكن من الواضح جداً، أن الإله أيا، لا يريد، أو – حتى – لا يستطيع مخالفة قواعد القدر (المصير) لأنه يعلم ذلك جيداً.

ومهما كان الأمر، فإن طاعة آدابا العمياء، وتنفيذه أوامر سيده بحرفيتها، قد أفقدته حقوق الولوج إلى الخلود والأبدية، وهي حال (آدم) الذي فقدها – أيضاً – نتيجة عدم طاعته وعصيانه. فهل حَكَمَ الإنسان على نفسه – في الحالتين – بالموت؟[١٤٨]، ربما. لكنني اعتقد أن الإجابة واضحة في النص، الذي يُقدم دليلاً جديداً على استحالة

---

[١٤٧] – نائل حنون: الحياة والموت، مرجع سابق، ص ٢١١.

[١٤٨] – عيد مرعي، فيصل عبدالله: مرجع سابق، ص ١٣٨.

الحصول على الخلود، حتى وإن اقترب الإنسان من الحصول عليه، فإن هناك ما سيحدث – حتماً – لكي يجعل البشر يرضخون – دائماً – لحتمية الموت (القدر).

أسطورة جوديا (ترتيلة جوديا)

وهي ترتيلةٌ طويلةٌ رائعة، ترجع إلى نحو ٢١٣٠ ق.م وكانت مُخصَّصةً لترميم معبد (انينّو) في مدينة لجش السومرية، في ظل حكم ملكها المُتعبد جوديا ٢١٤٤ – ٢١٢٤ ق.م، وقد نُقشت على أسطوانتين طينيتين قُسِّمتا إلى أربعة وخمسين عموداً احتوت ١٤٠٠ حيز. تبدأ الترتيلة على الشكل التالي:

- عندما كان **القدر يُكتَبُ في السّماء والأرض**
- رفع رأسَ (أي إنليل) لجش عالياً نحو السَّماء، وفقاً **للناموس الأعظم**
- ونظر بعين المحبة إلى الرب ننجرسو(إله مدينة لجش)
- وأظهر إلى الوجود كل ما يُحيي المدينة، وفقاً **للناموس الأعظم (المي – القدر)**
- ......
- قال ننجرسو رب المعبد
- معبد أنينّو، سوف يسمو **ناموسه*** على السّماء والأرض
- وجوديا، الملك الصالح، الفَهِمُ الأديب، يعطي أذناً
- يقوم ثمة بجليل الأعمال
- يسوق إلى هناك عجولاً وكباشاً سليمة

* – وكنّا قد ذكرنا سابقاً، أن للمعابد نواميسها (الـ مي) الخاصة بها.

- يرفع رأساً إلى القرميد المبارك
- لقد وطَّن نفسه على تعمير البيت
- في ذلك اليوم، رأى ربه ليلاً في الرؤيا
- أمره ننجرسو أن يُعمِّرَ البيت
- وأطلعه على **ناموس** أنينّو الأعظم الخيّر
- ولكن مقاصد ننجرسو كانت غامضة
- .....
- ننجرسو، الشديد البأس في الأبزو
- الذي يوفر الأمن إلى نيبور (مدينة نفر)
- أيها البطل، لقد أعطيتني أمراً
- وسوف أنفذه مُخلصاً
- ننجرسو، سوف أنفذ لكَ **الناموس** بحذافيره
- فلتتفضل أختك، الأبنة المولودة في إريدو
- التي يُعتمَدُ عليها في صنعتها
- السَّيدة العارفة **بعلوم الآلهة**
- العزيزة نانشية، أخت سيارا – شُمْتا
- وتدلني على طريق الحلم
- .....
- نانشية، أيتها السّيدة الجليلة، سيدة **الناموس الثمين**
- السَّيدة التي **تكتب الأقدار** كـ إنليل

- العزيزة نانشية التي أمرها دائم، أبدي
- أنتِ، مُفَسِرَةُ الآلهة
- أنتِ، سيدة البلاد، أم الرؤى والأحلام
- في منامي – رجل
- كالسَّماء في عِظَم جرمه، كالأرض في عِظَم جرمه
- هو – رأسه رأس إله
- جناحاه جناحا طائر أمدجود (شعار الإله ننجرسو)
- قائمتاه قائمتاعفريت طوفان
- على يمينه وشماله أسدان يربضان
- أعطاني الأمر بتعمير بيته
- لا أدري ماذا يريد
- الشمس طلعت لي من الأفق
- امرأة – من هي ليست تكون! من هي تكون!
- وضعت ... على الرأس
- أمسكت قصبة اللوح الفضية المضيئة باليد
- أسندت لوح نجم على الركبة
- تتشاور معه
- ثم، بطل
- لوى الذراع، أمسك كتلة من حجر اللازورد
- للمنزل، رسم مخططاً عليها

- أمامي سلَّة زُرِعت
- قالبُ قرميدٍ مُقدس أُقيم مستوياً
- **قرميد القدر** وُضع في قالب القرميد من أجلي♠
- في عوسجة (إلداج)♦ المزروعة أمامي
- .....
- العذراء التي وضعت ... على الرأس
- وأمسكت قصبة اللوح الفضية♣ المضيئة باليد
- وأسندت لوح نجم على الركبة
- تتشاور معه
- ......
- السَّلة المقدسة التي زُرعت أمامك
- قالب القرميد المقدس الذي أُقيم مستوياً
- **قرميد القدر** الذي وُضع في قالب القرميد –
- إن هذا القرميد أنينّو الذي يقاوم

♠ – وبالتالي، هنا نتحدث عن رقيم فخاري لكتابة القدر، إذن هي نصوص مخطوطة على ألواح – ربما – كانت محفوظة في غرفة خاصة بها في بعض المعابد، خاصة معبد الإيكور، معبد الإله إنليل، في مدينة نفر المقدسة!.

♦ – في أسطورة ملحمة جلجامش، نرى أن نبتة الخلود تشبه نبتة العوسج.

♣ – أغلب الظن، أن المقصود هنا، هو قلم الكتابة المصنوع من القصب، الذي نكتب بواسطته على اللوح الفخاري.

- .....

وبعد أن فرغت الإلهة من تأويل الحلم، مضت من تلقاء نفسها في إسداء النُصح إلى الملك جوديا، بأن عليه أن يأتي بهدايا من السلاح إلى الإله ننجرسو المُحب للهدايا، الذي عُرف أيضاً بإله الحرب، عليه أن يأتي بها إلى المعبد ومعه، قيثار♥ الإله الشهير (أشموجال – جَلَامّا)، وبذلك يرقٌّ له قلب الإله، ويكشف عن كامل مخطط بيته، ويتحمس من أجله، نستمع قليلاً:

- قلب ننجرسو، ابن إنليل، سوف يرقٌّ من أجلكَ
- سوف يكشف لكَ كل مخططات بيته
- البطل **ذو الناموس الأعظم**
- سوف يمدٌّ لكَ يداً

هنا يقوم جوديا بتنفيذ تعليمات الإلهة نانشية بحذافيرها، نستمع قليلاً:

- بيتي، أنينّو الذي لي، أسَّسهُ آن (إله السّماء ورب الأرباب)
- **الذي ناموسه هو الناموس الأعظم** من كل ناموس
- البيت الذي ملكه ترى عيناه كل بعيد
- وأما صرختهِ، التي كطائر أمدجود، تُزلزل السماوات
- وعظمته المُخيفة تصل إلى السَّماء

♥ – القيثار، هو القيثارة (آلة موسيقية معروفة).

- بيتي، هيبته العظيمة تطغى على كل البلد
- باسمه جميع البلاد تجتمع من أقطار السَّماء
- ماجان وملوخّا تهبطان إليه من الجبال

ثم يمضي الإله في تعداد سلطاته الواسعة، وأسمائه الخصوصية، التي وهبه إياها الإلهان العظيمان آن وإنليل، ودوره المهم في إدارة حكم المدينة، ثم يختم خطابه بوعد لأهالي مدينة لجش بالثروة والرفاه، بهذه الكلمات الرنانة .....إلخ[١٤٩].

وبذلك ندرك مدى اعتقاد سكان بلاد الرافدين بفكرة ألواح القدر، ومدى الحرص على تنفيذ مضمونها بدقة، كما نتعرف من خلال هذه الترتيلة، على إمكانية كتابة ألواح القدر على رقم طينية، وبالتالي إمكانية نقلها وحفظها بشكل مادي ملموس، أمر وارد.

---

[١٤٩] – س . كريمر: إينانا ودموزي، مرجع سابق، ص ٤٢ حتى ٥١.

أسطورة انتقال الملك شولجي من أور إلى أوروك

للزواج من انانّا التي تباركه

عُرِف هذا النشيد تحت عنوان (مباركة شولجي) وهو ثاني ملوك مملكة أور الثالثة، الذي حكم ما بين ٢٠٩٣ – ٢٠٤٦ ق. م، ويبدأ هذا النشيد، بوصف انتقال الملك شولجي من عاصمته في أور إلى مقر الآلهة انانّا في أوروك، على سفينته الملكية، وهو مُحمَّلٌ بالقرابين، وعندما ترسو السَّفينة على الرصيف (كُلّابا) وهو أقدم وأشهر حي في أوروك، يتوجه مع تقدماته إلى الإيانا *Eanna، حرم الإلهة إنانا، نقرأ:

- شولجي، الراعي الأمين، ركب سفينته
- وباشر انتقاله
- يرافقه تألق (**أسرار**) الملكية
- و(**أسرار**) السّلطة ؟ سومر وأكاد
- .....
- توجه للقاء انانّا في معبد الإيانا

وكما مرَّ معنا سابقاً، من إمكانية أن تأتي كلمة (مِهْ) أو الـ ME وفق تعبير ((أسرار غيبية)) أو ((أسرار)) وبالتالي، فكلمة الأسرار الواردة

* – معبد الإيانا: بمعنى بيت السّماء، وهو المعبد الرئيسي في أوروك المُخصَّص لآن إله السَّماء، وتشغله انانّا غانية الإله آن.

في النص السّابق، ما هي إلا نواميس الـ (مِهْ) أو الـ ME، أي ألواح القدر، لذلك فإن الملك شولجي – كان – قد أخذ معه – من أور – بعضاً من نواميس الـ (مي) إلى مدينة أوروك، وهذا ما يتوافق – تاريخيّاً – مع اعتبار أور في عصر شولجي، كانت في قمة ازدهارها، ويبدو أن الرحلة كانت بُغية إرضاء اينانّا (برشوة) كي تباركه كإلهة.

وبالعودة إلى النص، نرى، أنه بمجرد وصول شولجي إلى المكان المناسب، فإنه يرتدي ألبسته الطقسية، ويتزين برموز وطلاسم الصَّلاحيات و(**الأسرار**) التي يملكها، وكأنه إلهي، ثم يضع على رأسه عُمرةً متوَّجةً، وعندما تُشاهد الآلهة مظهره المُتألق ألوهيةً، فإنها ترتجل نشيداً إباحياً بِحقِّهِ، لشدة إعجابها به ولشوقها للقائه.

ثم تتابع اينانّا – بعد ذلك – موضِّحةً ومُفصِّلةً المصير المجيد، الذي تُخصِّصهُ – هي – لحبيبها الملكي، ولِتُنهي كلامها في آخر النص، بتحديد مصير الملك شولجي من قِبلِ الإله آن إله السّماء، بقولها:

- هذا هو **المصير** الذي قرره آن من أجلكَ
- المصير الذي لا مردَّ له!
- وبواسطة **إنليل مُرسِّخ الأقدار: مصيركَ**
- لا بديل له!
- اينانّا تحبكَ! وأنتَ مُفضَّل(أمها) نينليل (قرينة إنليل)

- ......

للأسف هنا يتوقف النص، بسبب تهشمه [150].

إذن، ووفق النص السَّابق، نرى كيف نجح الملك شولجي بكسب رضاء الإلهة اناتّا، التي أكدت له مصيره الجيد، حسب ما قرره له الإله آن إله السَّماء، ورسَّخهُ إنليل كمصيرٍ له، لا تبديل فيه.

---

[150] - ديوان الأساطير، سومر وأكاد وآشور - الكتاب الأول، مرجع سابق، ص ١٦٥، ١٦٦، ١٦٨.

أسطورة لأسبحنَّ رب الحكمة

وهي الأسطورة التي يُسميها المُختصون بـ (المعاناة الحقة) إذ تصور لنا – بتعابير حادة – المشاعر المريرة لرجلٍ، سبق وكان نبيلاً وغنياً ونظيفاً، ومن ثمَّ، يجد نفسه – فجأة – مُنهاراً ومُحتقراً من قِبل كل شيء، وزيادةً على ذلك، فقد ابتلى بالأمراض الفظيعة والغامضة. لتنتهي مأساته بين يدي الإله مردوخ، الذي تأخذه الرحمة به، فَيُعيد الصحة والسَّعادة له، ولكن أيوب البابلي – هذا – كان قد مرَّ بأوقات صعبة – ربما – شكَّ فيها بالحكمة الإلهية، كما أنه يُشير إلى عبثية الأقدار، وجهله بها، فنراه يقول:

- من ذا الذي يعلم ما يُريد الآلهة في السَّماء؟
- من يستطيع أن يفهم ما يُدمدم به الآلهة في الجحيم؟
- كيف يستطيع سكان الأرض أن يعلموا **بالمشروع الإلهي؟**
- يكون الواحد منهم مُبتهجاً بالأمس ومُنهاراً اليوم!!
- أو نجده عابساً فجأة، وفي لحظة أخرى نجده مُتحمساً.
- وبلمح البصر يُغني فرحاً،
- وما أن تخطو حتى ينوح كالنواح!
- هذا هو من سأقف أمامه وأتساءل دون

- أن أفهم معناه العميق! [151].

إذن، هي الأسئلة، التي يسألها الإنسان لنفسه، فيما يخصُّ حيرته، مما قد يَجري له من أحداث، وقد سألها بطل هذه القصة لنفسه، وهي الأسئلة التي تدلُّ على حيرته، وذهوله مما جرى له، وتساؤله، هل أخطأ بحق الآلهة أو ازدراها، حتى تعرَّض للعقاب، فنراه يقول:

- هل ازدرى عن عمدٍ بالقضاء الإلهي؟
- هل كفر وجدفَ؟

لكنه، لم يفعل ذلك على الإطلاق، لذلك، نجده يتوجه إلى إلهه (الشخصي) الحامي، بِذلَّةٍ وخضوع، نائحاً وذارفاً للدموع، يسكبُ مكنون قلبه في الصلاة والتضرع.

وبعد معاناةٍ طويلةٍ، وامتحانٍ طويلٍ له، تأتي النهاية السّعيدة، فقد سُرَّ إلهه وراعيه لذلك سروراً عظيماً، ورضى أن يشمله برحمته، فقام بتخليصه من بَليَّته، **وبدّل** مرضه وعذابه وشقاءَه صحةً وفرحاً وسروراً. وفي هذا الصدد، نقرأ:

- فسحب يده من **كلمة** الشَّر

---

[151] – عيد مرعي، فيصل عبدالله: مرجع سابق، ص ١٣١.

- وطرد شيطان المرض، الذي أحدق به، وبسط عليه جناحيه
- وأزال عنه المرض الذي أضرَّ به مثل ... وبدده
- **وبدَّل المصير** المشؤوم الذي **قُدِّرَ** عليه بأمره
- وأحال عذابه إلى فرحٍ وسرور

أما عن فشل الكهّان والعرّافين في حلّ مشكلته وتفسير حاله، أي عدم استطاعتهم تغيير القدر والمصير المكتوب له، أي الفشل في خرق القدر (المصير)، نقرأ:

- أسباب الكهانة اضطربت، وأخذت تصبُّ غضبها عليَّ كل يوم
- إن فأل العرَّاف وكاهن الأحلام لا يفسر حالي
- ......
- لا طارد الأرواح ((الشريرة)) استطاع أن يُشخِّصَ علَّتي
- ولا العرَّافُ حددَ موعداً ((للشِّفاء)) من ذاتي[١٥٢]

لكن، وفي أماكن أخرى متعددة، من النصوص السومرية، كنّا نقرأ عن بعض النجاحات، التي قام بها هؤلاء الكهَّان والعرَّافيون بتغير المصير – ربما – بِخداع الناس!!؟.

---

[١٥٢] – عبد الغفار مكاوي: مرجع سابق، ص ١٦٦، ١٧٨، ١٨٨.

أسطورة إيريشكيجال ونرجال

(ألواح القدر في العالم السفلي)

هذا النص قصيرٌ، ولا يزيد عن ٨٨ سطراً، وهو يتميز بإيجاز نصوص الفترة البابلية القديمة (حوالي ١٧٠٠ ق.م) ومُلخَّص الأسطورة، أن الآلهة في العالم العلوي، أقاموا مأدبة وأرسلوا رسولاً إلى الأخت إيرشكيجال، بسبب عدم قدرتهم النزول للعالم السفلي، وعدم قدرتها الصعود إلى العالم العلوي، – طبعاً ودائماً – حسب ألواح الأقدار، فأرسلت إيريشكيجال حاجبها نامتار (إله الموت وقابض الأرواح) كي ينوبَ عنها، وعندما أُدخل نامتار إلى القاعة، تصرَّف الجميع معه باحترام، فأدوا له التحية، ويبدو أن الإله نرجال – هو الوحيد الذي – رفض الوقوف لتحية المندوب نامتار وتقديم الاحترام له، مما يُعبِّرُ عن إهانة خطيرة إلى سيدته التي أوفدته، والتي يبدو أنها علمت بذلك، ولعدم حدوث أي نتائج كبيرة لهذا التصرف، يُسرع نرجال نحو الإله الحكيم (أيا– أنكي) طالباً مساعدته، فينصحه بتعديل مظهره وحلق رأسه، وهنا تُطالب إيريشكيجال بتسليمها المذنب، وتسير الأسطورة بذهاب نرجال إلى العالم الأسفل مع مرافقيه، ويستطيع – بدهائه – أن يستولي على المكان ويعامل إيريشكيجال بعنف، ثم يتزوجها، فيصبح بعد ذلك، سيد العالم السفلي، تقول الأسطورة:

- ولما دخل القصر، قبض على إيريشكيجال
- وجذبها من شعرها، من على العرش إلى الأرض
- بُغية قطع رأسها
- لا تقتلني يا أخي (قالت له)
- لدي ما أقوله لك
- وحين سمعها تتكلم هكذا، أخفض نرجال يديه
- قالت مُنتحبةً، تملأ الدموع عينيها
- كُنْ قريني وسأكون زوجتكَ
- وسوف أجعلكَ تتصرف بالملكية على العالم السفلي
- وسوف أسلمكَ **لوحة – المعرفة**
- وستكون أنت السَّيد وأنا قرينتك
- عندما سمعها نرجال تتكلم على هذا الشكل
- ضمها بين ذراعيه وجفف دموعها، قائلاً
- ما أردتِ أن تعملي بي منذ أشهر
- هو ذا تحقق فعلاً في الوقت الحاضر[١٥٣].
- ....

[١٥٣] – ديوان الأساطير، سومر وأكاد وآشور – الكتاب الرابع – الموت والبعث والحياة الأبدية، ت. قاسم الشّواف، تقديم، أدونيس، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠١م، ص ١٤٣ حتى ١٤٨.

في إشارةٍ منه إلى رغبة إيريشكيجال في الزواج منه مُسبقاً. لكن، ما يهمنا في هذا النص، هو لوحة (المعرفة)، التي أعطتها إيريشكيجال إلى نرجال، بُغية إرضائه، فهل هذه اللوحة، هي **لوحة أقدار العالم السفلي؟**، التي تمثل تعاليمه، وأرادت اطلاعه عليها باعتباره سيدها الجديد!.

إن سير هذه الأسطورة، والواضح منها، يجعلنا نعتقد أن هذه اللوحة (المعرفة) – هي – على الأغلب، اللوحة الموازية للوحة الأقدار (المي) في عالم السَّماء، كرمزٍ للسَّيادة على العالم السفلي، ورمز للحفاظ على هذه السِّيادة.

أسطورة نينورتا يُخضع شعب الحجارة

في هذا النص، يَصدر الإله المنتصر نينورتا، مباشرة عن الأزمنة الميثولوجية، عندما كانت الصخور والجبال تمثل أشخاصاً مُحاربين يجب إخضاعهم، ويُعتقد أن هذا النص – بأفكاره – يعود إلى الفترة المُعاصرة لجوديا ملك لجش ٢١٤٤- ٢١٢٤ ق.م لكن هذا النص، الذي نحن بصدده، يعود – بكتابته – إلى نحو ١٧٠٠ ق.م.

وتعرض الأسطورة، كيف ثار شعب الحجارة على السلطة المركزية للآلهة الكِبار، وكيف قام نينورتا وبتوجيه من أيا بالتصدي لثورة شعب الحجارة وإخضاعهم له، وبعد انتصار نينورتا على شعب الحجارة، يبدأ بتنفيذ أعماله الحضارية، وذلك بتنظيم أعمال الزراعة والري، كما يقوم بتكليف الإلهة نيسابا بالسَّهر على مكتسبات التقدم الحضاري*، الذي أدخله بعد الانتصار، ففي هذا الصدد، تقول الأسطورة:

---

* – عندما قتل الإله نينورتا شيطان المرض آساك وزعيم ثورة شعب الحجارة، حلَّت الكوارث في بلاد سومر، حيث خرجت (المياه الأولى) الموجودة في العالم الأسفل (كور) حيث كان يقيم آساك، فصعدت هذه المياه إلى الأرض وطغت على المياه العذبة مانعةً إياها من ري المزارع، فقام نينورتا ببناءِ سدٍ عظيم بهيئة الجبل، ليحمي بلاد سومر من تلك المياه، وأما المياه المُتسربة من السد، فقد جمعها وصرَّفها بواسطة نهر دجلة. أنظر في هذا الصدد، كتاب، نائل حنون: الحياة والموت، مرجع سابق، ص ٧٧.

- إلى سيدة القدرات الإلهية المستقلة
- الجديرة بأسمى التمجيد
- إلى نيسابا، المرأة المقدسة الكلية – الحكمة
- والفائقة السمو في كل مكان
- إلى التي **تحتفظ باللوحة العظيمة**
- حيث **سُجلت قدرات الملوك والرؤساء**
- ....
- **إلى سيدة المعرفة التي توزعُ السَّعادة!**
- الوحيدة، المؤهَّلة للحكم
- والحاوية على المعرفة والتبصر
- سيدة الرؤوس – السوداء (أي سكان بلاد الرافدين القدماء)
- الحائزة على **اللوحة التي سُجلت عليها جميع الأشياء**
- التي لا يفلت أي عصفور من شِباكها[١٥٤].

فمن هذا النص، نستنتج أن الإلهة نيسابا تمتلك الكثير من المسؤوليات، منها:

١. سيدة القدرات الإلهية المستقلة
٢. الكلية الحكمة، وسيدة المعرفة

---

[١٥٤] – ديوان الأساطير، سومر وأكاد وآشور – الكتاب الثالث، مرجع سابق، ص ٥١، ٧٧، ١٠٣، ١٠٤.

٣. الاحتفاظ باللوحة العظيمة (لوحة الأقدار)

وأمام كل هذه المسؤوليات، المُلقاة على عاتقها، كان لا بد لها من أن تكون واحدةً من حَفَظَةِ ألواح القدر – وربما – من المقررين فيها!.

مرثية مدينة نفر

تتألفُ هذه المرثية السومرية من اثني عشر مقطعاً شعرياً، تبكي خراب مدينة نفر(نيبور)، ولكنها تُشيد – في مُعظمِها – بتحرير نفر من قِبل الملك إيشمي – داغان ١٩٥٣ – ١٩٣٥ ق.م الذي حكم في مملكة إيسين بعد حوالي نصف قرن من اجتياح مدينة أور من قِبل عيلامي الجبال الشرقية وأسر إيبي – سين ٢٠٢٧ – ٢٠٠٣ ق.م آخر ملوك مملكة أور الثالثة.

يبدأ المقطع الثالث من هذه المرثية بصرخة الألم التالية:

- المدينة ... إلى متى سوف يرفض
- إلهها الحامي، العودة إليها وإصدار قراره، بأن تكفَّ آلامها

ويتابع الشاعر لوعته مُتسائلاً بقلق:

- لماذا نسيَ الإله جُدرانه الآجرية، وترك حَمَامهُ الهادل يهجر أبراجه؟
- لماذا هجر ورمى بأنظمة وعناصر **الـ (مو – مِهْ)** وكأنها لم تكن مقدسة؟.

وفي المقطع السَّادس يُتابع الشَّاعر مُعبراً عن رغبته بإعادة إقامة الشعائر المقدسة، التي ألغاها الأعداء وإعادة عناصر الـ (مو – مِهْ) المُشتتة الخاصة بها[١٥٥].

[١٥٥] – ديوان الأساطير، سومر وأكاد وآشور – الكتاب الثاني، مرجع سابق، ص ٣٧٠، ٣٧٢، ٣٧٣.

أسطورة زيارة نينورتا لأنكي من أجل رخاء سومر

هذه الزيارة التي يُرسِّخُ نينورتا بنتيجتها سيادته على مدينة نفر، ويضمن الرخَاء لبلاد سومر، هي زيارة ولاءٍ من نفر إلى إريدو، أي إلى أنكي مُقرر الأقدار والكُلي الحكمة، الذي نظَّم البلاد ورسَّخ أسس الحضارة[١٥٦].

[١٥٦] – ديوان الأساطير، سومر وأكاد وآشور – الكتاب الثالث، مرجع سابق، ص ١٨٩.

أسطورة (آنوم اَلِش) حينما في العلى

قصة الخليقة البابلية

إن تأخير هذه الأسطورة* في هذا الكتاب، إلى هذا المكان، لم يكن عبثاً، وذلك لأهميتها الكبيرة في هذا البحث، وبسبب تسلسلها الزمني المتأخر، فقد كُتبت بِشكلها التالي، في العصر البابلي (الدولة البابلية الثانية – الكلدانية)♠ ٦٢٥ – ٥٣٩ ق.م.

تُعتبر قصة الخليقة، مع ملحمة جلجامش، أشهر نصَّين أدبيين خلَّفتهما حضارة بلاد الرافدين القديمة، وهذان النصان مُدوَّنان باللغة الأكادية وبالخط المسماري المقطعي، ولقد عُرفت (قصة الخليقة البابلية) عند الكتبة القدماء بعنوانها الأكادي (آنوم اَلِش) (حينما في العلى) أو (أينما اَلِش) (حينما إلى العلى) ويمثل هذا العنوان مطلع

---

* – وترد تحت عنوان: قصة الخلق البابلية (أينما اَلِش) والتي تقابل بالعربية (حينما إلى العلى).

♠ – إن بطل قصة الخلق البابلية هو الإله القومي البابلي، الإله مردوخ، وفي الرواية الآشورية يصبح الإله آشور، ويذهب بعض المختصين – حالياً – إلى أنه من الممكن أن لا يكون أيٌّ من مردوخ أو آشور بطلاً لهذه الأسطورة في أصلها الذي لم يكتشف حتى الآن، والدليل على ذلك، إن القوى والصفات المنسوبة لبطل قصة الخليقة، تناسب الإله إنليل، ولكن لا يوجد أي دليل حتى الأن على وجود أصل أقدم لهذه الأسطورة.

الأسطورة، فبحسب تراث بلاد الرافدين الأدبي القديم، كان عنوان النص الأدبي هو مطلعه، وتُعتبر هذه الأسطورة على درجة كبيرة من الأهمية، لكونها تتضمن ما يُشير إلى توجهٍ للاقتراب من عقيدة التوحيد، التي لم تظهر كاملة وراسخة إلا في تلك الديانات الكبرى، ففي قصة الخليقة – هذه – ميلٌ إلى تجميع القوى الإلهية في إلهٍ واحدٍ، مع عدم الخروج عن التعددية القديمة، وفيها تم إطلاق خمسين اسماً على ذلك الإله، تعبيراً عن تجمُّع القدرات الكونية، التي تمثلها تلك الأسماء، في يده، ويشكل هذا بِحدِّ ذاته مُقارنة مهمة بين القدرات الكونية، وهي جزء من النواميس الإلهية الـ مي – ME مع أسماء الإله الخمسين، التي تمثل قدراته وصلاحياته، التي تفرَّدَ بها الإله مردوخ في العصر البابلي.

يتألف نص (حينما في العلى) من ١٠٩٢ سطراً أو بيتاً شعرياً بابلياً، مدونة على سبعة ألواح طينية، وقد عَثر عليها عالم الآثار الإنجليزي هنري ليرد، وهرمز رسام، وجرج سميث بين عامي ١٨٤٨ – ١٨٧٦م في مكتبة آشور بانيبال ٦٦٨ – ٦٢٦ ق.م في تل قوينجق في العاصمة الآشورية نينوى[١٥٧].

لقد وضع السومريون – الأكاديون في هذه الأسطورة، نظريةً أسطورية حول نشوء الكون، اقتبسها عنهم فيما بعد البابليون والآشوريون والكلدانيون، مع بعض التعديلات التي حتَّمتها التبدلات

[١٥٧] – نائل خنون: حينما في العلى، مرجع سابق، ص ١٧، ١٨.

السّياسية، فعندما عَظُمت مكانة بابل في زمن الملك حمورابي ١٧٩٢ – ١٧٥٠ ق.م وأصبحت عاصمة الإمبراطورية البابلية، رفع حمورابي من مكانة الإله مردوخ المحلي إلى المرتبة الأولى بين الآلهة، وتألفت أناشيد جديدة من القصص القديمة، التي تتفق مع الوضع الجديد، كما قام الكهنة بتعديل قصة الخليقة السومرية، وجعلوا مؤداها أن مردوخاً، هو الذي هزم تيامة، فكافأته الآلهة بالسلطة المُطلقة على جميع الكون، وجعلوه ملكاً عليهم، وحصل مردوخ على لقب بعل، الذي كان حتى ذلك الوقت حصراً بالإله إنليل، أي سيد وملك الآلهة .. كل آلهة السّماء والأرض، **وكلمته** تخلق الخلق أو تمحوهم، كما أصبح الإله مردوخ، هو الذي يمنح العرش والصولجان للملوك كَرَبٍ للعالم، وكإله وطني [١٥٨].

ويبدو أن هذه القصيدة، تمَّ تأليفها من قِبل مفكرين بابليين، كانوا على اطلاعٍ كامل وعميق على تراثهم السومري – الأكادي، الذي تناقلته التقاليد الشفهية منذ أكثر من سبعة عشر قرناً، مع إعطاء الإله مردوخ المكانة الأولى في كل شيء.

ففي هذه الأسطورة، يتم تصوير، أن خطراً بدئياً، كان يتهدد جميع الآلهة قبل خلق البشر، وأن مردوخ، هو البطل الوحيد الذي يُنقذ الجميع

---

[١٥٨] – برهان الدين دلّو: حضارة مصر والعراق التاريخ الاقتصادي – الاجتماعي – الثقافي والسياسي ، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٨٩م،، دار الفارابي بيروت لبنان، ١٩٨٩م، ط ١، ص ٣٧٩.

منه، وبكل ذكاء بعد ذلك، عَمَدَ إلى الاستفادة من انتصاره، فخلق الكون وخلق البشر، ووضع كل شيء في مكانه، وحدد الأدوار **وقرَّر المصائر**، كل ذلك بفضل انتصاره على الإلهة تيامة، وحصوله على **ألواح الأقدار**، فاعْتُرِفَ بمجده من قِبل الآلهة، وأُغدقت عليه جميع الألقاب والأسماء الإلهية الخاصة.

تروي هذه الأسطورة قصة أصول – كل – الأشياء، فهي تروي قصة ولادة الآلهة وتحديد أدوارها، وإطلاق عناصر الكون على مساراتها وفق نظام أقره الإله مردوخ، كما تروي قصة **خلق البشر وتقرير مصيرهم** ودورهم كبشر، كل ذلك بفضل امتلاكه – أي مردوخ – ألواح الأقدار. ويمكن تلخيص مجريات الأسطورة، حسب ما وردت في ألواحها كما يلي:

- اللوحة الأولى: العماء البدئي، وولادة الآلهة، ثم نشوب الأزمة الأولى وتدخل الإله أيا، ومن ثمَّ نشوب الأزمة الثانية والاستعداد للمجابهة.
- اللوحة الثانية: الآلهة المُهَدَّدون يفتشون عن مُنقذٍ لهم، وتوجه الأنظار إلى نحو الإله مردوخ.
- اللوحة الثالثة: منح مردوخ جميع الصلاحيات من قِبل الآلهة، وذلك بناءً على طلبه.

- اللوحة الرابعة: المعركة بين مردوخ وتيامة وجيشها الشرير بقيادة كنجو، ومن ثم النصر.
- اللوحة الخامسة: متابعة تنظيم الكون، ومبايعة مردوخ من قِبل الآلهة، ثم مشروع بناء بابل، وخلق البشر.
- اللوحة السّادسة: خلق البشر ثم إقامة بابل، وتنصيب مردوخ، والبدء بتعديد أسمائه الخمسين، التي تدل على منحه القوة الإلهية.
- اللوحة السّابعة: متابعة ألقاب وأسماء مردوخ الخمسين والتمجيد الأخير.

هذه هي باختصار الأفكار الرئيسية لهذه الأسطورة[١٥٩]. لكن لا بد – هنا – من التعرف على الطريقة التي خُلِقَ بها مردوخ، وأين؟. وهل لمكان ولادته علاقة بما آلت إليه الأمور؟. إذا يبدو من الأسطورة أن والدي الإله مردوخ هما الإلهان أيا وزجته الإلهة دامكينا، فهما اللذان خلقا ابنهما مردوخ لغاية واحدة، ألا وهي قتال تيامة، لذلك كان الخلق في **بيت الأقدار** (كوخ الأقدار) وهو منزل أيا، وما لهذا من دلالة على أهمية المكان، وفي هذا الصدد نقرأ:

- بعد أن ظفر بأعدائه (أي الإله أيا) واصطادهم

[١٥٩] – ديوان الأساطير، سومر وأكاد وآشور – الكتاب الثاني، مرجع سابق، ص ١١٤، ١١٥.

- بعد أن ثبَّتَ نصره على أعدائه
- استقر مقامه بسلام
- سمّاه آبسو وأعده مزاراً
- وفي ذات الموضع أسس غرفته
- حيث سكن أيا ودامكينا بأبهة
- **في كوخ الأقدار، مكمن الأفكار**
- ثم بزغَ إلهٌ، هو بطل الأبطال وحكيم الآلهة
- فداخل الآبسو خُلِقَ مردوخ
- ..... إلخ[١٦٠].

وبالتالي فإن مردوخاً خُلِقَ لكي يقاتل تيامة، حسب ما أقره الإله أيا (الخالق) وذلك وفقاً لألواح القدر الموجودة في هذا البيت (مكمن الأفكار)؟!.

وفي تفصيل الأسطورة المُتعلّق بألواح الأقدار، نقرأ عن قيام الإلهة تيامة بتسليم كنجو – قبل المعركة – ألواح السلطة والأقدار، لإعطائه القوة والهيمنة:

- رفعت (أي تيامة) من قدر كنجو
- مانحة إياه، أعلى مرتبة بينهم

---

[١٦٠] – نائل حنون: الحياة والموت، مرجع سابق، ص ٣٩، ٤٠.

- (وهي) السير على رأس الجيش
- وإدارة مجلس – الحرب
- (وكذلك) إصدار الأوامر للالتحام
- وقيادة المعركة
- والسّلطة التّامة
- على المحاربين
- كل ذلك سلَّمته إياه
- وأجلسته على كرسي – الشرف
- (قائلة): لقد **لفظت** من أجلك العبارة (السحرية)
- منحتكَ
- الإمارة عليهم جميعاً
- كن إذن الأعظم بينهم
- وليُشد باسمكَ
- أمام جميع الأنوناكي
- ثم سلَّمته **لوح – الأقدار**
- التي ثبتتهُ على صدره (مُعلنةً)
- لتكن أوامرك **غير قابلة للرد**
- ولتتحقق **كلمتكَ**
- هكذا تمَّ إعلاء شأن كنجو
- ووضِعت بيده السلطات العليا

- ومن أجل الآلهة أبنائها
- قررت لهم (تيامة) هذا **المصير**
- بمجرد أن تفتحوا أفواهكم
- تطفئون النار!
- وليتمكن سمّكم المُكثف
- من التغلب على الظلم

هنا، وأمام هذا المشهد المرعب، عقد الآلهة الكِبار مجلساً للبحث في هذا الأمر الخطير، نقرأ:

- عندما تعرف أنشار (الإله قديم)
- على هذه القضية الخطيرة
- ضرب بكفهِ على فخذهِ
- وعضَّ على شفتيه
- وكان داخله غير مرتاح
- وقلق خاطره
- ولكن لدى رؤيته لـ أيا حفيده
- تبددت مخاوفه
- أنتَ شخصياً (قال له) ؟
- كن أنتَ خصمها في المعركة

لكن الإله أيا يعتذر ويترك الأمر للإله أنشار، قائلاً:

- أنشار يا ذا الفكر العميق
- الذي **يُقرر المصائر**
- (لكَ وحدكَ) سلطة
- (الخلق والإبا) دة
- (الأمر) الذي أصدرته لي
- ......

وهنا يجري تكليف الإله أيا، لكنه يعتذر، وكذلك تمَّ تكليف (آن – آنو) إله السّماء بالمجابهة، الذي – أيضاً – يُظهر عجزه، وبعد مناقشات كثيرة بين الآلهة، يتم تكليف الإله مردوخ، بعد تشجيعه من والده الإله أيا، وفي هذا الصدد، نقرأ:

- عند ذلك، نادى أيا الخفي
- والحامي للجميع (؟)
- ولي العهد الكُلي – القدرة
- المُنتقم لآبائه
- مردوخ البطل
- المُتعطش للقتال
- ناداه أيا
- حيث كان (في صفٍّ) خلفي
- شارحاً له

- الخطة التي تصورها في قلبه

وبعد تشجيعٍ من والده، ومن قبل الجميع، ودراسة خطة القضاء على تيامة، يقبل مردوخ تولي مسؤولية القتال، شريطة تسليمه السلطات المُطلقة، نقرأ:

- فَرِحَ الإله السيد
- لسماعِ خطاب أبيه
- وبقلبٍ تملؤه البهجة
- أعلن لهذا الأخير
- **أي سيد الآلهة**
- **الذي يُقرر مصير الآلهة – العِظام**
- إذا كان عليَّ أنا
- الانتقام لكم
- والإطاحة بـ تيامة
- لإنقاذكم
- اعقدوا مجلساً
- وامنحوني **سلطة فائقة!**
- في قاعة – اتخاذ – القرارات
- اجتمعوا بكاملكم مُسرعين
- وأقروا في مكان – اجتماعكم، بكلمة واحدة منكم

- أن أفوَّض **بتقرير المصائر**
- وان لا يُبدل أي شيء
- في ما سوف أنظمه بنفسي
- **وأن كل قرار صادر عن شفتيَّ**
- دون معارضة وغير قابل للنقص**!**

هنا يقرر مجمع الآلهة الموافقة على طلب مردوخ، الذي يذهب إلى المعركة ليقابل كنجو وتيامة، التي كانت قد علَّقت ألواح الأقدار على صدره، نقرأ:

- ثم سلمته (أي لـ كنجو) – **لوحة الأقدار**
- التي ثبتتها على صدرِهِ (مُعلنةً)
- لتكن أوامرك غير قابلة للرد
- ولتتحقق **(كلمتك)**
- هكذا تم
- إعلاء شأن كنجو
- ووضعت بيده السلطة العليا
- ......
- عند ذلك تقدم مردوخ
- حكيم الآلهة ابنكم
- ......

هنا، وفي هذا الحالة الحرجة، تبدأ المعركة، ويستطيع مردوخ، بعد معركة حامية الوطيس، القضاء على تيامة، نقرأ:

- هكذا انتصر مردوخ على تيامة
- مُبيداً حياتها
- ثم رمى بجثتها أرضاً
- وانتصب فوقها
- ......

وبعد القضاء على تيامة، يقوم مردوخ بالقضاء على كل أحلافها، من القوى والمخلوقات البغيضة الشريرة، وأخيراً توجه نحو كنجو ليقضي عليه ويسلبه ألواح الأقدار، هدفه الأول والأخير، نقرأ:

- وأخيراً، فإن كنجو
- الذي كان رُقيَّ من بينهم جميعاً
- فأطاح به
- وجعل منه (إلهاً – محكوماً – بالموت)
- **نزع عنه لوحة الأقدار**
- التي لم تكن تلائمه
- **وبعد أن طبع عليها ختمه**
- علَّقها على صدره
- وبعد أن جمَّد حركتهم، وأطاح

- بهؤلاء الأشرار[١٦١]
- ......

الإله مردوك ينظم الكون

بعد هذا النصر المؤزر، يبدأ مردوخ، وكما وُعِدَ، بتنظيم الكون، فيبدأ النص، بوصف عملية خلق أجزاء الكون، ابتداءً من السّماء، فأقام فيها محطات للآلهة الكِبار وأبراج الكواكب، التي ترمز إليهم، ثم إنه حدد السنة ووزَّع أشهرها الأثني عشر على ثلاث كوكبات، بحيث تكون كوكبة لكل أربعة أشهر، وهي فصول السنة، ومن ثمَّ يتابع عملية الخلق والتنظيم، نقرأ:

- أوجد محطاتٍ للآلهة العِظام
- أقام أبراجاً من الكواكب التي تماثلهم
- حدد السنة، رسم الخطة
- أقام ثلاث كوكبات لأثني عشر شهراً
- بعد أن رسم الخطط لأيام السنة
- أسس محطة المشتري، حدد رباطاتهم
- حتى لا يرتكب أحد ما خطأً ولا إهمالاً

[١٦١] – ديوان الأساطير، سومر وأكاد وآشور – الكتاب الثاني، مرجع سابق، ص ١٣٠ وحتى ١٦٨.

- وثبت معه محطة إنليل وأيا
- فتح بوابات في كلا الضلعين
- .....
- وأظهر القمر، فقطف بهجة الأماسي
- حدد له سكينة المساء من أجل تحديد النهار
- شهرياً، بلا انقطاع، كن مرتسما بالتاج
- ....[١٦٢]

وبعد إتمام عملية الخلق والتنظيم، تأتي الخطوة الأهم، وهي عملية مُبايعة مردوخ الرسمية، وتنصيبه النهائي، نقرأ:

- وبعد أن تمَّ تأكيد السلطات الموكلة إليهم
- وكذلك جميع طقوسهم
- وبعد أن وزَّع مردوخ عليهم جميعاً
- مراكز السّماء والأرض
- أخذ الآلهة – العِظام وعددهم خمسون، أماكنهم
- **ونقلوا قراراتهم إلى آلهة تقرير – المصائر**
- **وعددهم سبعة** (إذن، مُقررو المصائر هم السَّبعة الكِبار)
- ....

---

[١٦٢] – نائل حنون: حينما في العلى، مرجع سابق، ص ٢٩، ٣٠، ١١٣، ١١٦، ١٣٩، ١٥٩.

- وعمد الآلهة – العِظام، بالإجماع
- إلى الإشادة بقدرة مردوخ
- وسجدوا أمامه
- ثم تلفظوا من تلقاء أنفسهم
- بقسمٍ يلعنُ الحانث به
- أقسموا بالماء والزيت
- وأيديهم على رقابهم طالبين أن
- يمارس سيادته على الآلهة
- معترفين له بالسلطة المطلقة
- على آلهة السّماء والأرض
- ……

أسماء الإله مردوك الخمسون

وبعد أن حاز مردوخ على كل السلطات، نراه يُطالب بالمزيد، لذا تمَّ إعطاؤه الأسماء الخمسين، التي تؤكد قدرته، وهيمنته، كل ذلك بسبب حيازته لألواح القدر، وهنا سنذكر بعضاً منها، نقرأ:

- ولنعدد إذن
- أسماءه الخمسين
- لكي تُظهر شخصيته المجيدة
- وكذلك أعماله: [١٦٣].

١. مردوخ، هو اسم مولده الذي دعاه به جده آنو.
٢. السَّاطع، ابن الشمس
٣. ماروكا، هو الإله الحق، خالق كل شيء
٤. ماروتوكا، هو الملجأ والملاذ، سند العِباد.
٥. باراشاكوشو، المكين القابض زمام الأرض.
٦. لوجال ديميرانيكا، هو الاسم الذي دعوناه في مجتمعنا.
٧. ناريلو جالدي ميرانكيا، أطلقنا عليه، شملت عنايته كل الآلهة.
٨. أسار لوحي، الاسم الذي دعاه به جده آنو.

---

[١٦٣] – ديوان الأساطير، سومر وأكاد وآشور – الكتاب الثاني، مرجع سابق، ص ١٦٩ حتى ١٩٦.

٩. نامتيلاكو، الذي يُحيي الموتى.

١٠. نامشوب، الإله الوضاء ينير لنا طريقنا.

١١. اسارو، واهب الأرض الخصبة، ومالئ عنابر القمح، منبت الحبوب والبقول.

١٢. أسار اليمنونا، الجليل نور آبائه الذي يوجه قرارات آنو وإنليل وأيا، وحده القائم بأودهم.

١٣. توتو، بطل خلاصهم ونجاتهم، هو الممجد بين الآلهة.

١٤. زيوكينا، به يحيا كل الآلهة الذي جعل لهم سماء وضاء مالك **مصائرهم** وسيد مسالكهم.

١٥. زيكو، رب القداسة، وإله النَّسمة الخالقة.

١٦. شازو، هو خامس زاحريم، رب كل شيء.

١٧. زير سير، الذي أقام جبلاً فوق تيامة، والذي بسلاحه فلق جسدها

١٨. ...... إلخ [١٦٤].

---

[١٦٤] – فراس السواح: مغامرة العقل الأولى، مرجع سابق، ص ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢.

موت الإله مردوخ وعودته للحياة في رأس كل سنة

وكما هو مُقدَّر، فإن الإله مردوخ سوف يموت ويعود من جديد، وهذا ما يحدث – عادةً – في عيد رأس السنة في بابل (الآكيتو)*، وهو

---

* - الآكيتو: لقد ساد اعتقاد لدى سكان بلاد الرافدين أنه كان يحدث سنويّاً موتٌ لإله معيَّن ولفترة مُحددة مُسبقاً، يعود بعدها ذلك الإله إلى الحياة ضمن شعائر ومراسم خاصة. وقد مورست هذه الطقوس والمراسم في العديد من مدن بلاد الرافدين القديمة ضمن مراسم وأعياد رأس السنة، وهي التي كانت تقوم في شهر نيسان من كل عام، وتتمثل إحدى الفقرات المهمة في تلك الأعياد، بانتهاء مفعول المصائر المُقدَّرة، انتقالية تستغرق يوماً أو يومين ضمن أعياد رأس السنة الاثني عشر. ففي هذه الفترة تعيش المدينة بدون مصائر مُقدَّرة، أو بعبارة أخرى، وسط فوضى كونية يجهل أو بالأحرى يتجاهل، الناس نهايتها، وكان سكان بلاد الرافدين القدماء يعتقدون أن الإله الرئيس للمدينة يختفي خلال تلك الفترة الوجيزة، ويواجه الخطر في محنةٍ هي أشبه بالمخاض المؤلم قبل الولادة، أو دامس الظلام، قبل يزوغ الفجر. وفي فترة غياب الإله، هذه، كان الناس يشعرون بالحزن والغم، بسبب غياب إلههم الحامي، وذلك في مواجهة المصير المجهول، الذي سيقرر حالتهم في السنة الجديدة، ولكن الآمال كانت مُتعلِّقة بمساعدة بعض الآلهة (زوجته، أمه، أخته، ابنه) في العثور عليه، وبالطبع كانوا ينجحون في هذا، فيعود الإله إلى مدينته وسط احتفالات الفرح والسَّعادة، وتتقرر المصائر للسنة الجديدة. ويبدو أن هذا (الموت) السنوي، كان يدخل في الحيز الاحتفالي وشرعية الحكم وتوجيه شؤون

بدون شك العيد الذي كانت تجتمع فيه كل معتقدات بلاد الرافدين، وكانت تتم فيه أيضاً عودة للبدء، للزمن الذي كانت فيه قوى الطبيعة قادرة على الخلق، وذلك بقصد التجديد والتغلب على ما هَرُلَ وتهرّأ، لإقامة عالم تكوّنه من جديد، وتقرر مصيره إرادة إله واحد، هو مردوخ، تسير وراء نصره، آلهة البلاد مُبايعةً، والمملكة بكاملها مُبتهجةً ومهللةً وآملةً بتحقيق الأفضل. وقد كانت هذه الاحتفالات تجري ما بين الأول من نيسان وحتى الثاني عشر منه، وفق البرنامج التالي:

- الأيام ١ – ٤ نيسان: الاستعداد للعيد، وتطهير الأماكن وبخاصة المعبد.

البلاد ومصائر الناس. وعادةً ما كان الإله الرئيس لكل مدينة، هو من يتعرَّض للموت السنوي، ومن أهم هؤلاء الآلهة مردوخ، الإله الرئيس لمدينة بابل، حيث كان يختفي أثناء (تعرضه للموت) لمدة يوم أو يومين من أيام عيد رأس السنة البابلية، في موضعٍ يُشار إليه باسم (جبل خرشانو) وهو من أسماء العالم السفلي، وقد كان الإله نابو، وهو ابن مردوخ، (الإله الرئيس لمدينة بورسبا – برس نمرود حالياً) وزجته الإلهة صربانية (بيلية – بابيلي) بالبحث عنه، حيث تم العثور عليه وإعادته إلى مدينة بابل وسط الأفراح العارمة. انظر في هذا الصدد، كتاب، نائل حنون: الحياة والموت، مرجع سابق، ص ١٥٣ –١٥٧.

- اليوم الخامس من نيسان: هو يوم التكفير بالنسبة للملك، وتوجه الشعب نحو الإله المتألم (السجين) وحركة متصاعدة في المدينة أثناء التفتيش عن مردوخ.
- اليوم السّادس من نيسان: وصول عدة آلهة بالسفينة (تماثيل الآلهة وبعض رموزهم) إلى بابل، ومن بينهم الإله نابو، الأبن المنتقم لأبيه، آتياً من معبد الإيزيدا، ومن ثمَّ إقامة هيكله في معبد مردوخ.
- اليوم السّابع من نيسان: الإله نابو يُساعده آلهة آخرون يُحررون مردوخ بالقوة من (جبلة) في السّماء السفلي.
- اليوم الثامن من نيسان: الاجتماع الأول لتقرير المصير، ومبايعة الآلهة لمردوخ، وتزويده بجميع سلطاتهم بذلك على مصير (لا شبيه له).
- اليوم التاسع من نيسان: مسيرة النصر تتجه نحو بيت الآكيتو بقيادة الملك، ويعني ذلك مساهمة الشعب في الانتصار الذي تحقق في الطبيعة، ويجدد انتصار مردوخ على العماء.
- اليوم العاشر من نيسان: احتفال مردوخ بنصره مع جميع آلهة – عالمي – ما هو فوق وما هو تحت، في بيت الآكيتو، حيث تُقام وليمة الآلهة، تليها العودة إلى بابل لعقد الزواج المقدس، في الليلة نفسها.

- اليوم الحادي عشر من نيسان: تقرير جديد، بنتيجة اجتماع الآلهة، لمصير المملكة في السنة التي بدأت.
- اليوم الثاني عشر من نيسان: عودة الآلهة إلى مدنهم ومعابدهم[١٦٥].

وعن تقرير المصائر، نجد أن هذه الأسطورة، تُشير إلى أن الآلهة كانوا يجتمعون في مجلسهم الخاص لتحديدها وتثبيتها في مطلع كل عام، وقد كان إله الكتابة نابو، هو الذي يُدونها على ألواح الطين، وكان موعد ذلك الاجتماع، وكما رأينا أعلاه، هو عيد الإله مردوخ، في بداية كل سنة، وذلك بعد مسيرة الموكب إلى المعبد المعروف باسم (آكيتو) الذي يقع خارج المدينة[١٦٦]. ومن أهم أيام هذه الاحتفالات، هو ما يجري في اليومين الثامن والحادي عشر.

---

[١٦٥] – ديوان الأساطير، سومر وأكاد وآشور – الكتاب الرابع، مرجع سابق، ص ١٩٩، ٢٠٥، ٢٠٦.

[١٦٦] – عبد الغفار مكاوي: مرجع سابق، ص ٥٩.

احتفالات اليوم الثامن (غرفة الأقدار)

ويشهد اليوم الثامن مراسمَ عديدة، أولها اجتماع الآلهة في غرفة الأقدار، غرفة تقرير المصير، في مُصلى يقع – على ما يبدو – في ايزيدا، حَرَم الإله نابو (المؤقت) في معبد مردوخ المُسمى إيساجيلا، حيث كانت تتم مبايعة مردوخ من قِبل الآلهة، وليس لدينا صورة دقيقة عن الكيفية التي كان يجري فيها طقس الاحتفال بتقدير الأقدار، وكل ما استطعنا أن نعرفه من مصادر أخرى، أن مردوخاً كان يُقيم في اليوم الثامن من المهرجان في المُصلى الخاص بهذا الطقس، ومن المُحتمل، أن الاحتفال (الكبير) كان يجري في هذا اليوم[١٦٧].

فبعد تحرير الإله مردوخ، تؤخذ تماثيل الآلهة في هذا اليوم (الثامن) من نيسان، وتوضع في حجرة خاصة في معبد مردوخ تُسمّى (بحجرة الأقدار والمصائر) حيث يتم تفويض الإله مردوخ، بتقدير مصائر العام الجديد. ويصف لنا نصٌّ جاءنا من مدينة أوروك، كيف كان يجري ترتيب تماثيل الآلهة في حجرة الأقدار بحسب مراكزها ومراتبها[١٦٨].

---

[١٦٧] – س . هـ . هوك: ديانة بابل وآشور، مرجع سابق، ص ١٨٣.

[١٦٨] – طه باقر: مقدمة في تاريخ، مرجع سابق، ص ٢٦٣.

احتفالات اليوم الحادي عشر

وفي اليوم الحادي عشر، وبعد انجاز ما يرمز إلى الزواج الإلهى، الذي تمٍّ في ليل العودة المسائية من بيت الآكيتو في اليوم العاشر، حيث كان يعدُّ في القصر (الفراش) ليوم (المُضاجعة) بين الملك والإلهة اناتّا أو ممثلتها*، وما يحمله من خصب وإخصاب في الطبيعة!!؟، كان الآلهة يعودون مرة ثانية للاجتماع في غرفة الأقدار، بُغية تقرير مصير المملكة، وهي المهمة الأخيرة، التي كان ينفذها الآلهة قبل عودتهم.

وكان نابو بصفته كاتب الآلهة، يُسجل مقرراتهم، التي كانت ترتبط بما كان ينتظر المملكة في السنة الجديدة، وتعتمد على رضى

---

* - يجب التعاطي بحذر مع فكرة الزواج المقدس من حيث القيام بهذا الفعل الرمزي، لأن هناك من يشكك في حدوث هذا الفعل من أساسه ويقدم الأدلة الممتازة على ذلك ، وقد يكون مُحقاً في ذلك، بسبب أدلته الموثقة، ويأتي على رأسهم د. نائل حنون، في كتابه: الحياة والموت في حضارة بلاد الرافدين القديمة، مرجع سابق، ص ١٨١ – ١٨٤، ولن نخوض في هذا البحث، لأنه خارج اهتمامنا ولا يؤثر على سياق البحث ونتائجه.

الآلهة لتحقيق ما تتمناه المملكة اجتماعياً، وما ينتظر الشعب من رخاء ووفرة، وعسكرياً، بصيانة حدود المملكة والانتصار على أعدائها [١٦٩].

المهم – في الأمر – أن الآلهة، كانوا يرقبون – عن كثب – أحداث السَّاعة وقضاياها البارزة، عند قيامهم بالتجديد السنوي لمصير بابل وأهلها، كما كانوا يؤكدون على استمرار النظام السَّائد وسلطاته المُستمدة منهم.

كلمة مردوخ الإلهية

أما فيما يخص، موضوع **فعل الكلمة**، التي هي من أهم تجليات القوة الإلهية، كما مرَّ معنا سابقاً، وباعتبارها تحدد مصير الأشياء، فقد كان الآلهة ينتظرون ما سوف يتفوَّه **(ينطق)** به مردوخ، لكي يلتزم به مجمع الآلهة، بتثبيته وصونه من أي تغيير أو تبديل، وذلك بناءً على الاعتقاد بأن: ((**قول الشيء وتسميته يُساوي في الحال فعله**)) وهو أمر مُشترك بين سكان بلاد الرافدين ووادي النيل **(**مصر القديمة**)**، فإن تحديد المصائر وأسمائها، خير ضمان لحماية النظام من الفوضى،

---

[١٦٩] – ديوان الأساطير، سومر وأكاد وآشور – الكتاب الرابع، مرجع سابق، ص ٢٣١، ٢٣٤.

وكان ذلك عبر تنفيذ الأوامر (الملكية – الإلهية) بمجرد النُطق بها أو حتى التفكير بها[١٧٠].

[١٧٠] – عبد الغفار مكاوي: مرجع سابق، ص ٥٩.

خاتمة البحث السابع

مما لا شكَّ فيه، أن تلك الأساطير، عبَّرت بشكلٍ صادق، عمّا يجول في مُخيلة وعقل سكان بلاد الرافدين، لذا، فقد رسَّخت عبر ما قدمته من أفكار ومعتقدات، خلاصة الفكر الديني والعقائدي لهؤلاء الناس، ويأتي على رأسها مفهوم الـ (مي)، وألواح القدر، ومفهوم المصير، تلك الثلاثية الفكرية اللاهوتية، أو الأقانيم الثلاثة (المي – القدر – المصير)، التي هي أشبه ما تكون بالموشور ذي الأوجه الثلاثة، تقوم بتحليل، المفردات الأساسية للعقائد الرافدية، عبر الزمن، إلى مكوناتها الأساسية، وبالتالي إدراكنا للإرهاصات الأولى، المُكوِّنة لها، والتي أدت – فيما بعد – إلى تشكيل هذه الأقانيم الثلاثة، بعد تركيبها من جديد، فَتُسهِّل معرفتنا لبذور العقائد والأفكار الرافدية.

كما يُمكننا القول: إن هذه الأساطير، ما هي، إلا انعكاسٌ حقيقي، لتلك الأفكار، التي تعتملُ في لا وعي – وما يمور في مُخيلة – بعض هؤلاء الناس (الفلاسفة والمفكرين)، والتي استطاعت العبور، بعد أخذ الإذن – لها – بالسَّماح بالمرور من حاجز الوعي والإدراك، لتنعكس مباشرةً على مرآة اللاوعي الجمعي، ومن ثمَّ، يقومون بتحميلها على عاتق الآلهة، بُغية قبولها من الناس، ولتعود من جديد، ويتلقفها العقل الجمعي، والإدراك لدى هؤلاء العامَّة، على أنها حقيقةٌ لا ريبَ فيها!؟.

ولا ننسى، أنها – أي الأساطير – قدمت لنا الأدلة القاطعة على وجود هذه الأقانيم والأفكار الثلاثة المذكورة أعلاه، وعلى طبيعة استخدامها، ومدى تأثيرها على سكان بلاد الرافدين، كما قدمت لنا، وجبة دسمة، من القصص والحكايا عن عوالم سحيقة في القدم، وعن أُناسٍ حلموا بالخلود، ولم يحصلوا عليه، لكنهم تخلَّدوا من حيث لا يدرون!!؟.

نتائج البحث

وفي ختام بحثنا – الطويل – هذا، يمكن اختصار كل ما تقدم، وذلك اعتماداً على رؤيتنا المتواضعة، إلى عدة نتائج خاصة بالبحث، ولا تُعَبِّرُ – بالضرورة – عن آرائي الشخصية، وهي:

- إن الفكر الرافدي، هو فكرٌ خطَّه عباقرة هذا الشعب، وذلك من خلال مراقبة الطبيعة المحيطة بهم، فكان أن خطوا هذا الفكر، وكان لا بد من إلباسه للآلهة حتى يلقى القبول من الناس العاديين.
- إن الاختلاف الوارد بين الملاحم والأساطير، سببه الاختلاف في زمن كتابتها، وذلك تبعاً للحالة الفكرية والحضارية لكاتبها، فنحن نتكلم عن عقائد ترسَّخت في عقول الناس منذ العصور الحجرية الحديثة وحتى المتوسطة، أي منذ نحو ١٠٠٠٠ ق.م وحتى في العصور الكتابية (التاريخية) فنحن نتحدث عن نحو ٢٥٠٠ سنة ما بين ٣٢٠٠ – ٥٠٠ ق.م وحتى بعد ذلك، فمن الطبيعي وبحكم التطور في مجال العقائد وحتى التطور التقني العلمي أن تتغير هذه الأفكار، لكنها لا بد أن تحافظ على مضمونها الأساسي.
- ويبدو أن السومريين، وفقاً لِما تقوله عقيدتهم الدينية، التي بقي بعضها قائماً في نصوصٍ مُفصَّلة منذ بداية العصر البابلي

القديم نحو ١٩٠٠ ق.م، اعتقدوا أن لكل موجود كوني أو ثقافي قواعده وقوانينه الخاصة، التي تجعله يستمر في الوجود إلى الأبد، وفقاً للخطة التي وضعها الإله، الذي خلقه، وهي تُسمّى الـ (مِهْ – ME) باللهجة السومرية.

- ألواح (المي – ME) أو النواميس الإلهية، ما هي إلا خلاصة الفكر الإنساني، الذي توصل إلى أمرين هامين:

١. **الأول،** فيما يخص القضايا المفروضة على البشر، كنظام الكون والظواهر الطبيعية، والموت وعدم إمكانية الخلود.

٢. **الثاني،** المتعلق بقواعد وأسس الحضارة، خاصة المتعلقة بأسس قيادة الدول والممالك ونظام الملكية وشرعيتها ومصدر الشرعية، إضافة إلى الأسس العلمية للصناعة والفن بكل أشكاله المقياسية، وكذلك على الصعيد الاجتماعي، فيما يخص العلاقات الاجتماعية والأخلاقية والسلوكية.

كل هذه القضايا، اعتبرها سكان بلاد الرافدين، كنواميس مقدسة لا يمكن المساس بها، ولا يمكن تغييرها، وهذا ما حدث مع بداية الألف الثالث قبل الميلاد.

- ألواح القدر، هي الشكل المتطور لألواح (المي – ME) التي تغيرت من حيث الشكل فقط، وقد تبلورت مع ظهور الأكاديين نحو ٢٣٥٠ ق.م فاعتبرت بمثابة (القدر) يجب على الفرد الالتزام به والخضوع له.
- مفهوم المصير، هو الشكل الثالث لألواح (المي – ME) وألواح القدر، والذي تبلور في الألف الثاني والأول قبل الميلاد وما هو إلا التطبيق الفعلي لِما ورد في نواميس (المي) وألواح القدر، من حيث المصير المحتوم والمكتوب لكل شيء، سواء كان جماداً أو فكراً أو فناً أو حتى روحاً، وبالتالي الحياة والموت.
- لقد تم نسب ابتكار هذه الألواح والنواميس إلى الآلهة السبعة الكِبار، من حيث قيامهم بتنظيم الكون وتقرير المصير والأقدار، وهم:

١. الإله (آن – آنو) إله السّماء، المُقرِّر عن بعد.
٢. الإله إنليل، سيد الهواء، وسيد المجمع الإلهي، المُقرِّر الأساسي.
٣. الإله (أنكي – أيا)، إله الحكمة والخصب، ومحب البشر، والمفكر لدى الآلهة، والمُقرِّر بالتفويض من إنليل.
٤. الإلهة ننخرساك، الإلهة الأم وخالقة الآلهة والبشر والمقررة لهم.

٥. الإلهة إيريشكيجال، إلهة العالم السفلي، مقررة هذا العالم.
٦. الإله نينورتا، إله الأرض والحرب.
٧. وربما الإله نرجال، بعد حصوله على ألواح المعرفة (القدر) للعالم السفلي من إيريشكيجال.

ويمكن إضافة آلهة أخرى على اعتبار العدد سبعة – قد – يدلُّ على الكثرة في فكر بلاد الرافدين القديم، كما يمكن إضافة الإله مردوخ في العصر البابلي، الذي ظهر كبديل عن إنليل وحتى أنكي، وكذلك نظيره الإله آشور عند الآشوريين.

- لا يمكن اختراق هذه النواميس، وكل المحاولات التي كانت تحصل، ما هي إلا محاولات عبثية، لم تجد نفعاً، لكنها كانت تحصل، اعتماداً على نوع من الآمل في تغيير القدر المحتوم، أو لأسباب تتعلق ببعض الكهنة وغاياتهم المشبوهة.
- الحالات التي تم فيها اختراق وتغيير هذه النواميس كانت تلقى الفشل والعِقاب.
- وفي قضية موت الآلهة في بعض الحالات، فقد تبين إنها ما كانت إلا وفقاً لِما قُدِرَ لها، لكن (الموت) – هنا – لا يعني الموت الكامل كما يحدث عند الإنسان، (فناء الجسد، وبقاء

الروح) بل هو شكل من تغيير الطبيعة، فقط، أي طبيعة الإله الميت افتراضاً. فالآلهة خالدة لا تموت.

- ألواح القدر أو (المي) هي إحدى القوى الإلهية، التي كانت تشغل بال وفكر سكان بلاد الرافدين، والتي تجلَّت لديهم من خلال عدة مظاهر، هي:
  ١. الظواهر الطبيعية.
  ٢. مفهوم المصير أو الموت المحتوم.
  ٣. سيرورة وصيرورة التاريخ والأحداث التاريخية.
  ٤. إحدى مظاهر الوجود، أو ربما تمثل الوجود بحد ذاته، بكل تجليات هذا الوجود، وحتى لو كان أصله من (العماء) أو العدم.
- على الرغم من اعتبار الأسطورة تنحو نحو الخيال وأسطرة الحدث، أي تضخيمه، وذلك بإدخال الآلهة كلاعبٍ أساسي في هذا الحدث، إلا أنها لعبت الدور الحاسم والكبير في كبح جِماح العشرات، بل المئات، من البشر الراغبين في الخلود، والذين اعتقدوا أن بإمكانهم الحصول عليه، من خلال القيام ببعض الأعمال الكبيرة، على شاكلة بناء الأبنية الضخمة (الزقورات والأبراج) خدمةً للآلهة، أو القيام ببعض الأعمال العسكرية التوسعية باسم بعض الآلهة، علَّها تمنحهم الخلود. إلا أن الأسطورة، بما قدمته من أدب رفيع المستوى، وكلمات عالية

المجاز والرمزية، والعمق الفكري، قدمت الإجابات الشّافية الوافية حول الكثير من الأسئلة، وفي مقدمتها، مسألة الخلود، واعتباره حصراً بالآلهة، وإن الإنسان مهما علا شأنه فإنه ميتٌ لا محالة، وبالتالي استطاعت – هذه – الأسطورة، بمفاعيلها السحرية، كبحَ جِماح هؤلاء الناس، وإعادتهم إلى جادة الصواب وأرض الواقع، كما عاد جلجامش إلى مدينته أوروك بُغية إعمار أسوارها والاهتمام بسكانها، بعدما يئس من الخلود.

- لقد لعب الفكر الرافدي القديم دوراً بارزاً في تحول فكرة القدر، بما تحمله من عبثية الحياة وحتمية الموت والاستكانة، إلى حافزٍ ممتاز للبحث عن الخلود الحقيقي عبر تطوير الذات، أولاً، برقيها وتعلُّمِها وإنجازاتها الحضارية، وثانياً، عبر تطوير البيئة المحيطة، فكان أن نشأت لدينا حضارة عريقة بزَّت كل الحضارات قِدماً وعراقة ورفعة.
- يمكن اختصار كل ما سبق، أن هناك خطةً مُنظمة مُسجلة ومكتوبة مسبقاً، خطَّها آلهة كِبار، بغية تنظيم الكون، بكل ما فيه من موجودات، وتحديد قوانينه (نواميسه) وأسس الحضارة لكل شيء في الحياة، فجاءت نواميس الـ (مي) لكي تحدد الطرق المثلى في الحكم والسياسة والسلوك والأخلاق وكافة الفنون الصناعية وغيرها من مسلتزمات الحضارة المدنية (سلباً أم إيجاباً) وكان الوجه الآخر لها (ألواح الأقدار) التي حددت

قدر كل شيء، من إله ومدينة ومعبد وإنسان ...إلخ. أي هي قدره في الحياة، أي مسيرة حياته وعمله وسلوكه ومكانته، ومن ثمَّ تبعتها فكرة المصير النهائي المحتوم، أي الموت المُحتَّم لكل الناس، مع إعطاء الخلود فقط للآلهة، وذلك لاعتبارت فكرية أخلاقية، تتعلق بسيرورة وصيرورة التاريخ والحدث الإنساني، وقد تطورت هذه الرؤى إلى عقائد دينية مُلزمة، بُغية جعل الآلهة – دائماً – في موضع الاحترام والتقدير، وبالتالي استمراريتها، فهي تعني فيما تعنيه، استمرار أسس ومقومات الحياة الحضارية.

- (أنميدار – أنّا) هو الإنسان (الملك) الوحيد الذي حاز على جزءٍ يسير من هذه النواميس (المعارف) خاصة العرافة.
- لقد دلَّت الدراسات المبنية على التنقيبات الأثرية، والعثور على قوائم بأسماء الأبنية الدينية الموجودة في بلاد الرافدين، وهي قوائم مدوّنة بالخط المسماري، نُقشت على ألواح من الطين، وهي تعود في الغالب إلى العصر البابلي القديم، وقد عثر عليها في مواقع: نينوى (تل قوينجق)، نفر، ايسن (إيشان بحريات)، بوغاز كوي (في تركيا حالياً)، وهناك – أيضاً – قائمة من العصر الآشوري الحديث عثر عليها في موقع دور – شاروكين (خرسباد حالياً)، وكل هذه القوائم تُشير إلى أسماء المواقع الأثرية، (معابد – زقزرات – دكات – ... إلخ) وأسماء

الآلهة المكرسة لها[١٧١]، وكلها تُشير إلى وجود أكثر من ٤٢ موقعاً للعبادة، خُصِّصت من أجل حفظ ألواح القدر المدوَّن عليها نواميس (الـ مي – ME) مما له دلالة كبيرة على أهمية هذه النواميس في حياة سكان بلاد الرافدين، ومدى تأثيرها عليهم، وما لها من أهمية في الفكر الرافدي العقائدي الفلسفي، في بلاد الرافدين، وسوف نورد أسماء هذه المعابد في جدول خاص في ملاحق هذا الكتاب.

- **أخيراً**، تبقى هذه الأطروحات الفكرية، العقائدية، الأسطورية، الفلسفية، مفردات محددة ومحدودة، من المفردات الحضارية الكثيرة التي خطَّها عباقرة بلاد الرافدين، في زمنٍ كانت فيه أغلب شعوب الأرض قاطبةً، ما زالت تلهج بحروفها الأولى، في سياق الحضارة، فيما نرى هنا، كيف يتم القيام بمعالجة قضايا فكرية فلسفية على درجةٍ كبيرة من الأهمية، وذلك قبل – حتى – مجرَّد التفكير بظهور (العبقرية) اليونانية، التي تأخرت عن هؤلاء، بما لا يقل عن ١٥٠٠ سنة، مع الأخذ بعين الاعتبار وجود حضارات منافسة أخرى، شقيقة كحضارة بلاد الشام، وأخرى مهمة جداً ومعاصرة، كحضارة وادي النيل.

---

[١٧١] – نائل حنون: المدافن والمعابد في حضارة بلاد الرافدين القديمة – دراسة عن الشعائر والعمارة في النصوص المسمارية والآثار – المعابد وزقوراتها، ج ٢، دار الخريف للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٠٦م، ص ١٣٢ حتى ٢٠٥.

الخاتمة

هناك من يقول: أنه إذا أردت أن تعي وتدرك الحاضر عليك بفهم الماضي، وهذا كلام صحيح، لكنني أضيف وأقول: إذا أشكل عليك فهم الماضي، فعليك بربطه بالحاضر، وفهم – هذا – الحاضر لكي تفهم ذاك الماضي، ومن هنا نطرح السؤال التالي: هل ما كان يحدث في الواقع – حينذاك – هو انعكاسٌ لِما يحصل عند الآلهة؟، كما اعتقد سكان بلاد الرافدين، أي أن حياة وسلوك الناس، ما هي، إلا انعكاس لِما يحدث عند الآلهة، وتُحدده تلك المصائر التي خطَّها هؤلاء الآلهة؟، إذن فالآلهة، هي من أوجدت وحددت كل شيء، وما على الإنسان سوى التنفيذ، حسب ما كُتبَ له من مصير.

وهنا نطرح السؤال التالي: هل ما كتبه الآلهة عن حياتهم وحياة الناس، هو – حقاً – من كتابتهم؟، أم من كتابة أشخاص مُحددين؟ لهم من العبقرية والذكاء ما جعلهم يكتبون كل هذه الأفكار وينسبونها للآلهة، كي تلقى الترحيب والخوف والتطبيق من قِبل الناس؟.

ففي بلاد الرافدين، كتب مجموعة من الناس سيرة حياة الآلهة، التي افترضوا وجودها، وبالتالي كانت هذه الكتابات، هي من فعل البشر، وليست من فعل أيّة قوة أخرى، وبالتالي فإن عظمة هذه الإنجازات الفكرية (الدينية الماورائية) هي من فعل البشر، وليست من

فعل الآلهة، كما فهمها سكان بلاد الرافدين، إن كان يُراد لهم ذلك، إذن، نواميس الـ (المي) وألواح القدر، ومفهوم المصير، من كتابة فلاسفة ومفكرين سومريين وبابليين، وهي تُعبِّر عن رقيٍ حضاري، وفكر خلّاق، غامر بكل ما أوتي من قدرة على التفكير، فحصد بقدر ما غامر به، حصد حضارة مؤسِّسةً، وقدَّم أفكاراً – ربما – حددت مصير الكون (المرئي) فعلاً.

لذلك، لا بدَّ من التعاطي مع هذه الأفكار (المي، ألواح القدر، المصير) على أنها أفكار بشر، وليست غير ذلك، ولكنها نُسبت إلى الآلهة لإعطائها العظمة والقبول من الناس، فهي إذن تُنسب إلى الفكر الإنساني في بلاد الرافدين، وتُضاف إلى منجزاتهم الأخرى، ومن هنا نستطيع القول: أن ما كان يحدث عند الآلهة، ما هو إلا انعكاس لأفكار من صاغوا هذا الفكر الديني، ورغبوا به على هذه الشّاكلة، فقد دوَّنوا أفكارهم ونسبوها إلى الآلهة، كي تعود إليهم من جديد، وينفذوها على أنها أوامر إلهية، وبالتالي تم الحديث على أن ما يحدث في الواقع ما هو إلا انعكاس لما يحدث عند الآلهة، والواقع غير ذلك، فقد وصلت أفكارهم بهذه الطريقة إلى الناس، وما كان لها الوصول، لو كانت بشكل مباشر، ومن هنا، كانت هذه الأفكار عن ألواح القدر والمصير للكون والإنسان والآلهة، وكل شيء، ما هي إلا رؤية وآراء لحكماء ومفكرين وفلاسفة من سكان بلاد الرافدين، ألبسوا أفكارهم صبغةً دينية بُغية الوصول بها إلى البشر، فهي بالتالي تُضاف إلى رؤاهم الكثيرة، التي

جعلت من أرض بلاد الرافدين – كما بلاد الشام – مهد الحضارة ومهد الفكر الإنساني، وعلى رأسها مفهوم الـ ME عند العرب السومريين، الذي تُرْجِمَ إلى ألواح القدر ومفهوم المصير، عند أولاد عمومتهم العرب الأكاديين، عند تحول اللهجة العربية من سومرية إلى أكادية (بابلية – آشورية) وفق مقتضيات تطور مفهوم الكتابة ومتطلبات العصر والمنطق الطبيعي.

أما فيما يخص موضوع القدر والمصير، والذي يبدو أنه – حسب اعتقاد البعض – بأنه سبَّبَ لهذا الإنسان الرافدي نوعاً من الخمول الفكري، نتيجة اعتقاده بحتمية المصير[١٧٢]، والوقوع في القدرية التامة، كما يقول الحكماء السومريون في أحد الأسفار الذي يدعى (الأنسان وربه): ((لم تُخلّف أم طفلاً قط، وقُدِّرَ له أن يبقى بلا خطيئة))[١٧٣]، فلا حاجة – إذن – للعمل والتفكير، لأن مصيرهم محتوم ولا مجال لتغييره، وفي هذا الصدد – وبناءً على المنجز الحضاري الرافدي– يمكن القول: إن هذه الوجهة الذاتية (الإنسانية) في العلاقة بين الآلهة والبشر، هي التي أنقذت إنسان بلاد الرافدين، من الوقوع في القدرية التامة، وتركت للفرد نوعاً من الحرية، وإمكانية التأثير على مصيره بشكلٍ ما، كما إن تطبيق هذه التعاليم المُقرَّرة سيقود – حتماً – إلى

---

[١٧٢] – كلشكوف: مرجع سابق، ص ٤٦.

[١٧٣] – عيد مرعي، فيصل عبدالله: تاريخ الوطن، مرجع سابق، ص ١٢٦.

تغيرات في المصير نحو الأفضل، وإلى (إطالة العمر)، في حين سيؤدي خرق هذه التعاليم نحو الأسوأ، ولكن الكلمة الأخيرة تبقى للآلهة، كما يقول هيرودوت: ((ليغفر لنا الآلهة والأبطال، لكثرة ما ثرثرنا عن القضايا الإلهية))[١٧٤]، وبالتالي تبقى الكلمة الأخيرة للإنسان؟؟.

وفي الختام، يبقى العُمدة في الموضوع، قيام العقل الرافدي الفذ، بزرع الإرهاصات الأولى – ومن خلال هذه الأفكار – لكافة الأفكار والمعتقدات والفلسفات والنظريات، الماورائية والآخروية والميتافيزيقية والأخلاقية والعلمية. ولن تكون نواميس (المي) إلا القوانين المؤسسة لكافة العلوم التالية، بما فيها (السياسية والتشريعية، والاجتماعية والتقنية)، وستبقى ألواح الأقدار، بمثابة الفكر المؤسس للقدرية التالية، بمفهومها الإيجابي المُحفز على العمل، ولن يخرج مفهوم المصير عن سابقيه، في اعتباره مدماكاً أساساً في الديانات السّماوية اللاحقة.

---

[١٧٤] – كلشكوف: مرجع سابق، ص ٤٦.

الملاحق

جدول بأسماء بعض أماكن العبادة التي تتعلق بألواح القدر الـ (مي) في بلاد الرافدين

الرقم	اسم المبنى	معنى الاسم	النوع	الإله المعبود	المدينة
١	أي^{٢}– أور^{٢}– مي– (إمن)– أن– كِ ←	أي^{٢} – أور^{٤} – مي – إمن – أن – كِ			
٢	أي^{٢} – أور^{٤} – (مي) – إمن – أن – كِ	البيت الذي يجمع النواميس السبعة للسماء والعالم السفلي	زقورة	نابو	بورسبا
٣	أي^{٢} – اول – شار^{٢} – مي – شو – دو^{٧}	بيت الابتهاج والنواميس الكاملة	معبد	بابا	دير
٤	أي^{٢} – ايش – بار – مي – لوخ – خا	بيت القرارات الذي يطهر النواميس	معبد	ننشوبر	جرسو
٥	أي^{٢} – سِ ك^{٤} – مي– شي^{٣} – دو^{٧}	بيت الآجر اللائق بالنواميس	معبد	انانّا	ايسن
٦	ايش – بار – مي – سِ – سا^{٢}	المعبد الذي ينظم القرارات والنواميس	دكة	نابو	بابل
٧	أي^{٢} – أيش^{٣} – مي – داغال – لا	بيت معبد صومعة النواميس الوارفة	معبد	داجان	أور

٨	أي٢ – كِ – غار – دوب – نام – تار– تار– ري – دي٣ – كِشِب – كور – ساغ – دِل	البيت الصرح الذي يختم فيه لوح الأقدار سراً	قاعة	نابو	آشور
٩	أي٢ – كِ – نام	بيت موضع الأقدار	معبد	بيلة ايكالّ	آشور
١٠	أي٢ – كِ – نام	بيت موضع الأقدار	معبد	آنو	كيش
١١	أي٢ – كور – مي – شار٢ – را	بيت جبل النواميس كلها	معبد	آشور	كار– توكلتي– ننورتا
١٢	أي٢ – كال – خال – خال	بيت الأسرار العظيم	معبد		أوروك
١٣	أي٢ – مي ←	أي٢ – مي – انانّا			
١٤	أي٢ – مي – انانّا	بيت نواميس انانّا	معبد	عشتار	آشور
١٥	أي٢ – مي – أن – نا	بيت نواميس السماء	مقام	جولا	ايسن
١٦	أي٢ – مي – اور٤	البيت الذي يجمع النواميس	مقام	عشتار	ماري
١٧	أي٢ – مي – اور٤ – إمن – أن – كِ	أي٢ – اور ٤ – مي – إمن – أن			

	←	– ك			
١٨	أي^{٢} – مي – اور – أن – نا	←أي^{٢} – مي – اور^{٤} – أن – نا			
١٩	أي^{٢} – مي – اور^{٤} – أن – نا	البيت الذي يجمع نواميس السماء	مزار	ننورتا	نفر
٢٠	أي^{٢} – مي – اور^{٤} – اور^{٤}	البيت الذي يجمع النواميس	معبد	عشتار	لارسا
٢١	أي^{٢} – مي – اور^{٤} – اور^{٤}	البيت الذي يجمع النواميس	معبد	نانايا	أوروك
٢٢	أي^{٢} – مي – اور^{٤} – اور^{٤}	البيت الذي يجمع النواميس	معبد	نانايا	بابل
٢٣	أي^{٢} – مي – اور^{٤} – اور^{٤}	البيت الذي يجمع النواميس	معبد	عشتار	ماري
٢٤	أي^{٢} – مي – اور^{٤} – اور^{٤}	البيت الذي يجمع النواميس	معبد	عشتار	آشور
٢٥	أي^{٢} – مي – بِر – را	بيت النواميس المنتشرة	مزار	آشور	
٢٦	أي^{٢} – مي – بِ – زالاكا – نِ^{٢}– سو – زِ – بار – را	البيت الذي نواميسه منيرة باعثة شعاعاً مهيباً	مقام		
٢٧	أي^{٢} – مي – بِ – شي^{٣} – داغال – لا	البيت الفسيح لنواميسه	مقام	إنليل	

٢٨	أي^{٢} – مي – بِ – شي^{٣} – دو^{٣} – أ	البيت المشيد للنواميس	مقام	إنليل وننليل	
٢٩	أي^{٢} – مي – خوش – كال – أن – كِ	بيت النواميس المهابة العظيمة للسماء والعالم السفلي	معبد	إجالِمّا	جرسو
٣٠	أي^{٢} – مي – دو^{١٠}– دو^{١٠} – كا	بيت النواميس المفرحة	مقام	ننورتا	
٣١	أي^{٢} – مي – زِ – دا	بيت النواميس الصادقة	مقام	أنكي	أدب
٣٢	أي^{٢} – مي – سِكِل – لا	بيت النواميس المقدسة	معبد	أمورّو	ايسن
٣٣	أي^{٢} – مي – سِكِل – لا	بيت النواميس المقدسة	معبد	أمورّو	بابل الغربية
٣٤	أي^{٢} – مي – سِ^{٣} – كا – كالام – ما – شار^{٢} – را	بيت كل النواميس الموهوبة للبلاد	معبد	أنونّيتم	بابل
٣٥	أي^{٢} – مي – كِلِب^{٣} – أور^{٤} – أور^{٤}	البيت الذي يجمع النواميس كلها	معبد	عشتار	بابل
٣٦	أي^{٢} – مي – كِلِب^{٣} – با – ساغ – إل^{٣}	البيت الذي يجمع النواميس كلها	معبد	ننشوبر	جرسو
٣٧	أي^{٢} – مي – كِلِب^{٣} – شو – دو^{٧}	البيت الذي يجمع النواميس كلها	معبد	نِن – إمّا	نفر

٣٨	أي٢ – مي – كو٣ – كا	بيت النواميس الطاهرة	معبد	أنكي	إريدو
٣٩	أي٢ – مي – كالام – ما	بيت النواميس المقننة بمهارة	معبد	رأس السنة	أكاد
٤٠	أي٢ – مي – نو أي٣	بيت النواميس التي لا تخرج	مزار	عشتار	نينوى
٤١	أي٢ – نا – أم٢ – تار – را	بيت تقرير المصائر	جزء من معبد		أوروك
٤٢	أي٢ – نام – تار – كالام – ما	بيت مصائر البلاد	مقام	شمش	

أسطورة خلق القمر

(حسب النص السومري)

في قصة الخلق البابلية (أينما اَلِش) أو (حينما إلى العلى)، وجدنا أن الإله مردوخ، هو الذي خلق القمر، باعتباره عنصراً من عناصر الكون، أما في هذا النص السومري، فنجد أن عملية خلق القمر، تمَّت بإرادة الآلهة الخالقة: آنو، إنليل، وأيا، وبتدبيرها، وهذا ما حصل للسَّماء والأرض والشمس، نقرأ:

- حينما آن وإنليل وأنكي، الآلهة العِظام
- أقاموا **بأمرهم الثابت وبالقرارات العظيمة**
- السّماء والأرض وهلال الإله – القمر
- .....
- حينما آنو وإنليل وأيا
- أقاموا سنة السّماء والأرض
- وعهدوا بها إلى أيدي الآلهة العِظام
- لينظروا النهار المشرق والقمر الجديد
- ....[١٧٥].

[١٧٥] – نائل حنون: الحياة والموت، مرجع سابق، ص ٣٤، ٣٥، ٣٦.

خلود الآلهة في بلاد الرافدين

كانت العقيدة العامة عند سكان بلاد الرافدين القدماء، أن الخلود ميزة اختصت بها الآلهة، في حين أن أيام البشر معدودة، ويعبر عن هذه العقيدة، ما يرد في ملحمة جلجامش، وعلى لسانه، وهو يخاطب أنكيدو، نقرأ:

- جلجامش فتح فاه و...
- ذكر لأنكيدو:
- من يا صديقي علا (حتى) السّماوات
- الآلهة هي مع الشمس للأبد يمكثون
- البشرية هي معدودة أيامها
- أيّاً يفعلون باستمرار مجرد هواء
- ....

وبالتالي فقد حُسِمَ الأمر، فالخلود للآلهة فقط!، ومما لا شكّ فيه أن مبعث الاعتقاد بخلود الآلهة، يتمثل في أنهم اعتبروا مسؤولين عن إدارة الكون بجميع ظواهره المعقدة، التي تفوق – في تعقيدها – طبيعة الحياة البشرية البسيطة في مظهرها. ومن هنا فلا بد أن يتفوق الآلهة على البشر بقدراتهم وخلودهم، وبغير ذلك، فإن الكون يصبح عرضة

للفوضى والدمار، فيما إذا لو تعرضوا للموت، وهو أمر لا يُستساغ حدوثه بالنسبة لمعتقدات السكان القدماء.

ولكن هذا الاعتقاد بخلود الآلهة يتناقض ظاهريّاً مع الاعتقاد بما حصل لبعض الآلهة من قتل ونسخ في الحوادث التي رافقت أعمال التكوين والخلق، مما نجده في أسطورة الخلق البابلية. ثم إضفاء صفة التشبيه على الآلهة في المعتقدات القديمة، تلك الصفة التي تجعلهم مشابهين للبشر في احتياجاتهم وتصرفاتهم وحتى في هيئاتهم.

وقد قاد هذا التصور بإقدامهم على ما يقدم عليه البشر – أيضاً – من اقتتال وحرب وأخطاء قاتلة، وهذا ما كان يعرضهم بالتالي لمخاطر الموت، وفي هذا وذاك ما يؤدي إلى نتيجة تبدو مناقضة لصفة الخلود التي تميز بها الآلهة.

ولكن السؤال الذي يتبادر للذهن – هنا – إلى أي مدى كان يصل هذا التناقض؟. وللإجابة على هذا السؤال، يتوجب علينا أن نعرف من أولئك الآلهة الذين تعرضوا للموت في معتقدات بلاد الرافدين القديمة، وندرس الحالات التي مروا بها ومسبباتها، والمغزى منها، لنتوصل بالدراسة والتحليل إلى مفهوم الخلود في تلك الحضارة، ومعنى موت الآلهة وتأثير المعتقدات الخاصة بذلك في حياة البشر.

وهنا لا بد لنا من التعرف على المفهوم العام للموت في العقائد القديمة، وما الفرق بين موت البشر وموت الآلهة.

موت الإنسان

كان سكان بلاد الرافدين القدماء يعتقدون أن الإنسان ثنائي التكوين، أي أنه ذو كيانين، مادي وهو الجسد، وأثيري وهو الروح، وهم في ذلك يقتربون من عقائد الديانات التوحيدية الكبرى، ومن جل المعتقدات في عصرنا الحديث. ويشتركون مع هذه الديانات – أيضاً – في الاعتقاد بأن الكيان المادي من الإنسان يفنى، والكيان الأثيري يبقى بعد موت الجسد. فالكيانان، أي الجسد والروح، متلازمان طوال حياة الإنسان، ولكنهما ينفصلان بالموت، فيبلى الجسد وتبقى الروح، أي أن مفهوم الموت: هو انفصال الروح عن الجسد.

موت الآلهة

أما الآلهة، فقد كانوا بحسب المعتقدات القديمة، كيانات أحادية التكوين، اندمج فيها الكيان المادي مع الأثيري، وهذا يعني، أنه لا يوجد في حالة الآلهة انفصال ما بين الجسد والروح الأثيرية، أي أنهم لا يواجهون الموت الذي يواجهه البشر بانفصال أرواحهم عن أجسادهم، وبهذا تجاوزت حضارة بلاد الرافدين القديمة ذلك التناقض، بين مبدأ خلود الآلهة، ومبدأ تشبههم بالبشر في التعرض للموت، إذ أضحى

الموت، بالنسبة للآلهة مُقتصراً في معناه على **انتقالهم من حالةٍ إلى أخرى، أو من موضع كوني إلى آخر، أو مجرد اختفائهم لوقت محدد، وظهورهم ثانية بعد انتهائه.** وهنا نتساءل عن حالات موت بعض الآلهة، التي وجدناها في بعض النصوص الرافدية القديمة؟.

حالات موت الآلهة

أولاً: موت الآلهة في أساطير التكوين والخلق

ففي هذه الأساطير، نرى العديد من الآلهة الذين قتلوا في حوادث عنيفة رافقت عملية التكوين وخلق الإنسان، ومن هذه الآلهة:

١. آبسو، وهو من آلهة العماء العتيقة: وكان يمثل المياه العذبة في كتلة المياه الأولى، قتله الإله أيا (ذبحاً) وأبقى عليه بهيئته المادية، أي المياه العذبة السفلية.

٢. ممو، وهو من آلهة العماء العتيقة، وكان يمثل السديم، الذي يلف كتلة المياه الأولى (العماء)، قتله أيا وهشَّم جمجمته، لكنه استمر باستمرار السديم في التكون.

٣. تيامة، إلهة العماء العتيقة الأولى، وكانت تجسد المياه المالحة، قتلها مردوخ، لكنها استمرت في الوجود باستمرار وجود المياه المالحة من جهة، ومن جهة اعتبار نصفها الثاني يمثل السّماء.

٤. كنجو، من الآلهة العتيقة، وكان قائد جيش تيامة، قتله مردوخ، ومن دمه تم خلق الإنسان.
٥. وي – ايلا: ويرد في ملحمة (اترا – خاسس) (نوح) الأسطورية عن الطوفان، مزجت الإلهة الأم ننخرساك دمه بالطين، ومنه تم خلق الإنسان.
٦. آلهة الـ (لامجا)، وتظهر في أسطورة خلق الإنسانين الأولين، وهي من الآلهة المسؤولة عن حرفة البناء، وخصوصاً صناعة الطابوق قديماً، وقد ذُبِحَ منها أكثر من إله (ربما اثنان فقط) ومن دمهما خُلِقَ الإنسان.

نرى من كل ما سبق، أن موت هؤلاء الآلهة، لم يكن موتاً كاملاً، بل كنوع من التحول من شكل في الكون، إلى الشكل المادي، الذي كانوا يجسدونه سابقاً، وهنا نورد ملاحظتين، هامتين:

- إن هذا القتل كان جزءاً من عمليات التكوين الكبرى، التي نتج عنها وجود الكون والبشر، وحين اكتملت تلك العمليات، بظهور الكون وخلق البشر، توقفت أعمال القتل تلك، وكأنها لم تكن سوى طريقة لتهيئة (المواد الأولية) لبناء الكون وخلق البشر من كيانات آلهة، أُبتكِر وجودها من أجل هذا الغرض، أكثر من أن يكون لغرض العبادة. وربما كان في توقف قتل الآلهة، في هذا الموضوع، عند خلق الإنسان، دلالة ضمنية على وجود غاية

أخرى من خلقه، فضلاً عن خدمة الآلهة المعلن عنها في النصوص المسمارية، وهي فداء الآلهة من الموت ليكون من نصيب البشر فقط.

- نُفذت عمليات قتل أولئك الآلهة، من قِبل آلهة أخرى، في أحداث تدمير عنيفة، تطلبتها أعمال التكوين والخلق، ولم تكن نتيجة لحلول أجل الآلهة، التي ذُكر مقتلها، مثلما هو الحال بالنسبة للإنسان، الذي قُدر أجله مسبقاً.

ثانياً: الانتقال إلى مجمع آلهة العالم السفلي

لقد أصبح وجود عدد من الآلهة في مجمع العالم السفلي موضوعاً لأساطير تروي قصصاً تشترك في أن أولئك الآلهة كانوا أصلاً من آلهة السّماء، ولكنها تختلف في تحديد السبب والكيفية، التي انتقل فيها كل واحد منهم إلى مجمع آلهة العالم السفلي. وقد أُعتبِرَ ذلك (موتاً) في تلك الأساطير، في حين لا يصح أن نأخذه بشكل حرفي ونعتبره نحن أيضاً (موتاً) إذ هم مستمرون في الوجود، بحسب الفكر الأسطوري القديم، ويمارسون مسؤولياتهم من مراكز محددة في الديانة القديمة.

وكنّا قد رأينا أن الموت يتمثل في انفصال الروح عن الجسد وانتقالها إلى العالم السفلي، أو عالم الأرواح، في حين يبلى الجسد في القبر، وبمعنى آخر، فإن معنى الموت يتمثل في هذا ا(الانتقال) للروح، وهنا نؤكد على أن انفصال الروح عن الجسد لا يحدث في حالة الآلهة،

وذلك بسبب تكوينهم الشّفاف الأحادي، أي ليس من الروح والجسد، ولكن كان هناك (انتقال) إلى عالم الأرواح لممارسة الألوهية فيه، وبذلك اشتركوا مع البشر في (الانتقال) فقط. ولما كان هذا (الانتقال) في حالة البشر مدعاة للحزن والحداد، فقد أصبح (انتقال) بعض الآلهة إلى مجمع آلهة العالم السفلي مدعاة حزن وحداد أيضاً، وذلك حسب مبدأ التشبيه بين البشر والآلهة، لكن الحزن – هنا – في حالة الآلهة، يلبي حاجة عاطفية للقوم باعتباره يمثل بعداً من أبعاد حياتهم، يذهب إلى ما وراء حاجاتهم المادية.

وقد وصلنا، من خلال الأساطير – انتقال خمسة آلهة إلى العالم السفلي، هم:

١. إيريشكيجال، إلهة العالم السفلي وحاكمته.
٢. نرجال، زوج إيريشكيجال وشريكها في حكم هذا العالم.
٣. دموزي (تموز).
٤. جشتن – أنّا، من آلهة العالم السفلي، التي ترد باسم (بيلية – صيري) وهي أخت دموزي (تموز) وكاتبة هذا العالم، التي تعمل تحت إشراف حاكمته.
٥. ننجشزيدا، من الآلهة المهمين في العالم السفلي، وقد اعتبر ابناً لإيريشكيجال.

ثالثاً: موت الآلهة السنوي

يختلف (موت) الآلهة في هذا الموضوع عن (موتهم) في المواضيع الأخرى، التي سبقت مناقشتها. ويتلخص الاعتقاد القديم به، في أنه كان يحدث سنويّاً لإله معين، ولفترة محددة مسبقاً، يعود بعدها ذلك الإله إلى الحياة ضمن شعائر ومراسم خاصة. وبهذا فهو يختلف عن تحول بعض الآلهة القديمة إلى عناصر أو مظاهر أخرى في الكون، ويختلف – أيضاً – عن الانتقال الأبدي إلى مجمع آلهة العالم السفلي.

ففي هذا الموت السنوي، لا يتحول الآلهة إلى عناصر أخرى في الوجود، مثلما لاحظنا في أعمال التكوين والخلق، وكان الآلهة الذين يتعرضون له يعودون، بعد انتهاء الفترة القصيرة المُحددة (لموتهم) إلى مراكزهم السّابقة ذاتها، من دون أي تغيير في مسؤولياتهم وفي عبادتهم. وحتى أثناء وجودهم في العالم السفلي، فإنهم لا يتحملون أية مسؤولية فيه، بخلاف ما كان يحصل للآلهة الذين تتغير مراكزهم وينزلون إلى ذلك العالم لينضموا إلى مجمع آلهته.

وهناك العديد من الآلهة الذين ذكرتهم النصوص المسمارية حول تعرضهم للموت السنوي، منهم:

١. مردوخ، الإله الرئيس لمدينة بابل.

٢. دامو، من آلهة مدينة إيسن (إيشان بحريات حالياً) وهو ابن ننجشزيدا.
٣. نينورتا، إله الحرب والصيد.
٤. ننجرسو، الإله الرئيس لمدينة لجش♣.
٥. تشباك، الإله الرئيس لمدينة أشنونا♠.
٦. آنو، إله السماء، والإله الرئيس لمدينة أوروك ... إلخ.

رابعاً: موت الآلهة في حوادث متفرقة

ومنها:

١. انتقال انانّا (عشتار) إلى العلم السفلي.
٢. إنليل، الإله الرئيس لمدينة نفر، وعلى الرغم من مكانته الكبيرة، فقد تعرض لعقوبة قاسية فرضها مجمع الآلهة عليه، بسبب اغتصابه للإلهة ننليل، التي أصبحت زوجته فيما بعد، وقد كان هذا البُعاد لمدة محدودة فقط، من دون أن تؤثر على خلوده أو قيامه على قيادته لمجمع الآلهة.
٣. ننّا (سين)، وذلك بعد تعرضه لهجوم من قبل شياطين شريرة قادمة من العالم السفلي.

♣ - لجش، تلول الهباء حالياً في محافظة الناصرية في جنوب العراق.
♠ - مدينة أشنونة، تل أسمر حالياً في منطقة ديالى.

٤. اشكر (أدد)، إله العواصف والأمطار، وقد اختفى في العالم السفلي، ومن ثمَّ استطاع الثعلب انقاذه من ذلك العالم!!.
٥. أنكي (أيا)، إله الحكمة وسيد الأرض، وهو من الآلهة الخالقة في عملية الخلق والتكوين، وعلى الرغم من ذلك، يتعرض – حسب أسطورة سومرية – تجري حوادثها في منطقة دلمون♥ إلى الهبوط إلى العالم السفلي، بعد لعنة **تنطق** بها الإلهة الأم ننخرساك، لأنه أكل بدون موافقتها، ثمانية نبتات زرعتها بيدها في دلمون، ومن ثم يعود إلى العالم العلوي، بعد العديد من المحاولات وبضغط من مجمع الآلهة على ننخرساك، فتعيده.

خلاصة القول

أن هذا (الموت) لم يكن بالمعنى الذي كان عليه موت البشر، ولم يكن يعني – بجميع حالاته – انتفاء صفة الخلود عن الآلهة، واتضح أن فكرة (موت) الآلهة، كانت ذات دلالة رمزية صيغت من الأساطير القديمة لتعزيز بعض العقائد القديمة، أو لتقديم المسببات لها والتبريرات للحالات التي كانت تقدمها. وقد كان المغزى من هذا (الموت) يختلف حسب الحالة، ومنها:

♥ - دلمون، البحرين حالياً.

- توفير المواد الأساسية للتكوين والخلق، وتستمر الآلهة من خلالها، في الحالة الأولى.
- تبرير وجود آلهة معينين في مجمع آلهة العالم السفلي، وهنا تكون الآلهة مستمرة في أداء دورها ضمن مجمع آلهة العالم السفلي، وهو دور أبدي لها، لا يمكن أن تتركه أو تتخلى عن أدائه بحسب العقائد القديمة، في الحالة الثانية.
- ضمان تقدير المصائر للمدن والناس سنويّا في حالات (موت) الآلهة السنوي، في الحالة الثالثة.
- إضفاء الحيوية وتطبيق مبدأ التشبيه للآلهة، في الحالة الرابعة[١٧٦].

[١٧٦] - نائل حنون: الحياة والموت، مرجع سابق، ص ١٣١ – ١٧٠.

الروح بعد الموت في عقيدة

سكان بلاد الرافدين القديمة

لقد اعتبر سكان بلاد الرافدين أن الإنسان كائن مركب من عنصرين، مادي وهو الجسد، وشفّاف وهو الروح، ولم يكن هذا الاعتقاد بعيداً عن تصورات الحضارات القديمة الأخرى في الوطن العربي، مثل حضارة وادي النيل، ولكن المعتقد في بلاد الرافدين القديمة، يذهب إلى أن الروح تنفصل عن الجسد بالموت لتخلد في عالم الأموات، أو العالم السفلي بحسب التسمية القديمة.

وبهذا تختلف معتقدات هذه الحضارة عن معتقدات حضارة وادي النيل، التي كانت تعتبر وجود الروح وخلودها في عالم ما بعد الموت متوقفاً على حالة الجسد وبقائه محتفظاً بشكله الطبيعي بقدر الإمكان. وهذا ما دفع المصريين القدامى إلى بذل العناية الشديدة بأجساد الموتى، وإتقان تحنيطها للمحافظة عليها، وبالتالي لضمان خلود الروح.

وقد أُطلقت – في اللغة السومرية – كلمة (كِدِم – GIDIM) للدلالة على روح المتوفى أو شبحه، وحين أُقتبست الكلمة في اللغة الأكادية، وبعد بعض التسويات الضرورية، أصبحت كلمة الروح بالأكادية تأتي بصيغة (أُطيمُّ etemmu) كمرادفة لكلمة (كِدِم – GIDIM) السومرية.

وكان المعتقد في بلاد الرافدين القديمة، أن بعض أرواح الموتى لم تكن تنزل إلى العالم السفلي، أو إنها تغادره لسبب من الأسباب، مثل تعرض قبر صاحبها للتخريب، أو عدم دفن جسده بعد الموت. وفي هذه الحالة، تكون مثل تلك الأرواح الهائمة، مصدراً لإزعاج الأحياء، أو إلحاق الأذى بهم، والتسبب في إصابتهم بأمراض شتى، وكانت أضرار هذه الأرواح تُعالج بالتعاويذ وتعزيم الكهنة. وهناك إشارات عديدة في النصوص المسمارية، إلى الحالات التي كانت تُعزى إلى الأرواح الشريرة وتلبسها للأحياء.

كما أن هناك بعض الإشارات، التي تدل على وجود معتقد، بأن الآلهة كان يمكنهم أن يحلّوا في بعض الحيوانات، فيصبح الواحد منهم روحاً (اَطيمٌ) للإله الذي حلَّ به، وقد كان العراقيون القدماء يؤدون القسم بأرواح الموتى.

ويُستدل من بعض النصوص المسمارية، أن سكان بلاد الرافدين القدماء، اعتقدوا أن الروح تكون ملازمة للبدن بصورة غير محسوسة أثناء حياة الشخص، وتنفصل عنه في لحظة الموت. ويبدو أنهم عرفوا العلامات الأولى للموت، وهي عندهم: الغيبوبة وعدم الاستجابة، وتعطل حركة البدن، ثم توقف القلب عن النبض، كما رواها جلجامش عند احتضار صديقه أنكيدو.

وإذا كان وجود الروح (اَطيمُّ) لا يتحقق إلا بانفصالها عن الجسد، أي بحدوث الموت، فإن ما يكمن في الإنسان ويستمر معه في حياته هو النفس، وهي سمة الحياة، وقد استعملت لها في الأكادية كلمة مضاهية للكلمة العربية، وتلك هي (نبشةُ – napistu) بدلالة كلمة نفس العربية ذاتها، وكلمة (نبشةُ) مشتقة من المصدر **(ن ف ش)** المُضاهي للمصدر العربي **(ن ف س)** ومنه النفس والتنفس، كما تعني الحياة.

وتقدم لنا ملحمة جلجامش وصفاً للطريقة التي تنفصل بها الروح عن الجسد، وللشكل الذي تأخذه، وذلك من خلال ما يرويه أنكيدو لجلجامش عن الذي رآه عن موته، في اللوح السابع من الملحمة، الذي ترد فيه:

- أنكيدو اضطرب فكره
- انطرح وبدا متأملاً
- ما كان بذهنه رواه لصديقه:
- رعدت السّماء ودوت الأرض
- وكنت أنا هناك واقفاً بينهما
- كان هناك رجلٌ واقفٌ بينهما
- سماته مثل طائر البرق، كانت مرعبة
- يداه براثن أسد، مخالبه مخالب نسر

- أمسك بناصيتي وتمكن مني
- ضربته فارتد مثل حبل القفز
- ضربته فقلبني مثل طوف
- سحقني تحت قدمه مثل ثور وحشي قوي
- نقع جسمي بلعاب سام
- أنقذني يا صديقي ...
- ولكنك خفت منه و ...
- ....
- ضربني وحولني إلى حمامة
- شد ذراعي مثل جناحي طائر
- ليقودني مقبوضاً إلى بيت الظلام، مقر اركالا (إلهة العالم السفلي)
- إلى البيت الذي لا يغادره مطلقاً من يدخله
- على طريق اللاعودة

ففي هذا المقطع نرى الطرق التي يتم بها خطف أرواح البشر، فقد تمَّ تحويله إلى حمامة[♣]،

♣ – وهذا ما يذكرنا باعتقاد المصريين القدماء عن أرواح الموتى، بأنها تكون مكسوَّةً بالريش ولها وجهٌ بشري، وكذلك عند الإغريق، بخروج روح الميت من الجرَّة

وهنا تجدر الإشارة، إلى أن معتقدات العرب في ما قبل الإسلام، أنَّ روح الميت على هيئة طائر أطلقوا عليه اسم الهامة، واعتقدوا أنه يهيم في حالة عدم أخذ الثأر من قاتل صاحب الروح، وهو ينعق (اسقوني .. اسقوني!).

وكانت أرواح الموتى تستقر في العلم السفلي وتتلقى، بطريقة أو بأخرى ما يقدم من أجلها من قرابين في العالم العلوي، فتكون بذلك تمتلك فرصة في تحسن أحوالها بوصول الطعام والماء لها، وخصوصاً إذا ما انتظمت عملية تقديم القرابين من قبل الأحياء لأجلها.

أما الذين لم تدفن أجسادهم، أو لم يُقدم لأرواحهم القرابين، فإن أرواحهم، تكون قلقة وغير مستقرة في العالم السفلي، وتعود صاعدة بشكل شبحي إلى عالم الأحياء لتعمل على إزعاج الناس وإلحاق الأذى بهم انتقاماً لما أصابها.

ويبدو أن الروح تستمر في كيانها الشّفاف، بحمل الملامح الأساسية لشخص صاحبها المتوفى، بالرغم من التغيرات التي تطرأ عليها عند الوفاة. مثل ظهور الريش وتكوّن الجناحين، والدليل على

= التي فيها الجسد، وتكون عند خروجها بهيئة مُجنَّح يقوده الإله هرمس إلى مملكة الأموات.

هذا، يأتي من اللوح الثاني عشر من ملحمة جلجامش، الذي يتضمن ما رواه شبح أنكيدو لجلجامش عن العالم السفلي، وكيف أنه تمكن هناك من معرفة من كان يحبهم أو يبغضهم في حياته، بمجرد رؤيته لأرواحهم، ولم يكن هذا التشابه بين روح المتوفى وهيئته قبل الوفاة يتأثر بما يُصيب الجسد في حالة الموت العنيف.

وكان المعتقد قديماً، أن راحة المتوفى وسكينتهُ في العالم السفلي، تعتمد بالدرجة الأولى على بقاء الجثة مستقرة في القبر، وعلى عدم العبث بعظامها. وتُشير النصوص المسمارية، إلى أن القبر الذي كان يُحفر لدفن الميت، يُمثل منفذاً يؤدي إلى العالم السفلي، وعن طريق هذا المنفذ تنزل روح الميت إلى ذلك العالم، ولهذا السبب أُعتبر أن عدم دفن الموتى يعني حرمان أرواحهم من النزول إلى عالمها وبقاءها هائمة في عالم الأحياء وهي غاضبة عليهم ومزعجة لهم.

ولا بد هنا من الإشارة إلى أن فتح القبور وتحريك العظام، لم يكن سبباً مطلقاً في حرمان الأرواح من الهدوء والاستقرار في العالم السفلي، إذ أن للنية الحسنة والاحترام المُبدى لبقايا الهياكل العظمية، أثرهما الكبير في عدم التأثير على سكينة الروح.

وتُشير نصوص التعاويذ المسمارية، إلى الأرواح المؤذية محددة إياها بأنها أرواح من لم يدفنوا بطريقة لائقة أو بقيت جثثهم في العراء بدون دفن أو غطاء.

إن هذا القلق والشقاء لروح المتوفى كان باعثاً على أن يكون الدعاء بالحرمان من الدفن، من أقسى الأدعية بالسوء، وقد وردت إشارات متعددة في النصوص المدونة على أحجار تثبيت ملكية الأراضي (كدورو) وعلى المسلات، إلى أن الحرمان من الدفن، كان مصيراً لمن يُسيء أو يخرق أحكام النصوص المثبتة، ومن هذه الأدعية: ((عسى أن ينطرح جسده ولا يدفنه أحد)) أو ((عسى أن لا يدفن جسده في التراب)).

وكانت لأرواح الموتى، بحسب المعتقدات القديمة، صلة ما بعالم الأحياء تمكنها من الإحساس بما يحدث فيه، وتتأثر به منذ لحظة نزولها، حتى بعد مضي أكثر من – ربما سبعة أو عشرة أيام – على الموت والنزول إلى العالم السفلي. ويبدو أن روح المتوفى تبقى محتفظة بمشاعرها تجاه الأشياء التي تحبها أو تكرهها.

والواضح أن هيئة الأرواح في العالم السفلي تبقى حاملة لملامح صاحبها، ولكنها تكون شفافة التكوين، لا تلبس الثياب النظيفة، ولا تتطيب بالزيت، ولا تحمل سلاحاً، وتكون حافية القدمين تتحرك بصمت، ولا تدخل في تماس مع الأرواح الأخرى، حتى وإن كانت روح الزوجة أو الأبن.

وكانت أرواح الموتى في العالم السفلي، تحصل في أوقات مختلفة على الطعام والشراب المُقدم لها ضمن الشعائر الجنائزية، إذ كان إشباع

جوع الأرواح في هذا العالم، وإرواء ظمئها، أحد الأهداف المهمة من إنجاز الشعائر الجنائزية، التي تقدم فيها قرابين الطعام وتسكب السوائل، وحاجة الأرواح هذه إلى الطعام والشراب، تُشابه حاجة الآلهة لهما، وهي الحاجة التي كانت تُسدُّ – أيضاً – بالقرابين، التي توضع أمام تماثيل أولئك الآلهة، وكان انقطاع القرابين والماء عن الأرواح، يؤدي إلى جعلها أمام أحد أمرين، إما أن تبقى غارقة في بؤس العالم السفلي، تقتات على التراب والطين والماء العكر، وربما تحصل على كسر خبز من الفضلات، أو أنها تخرج إلى عالم الأحياء غاضبةً منزعجة تتربص بالأحياء لتشعرهم بوجوب ذكرها، وذلك بإلحاق الأذى بهم.

وهناك الكثير من الأدلة، خاصة من العصرين الآشوري والبابلي الحديث على تبجيل أرواح الموتى ونشدان مباركتها، وفي مقابل ذلك كانت الأرواح بدورها تقدم العون والمباركة للأحياء، وكان باستطاعة الشخص الذي يبتلي بأرواح شريرة أن يتضرع إلى أرواح الموتى من عائلته ليخلصوه منها.

يتضح لنا من خلال كل ما عرضناه، أن عقائد حضارة بلاد الرافدين القديمة تجعل من الموت، انفصالاً بين الروح والجسد، فالجسد يدفن ويتعرض للفناء أما الروح فتكون خالدة وتنزل إلى عالم الأرواح (العالم السفلي) وتبقى فيه إلى الأبد، وإذا عادت الروح، لسبب من الأسباب، إلى عالم الأحياء، فهذا لا يعني قيامة الموتى، وإنما نفاذ

روحه من العالم السفلي بهيئة شبح غير مرئي قادر على التأثير على الأحياء، وهذا ما يدل على أنه لم يكن هناك اعتقاد بالقيامة أو عودة الروح إلى الجسد في تلك الحضارة، ولذلك ينبغي أن لا تؤخذ بعض المصطلحات والتعابير الواردة في النصوص المسمارية مثل ((محيي الأموات)) أو ((عاد إلى الحياة)) بالمعنى الحرفي للكلمة، وإنما بالمعنى المجازي والمبالغة في الوصف.

ومما يدل على عدم اعتقادهم بقيامة الأموات، ما يرد على لسان جلجامش في اللوح العاشر من ملحمته ضمن حديثه لأنكيدو حين مات، إذ يقول:

- وصاحبي الذي أحببت تحول إلى طين
- أولاً سأكون مثله واضطجع أيضاً
- فلا أقوم ثانية وإلى الأبد

وهي نتيجة قاطعة تقودنا للسؤال عن فكرة الثواب والعقاب في بلاد الرافدين، هذه الفكرة الواضحة جداً عند سكان وادي النيل وبعض الحضارات الأخرى[١٧٧].

---

[١٧٧] - نائل حنون: الحياة والموت، مرجع سابق، ص ٢٠٩ - ٢٣٢.

الحساب والثواب والعقاب

في عقيدة سكان بلاد الرافدين القدماء

قد يتساءل البعض – أمام هذا الفكر الديني (الماورائي) الرافدي العميق – عن فكرة الثواب والعقاب عند سكان هذه البلاد، هل آمنوا بالعقاب الجسدي، أم الروحي؟، وهل كان عقابهم في الدنيا أم في الآخرة، وكيف؟.

يبدو أن في بلاد الرافدين لم يكن لفكرة الثواب والعقاب وجود واضح، ولم تكن حالة الروح في العالم السفلي وحسن المعاملة التي تلقاها، نتيجة لحساب وقرار بثوابها على صاحبها في حياته، وإنما نتيجة لعوامل لا علاقة لها بالحساب وبمبدأ الثواب والعقاب.

فالنصوص المتوفرة لدينا، تُشير، وبكل وضوح، إلى أن الحياة الدنيا هي دار الثواب والعقاب، وليس عالم ما بعد الموت، فالمرض والشقاء، والموت بحد ذاته، أنواع من العقوبات، التي يجرها الآثم على نفسه، وعلى عكسها، تكون الصحة الجيدة والثروة وطول العمر ثواباً على الأعمال الحسنة، وفي الختام، لا بد أن يحل الموت على الجميع من فتيان وفتيات وسادة وعبيد وصالحين وآثمين.

فالثواب والعقاب يحدثان للمرء في أثناء حياته، وبموته يتوقف ذلك، ويتساوى الجميع في بلي الجسد على الأرض، وفي نزول الروح إلى العالم السفلي. وفي هذا الصدد نقرأ في النص البابلي المعروف باسم ((حوار التشاؤم)) ما يلي (بالأكادية):

- اِليمَ أن آل تِلان لَبروةِ اِتَلَّك
- أمرُ جُلجُليي شَ أر كوُةِ و بَنوهِ
- أيُ بيّل لِموتّمَ أي بيّل اُساَةِ

والترجمة العربية هي:

- اعلُ على التلول العتيقة وتمشَ
- انظر جماجم اللاحقين والسابقين
- أيٌّ هو صاحب الرذيلة، وأيٌّ هو صاحب الحسنة؟؟.

إذن، الجميع متساوون في ملاقاة الموت، والجميع تنزل أرواحهم إلى العالم السفلي بعد أن يكونوا قد نالوا ثوابهم وعقابهم في حياتهم. وكما ذكرنا قد يكون الموت والنزول إلى العالم السفلي عقوبة للمسيء إذ يرد في ابتهالٍ للإله الشمس شمش:

- إنك تنزل (إلى العالم السفلي) الصلف الذي أحيط ب ...
- .....
- منْ على زوجةٍ تابعةٍ وضعَ (عينه)؟

- في يوم لا منيته (تُميتهُ)
- كبوة مزرية جاهزة له (تهيء)
- تنشر عليه سلاحك ولا (يوجد) منقذ
- في قضيته لا يقف أبوه
- بقرار القاضي لا يرفع استئنافاً أخوته
- وبقرطٍ من النحاس منقض لا يدري به
- لمرتكب المحرمات تحطم قرنه
- صانع الخير العازم أرضيته
- تجعل القاضي الصلف يعاني الحجز
- تحمل متسلم الرشوة، الذي لا يعد له العقوبة
- من لا يتسلم الرشوة، الملتزم بكلمة الضعيف
- يطيب للإله شمش فيطيل حياته
- القاضي المحترس (المتسائل) الذي يقضي قضاء العدالة
- يعزز في القصر، مقر الأمراء مقره
- معطي المال، الذي فضلاً على الفائدة زاد المبلغ
- تأتي به إلى الخسارة، ويفقد رأس المال (الكيس)
- معطي المال للأمد الطويل مزيداً شيقلاً واحداً لكل ...
- يطيب للإله شمش فيطيل حياته
- ممسك الميزان مبدي الصلف
- مطفف الميزان، مخفض (الوزن)

- تأتي به إلى الخسارة، ويفقد رأس المال (الكيس)
- ممسك الميزان المعدل مزيد (الوزن)
- أي شيء يوهب له مزيداً؟.

وهكذا نرى أن الثواب ومجازاة الفضيلة، يكون مؤملاً في حياة المرء، وكذلك العقاب ومردود الخطيئة، وإن طول العمر من أهم ما يرجى للأخيار، من دون أن يكون هناك رجاء في حياة أخرى يُثاب فيها المرء.

وكان المعتقد أن الخطايا والآثام تجلب العقاب وغضب الآلهة، ليس على الشخص الآثم فحسب، وإنما على المدن المذنبة والأمم أيضاً، ومن العقوبات القاسية كان تخلي الآلهة عن الفرد أو عن المدينة المذنبة بحق الإله، وهذا يعني إنها تصبح عرضة للكوارث والويلات، وتمكن الأعداء منها. وقد تستمر هذه العقوبات حتى تعود وترضى الآلهة عن المدينة، بعد أن يتم استرضاؤهم بإقامة الشعائر وتقديم القرابين، وأداء مراسيم التطهير المتقنة، وتلاوة الابتهالات الملائمة من قبل الملك، في الغالب، إذ كان يلقيها بصفته الرسمية، ويعبر فيها بطريقة مؤثرة، عن قلق الناس وطلبهم للمغفرة.

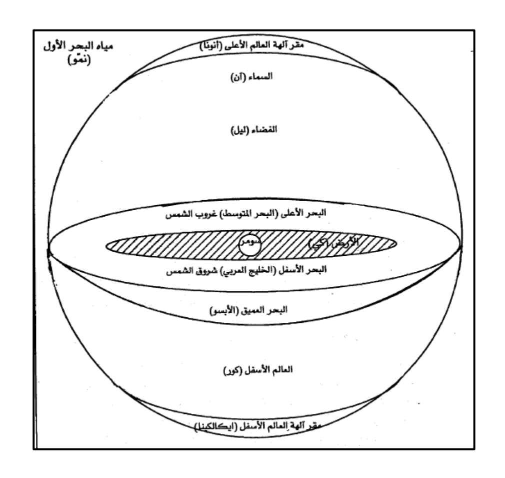
وتزخر النصوص السومرية والأكادية بالعبارات، التي تتحدث عن صفاء العيش وطول العمر باعتبارهما الثواب الأمثل على حياة الفضيلة

والإحسان والأعمال الورعة وخشية الآلهة وتقديم القرابين وصنع التماثيل للآلهة.

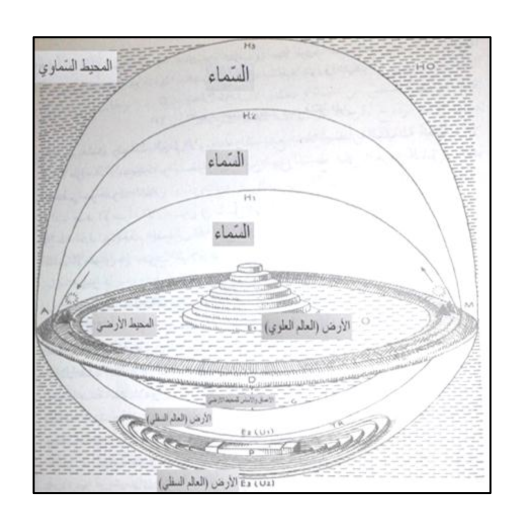
وعلى العكس من ذلك كانت الخطيئة والحياة الآثمة مدعاةً لجلب الشقاء في الحياة والإسراع بالموت، وإنهاء حياة المذنب، عقاباً له على ما اقترفه، وهذا ما يتجلى – واضحاً – في العديد من النصوص القديمة والأدعية المدونة على السجلات وأحجار الحدود (كودورو)[١٧٨] ... إلخ.

[١٧٨] – نائل حنون: الحياة والموت، مرجع سابق، ص ٢٢٢ – ٢٢٦.

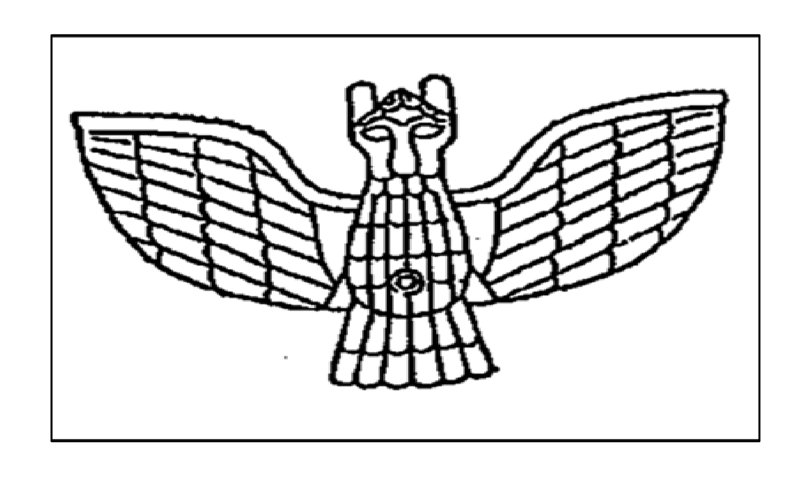
الصور والأشكال



صورة الكون كما تخيله السومريون



الكون كما تخيله البابليون



الأمدجود (الأسد المجنح) أو الطائر أنزو

رمز مرتبط بالإله ننكرسو (نينورتا) ٣٠٠٠ – ٢٥٠٠ ق.م



رسم يمثل خلق الإنسان الأول (آدم) بواسطة الآلهة (أنوناكي)



الإله نينورتا يُقدم الطائر أنزو للعِقاب أمام الإله أنكي – أيا



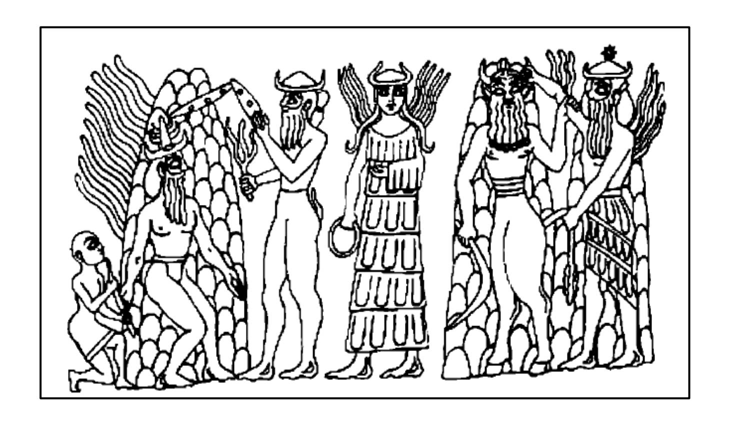
أحد الآلهة يقود الطائر أنزو إلى الإله أنكي – أيا، وأمامه وزيره إيسمود



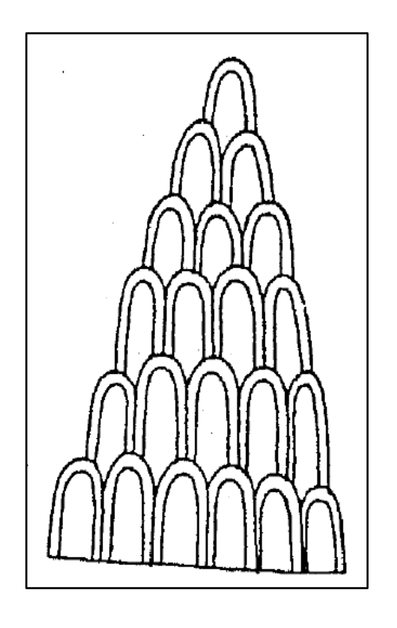
الإلهة الأم ننخرساك، إلهة الرحم والأطفال ٢٠١٧ – ١٧٦٣ ق.م



مركب الطوفان يحمل الحيوانات ونواميس الحضارة الـ (مي)
ونشاهد زيوسيدرا (نوح) يقود المركب، وإله الشمس (شمش) يساعده في التجديف



طبعة ختم أسطواني من حجر الهيماتيت، الإلهة انانّا تستعد للدخول إلى العالم الأسفل الذي يبدو رمزه واضحاً في الختم ٢٢٣٠ – ٢١٥٠ ق.م



رمز العالم السفلي

المراجع

١. أسامة عدنان يحيى: الآلهة في رؤية الإنسان العراقي القديم – دراسة في الأساطير، آشور بانيبال للكتاب، العراق، بغداد، ط ١، ٢٠١٥م.

٢. أنطون مورتكات: تموز – عقيدة الخلود والتقمّص في الشرق القديم، ت. توفيق سليمان، دار المجد للنشر والخدمات الطباعية، ط ١، ١٩٨٥م.

٣. برهان الدين دلّو: حضارة مصر والعراق التاريخ الاقتصادي – الاجتماعي – الثقافي والسياسي ، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٨٩م،، دار الفارابي بيروت لبنان، ط ١، ١٩٨٩م.

٤. جفري بارندر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ت، إمام عبد الفتاح إمام، سلسلة عالم المعرفة، العدد، ١٧٣، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، ١٩٩٣م.

٥. خزعل الماجدي: متون سومر – الكتاب الأول – التاريخ – الميثولوجيا – اللاهوت – الطقوس، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، الطبعة الأولى العربية، ١٩٩٨م.

٦. خزعل الماجدي: انجيل بابل، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، الطبعة الأولى العربية، ١٩٩٨م.

٧. خزعل الماجدي: أنبياء سومريون – كيف تحول عشرة ملوك سومريين إلى عشرة أنبياء توراتيين؟، المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء، المغرب، ط ١، ٢٠١٨م.

٨. خزعل الماجدي: العقل الشعريّ، النايا للطباعة والنشر، دمشق، سورية، ط ١، ٢٠١١م.

٩. د. ازدارد، و م.هـ. بوب، و ف. رولينغ: قاموس الآلهة والأساطير – في بلاد الرافدين (السومرية والبابلية) في الحضارة السورية (الأوغاريتية

والفينيقية)، ت. محمد وحيد خياطة، دار الشرق العربي، لبنان، بيروت، حلب، سوريا.

١٠.ديوان الأساطير، سومر وأكاد وآشور – الكتاب الأول – أعطِني، أعطِني ماءَ القلب – أناشيد الحب السومرية، ت. قاسم الشّواف، تقديم، أدونيس، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩٦م.

١١. ديوان الأساطير، سومر وأكاد وآشور – الكتاب الثاني – الآلهة والبشر، ت. قاسم الشّواف، تقديم، أدونيس، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩٧م.

١٢. ديوان الأساطير، سومر وأكاد وآشور – الكتاب الثالث – الحضارة والسلطة، ت. قاسم الشّواف، تقديم، أدونيس، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩٩م.

١٣. ديوان الأساطير، سومر وأكاد وآشور – الكتاب الرابع – الموت والبعث والحياة الأبدية، ت. قاسم الشّواف، تقديم، أدونيس، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠١م.

١٤. سامي سعيد الأحمد: المعتقدات الدينية في العراق القديم، المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت، لبنان، ٢٠١٣م.

١٥. س . كريمر: إينانا ودموزي طقوس الجنس المقدس عند السومريين، ت. نهاد خياطة، سومر للدراسات والنشر والتوزيع، نيقوسيا، قبرص، ط ١، ١٩٨٦م.

١٦. سلطان محيسن: عصور ما قبل التاريخ، جامعة دمشق، ٢٠٠٥ – ٢٠٠٦م.

١٧. س . هـ . هوك: ديانة بابل وآشور، ت. نهاد خياطة، العربي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط ١، ١٩٨٧م.

١٨. صمويل كريمر: من ألواح سومر، ت. طه باقر، تقديم ومراجعة أحمد فخري، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر.

١٩.صموئيل هنري هووك: منعطف المخيلة البشرية – بحث في الأساطير، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط ١، ١٩٨٣م.

٢٠. طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة – القسم الحضاري، بغداد، ج١، ١٩٥٥م.

٢١. طه باقر: ملحمة كلكامش وقصص أخرى عن كلكامش والطوفان، سلسلة الكتاب للجميع (٥)، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، ط ٥، ٢٠٠٧م.

٢٢.طه باقر: مقدمة في أدب العراق القديم، دار الحرية للطباعة، جامعة بغداد، ١٩٧٦م.

٢٣.عبد الغفار مكاوي: جذور الاستبداد – قراءة في أدب قديم، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٩٢، ١٩٩٤م، المجلس الوطني للثقافة والأدب، الكويت.

٢٤. عيد مرعي، فيصل عبدالله: تاريخ الوطن العربي القديم (بلاد الرافدين) منشورات جامعة دمشق، ٢٠٠١ – ٢٠٠٢م.

٢٥. عيد مرعي: اللسان الأكادي – موجز في تاريخ اللغة الأكادية وقواعدها، الهيئة العامة السورية للكتاب، تاريخ العرب والعالم (١٠)، دمشق، ٢٠١٢م.

٢٦. عيد مرعي: معجم الآلهة والكائنات الأسطورية في الشرق القديم، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١٨م.

٢٧. فاتن موفق فاضل الشاكر: رموز أهم الآلهة في العراق القديم – دراسة تاريخية دلالية، رسالة ماجستير.

٢٨. فاضل عبد الواحد علي: من سومر إلى التوراة، دار الشروق الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط ١، ١٩٨٩م، وكانت تحت عنوان: من ألواح سومر إلى التوراة، ودار سينا للنشر، القاهرة، مصر، ط ٢، ١٩٩٦م.
٢٩. فراس السوّاح: لغز عشتار – الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة، سومر للدراسات والنشر، قرص، نيقوسيا، ط ٢، ١٩٨٦م، الطبعة السورية، دار الغربال، دمشق.
٣٠. فراس السواح: مغامرة العقل الأولى – دراسة في الأسطورة، دار الكلمة للنشر، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٩٨١م.
٣١. قاسم الشوّاف: مع الكلمة الصّافية، دراسات فلسطينية، منشورات دار الأجيال، دمشق، ط ١، ١٩٦٩م.
٣٢. كارين آرمسترونغ: موجز تاريخ الأسطورة، ت. أسامة إسبر، دار بدايات للطباعة والنشر، دمشق، ط ١، ٢٠٠٧م.
٣٣. كلشكوف: الحياة الروحية في بابل – الإنسان – المصير – الزمن، ت. عدنان عاكف حمودي، دار المدى للثقافة والنشر، دراسات (١٢)، سوريا، دمشق، ط ١، ١٩٩٥م.
٣٤. ماكس . س . شابيرو، رودا . أ . هندريكس: معجم الأساطير، ت. حنا عبود، دار الكندي للترجمة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٨٩م.
٣٥. مجموعة من المؤلفين: شريعة حمورابي وأصل التشريع في الشرق القديم – دراسة مقارنة مع النصوص الكاملة، ت . أسامة سراس، العربي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط ١، ١٩٨٨م.

٣٦. نخبة من الباحثين العراقيين: حضارة العراق، ج ١، فوزي رشيد، بحث بعنوان: الديانة– المبحث الأول – المعتقدات الدينية، ، بغداد ١٩٨٥، وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٩٩م.

٣٧. نائل حنون: حينما في العلى قصة الخليقة البابلية – الترجمة الكاملة للنص المسماري للأسطورة، دار الزمان، دمشق، سوريا، ط ١، ٢٠٠٦م.

٣٨.نائل حنون: دراسات في علم الآثار واللغات القديمة، ج ٢، الجمهورية العربية السورية، هيئة الموسوعة العربية، دمشق، ط١، ٢٠١١م.

٣٩. نائل حنون: الحياة والموت في حضارة بلاد الرافدين القديمة – بحث في المعتقدات الدينية والأساطير القديمة، دار الخريف للنشر والتوزيع، ط ١، دمشق، ٢٠٠٥م.

٤٠. نائل حنون: المدافن والمعابد في حضارة بلاد الرافدين القديمة – دراسة عن الشعائر والعمارة في النصوص المسمارية والآثار – المعابد وزقوراتها، ج ٢، دار الخريف للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٠٦م.

٤١. هنري س . عبّودي: معجم الحضارات السّامية، جروس بُرس، طرابلس، لبنان، ط ٢، ١٩٩١م.

٤٢. وديع بشور: الميثولوجيا السورية – أساطير آرام، مؤسسة فكر للأبحاث والنشر، بيروت.

الدوريات

١. طه باقر: ديانة البابليين والآشوريين، مقال في مجلة سومر، المجلد الثاني، الجزء الثاني، ١٩٤٦م، مجلة علمية تبحث في آثار العراق القديمة، مطبعة التفيض الأهلية، بغداد.

٢. طه باقر، بشير فرنسيس: عقائد سكان العراق القدماء في العالم الآخر (أسطورة زو)، مقال في مجلة سومر، المجلد العاشر، الجزء الأول، الحكومة العراقية، مديرية الآثار القديمة العامة، ١٩٥٤م.

الفهرس

المؤلف في سطور

نزار مصطفى كحله

- من مواليد سلمية ١٩٧٠م .
- معهد متوسط في العلوم الصحية / اختصاص تخدير وإنعاش / عام ١٩٩٢م.
- إجازة في الآداب / قسم التاريخ، في جامعة دمشق / ٢٠٠٥ – ٢٠٠٦م.
- يعمل في مجال البحث في تاريخ الشرق العربي القديم.
- عضو في جمعية العاديّات / فرع سلمية /.
- عضو اتحاد الكتّاب العرب، سوريا، ٢٠٢١م

الكتب المطبوعة

- التخدير والإنعاش عبر التاريخ.
- ملكات عربيات عبر التاريخ.
- المدارس والتعليم في تاريخ الشرق العربي القديم – بلاد الشام والرافدين.
- غزوات شعوب البحر.
- المرأة في التاريخ ما بين التأليه والتوبيخ /القسم الأول ٨٠٠٠ ق.م – ٦١٠م/.
- شارك في تأليف كتاب / سلمية المعاصرة /.
- شارك في تأليف كتاب / شخصيات من ذاكرة سلمية /.
- شارك في تأليف كتاب / الآثار والتراث في سلمية /.
- قصة للأطفال بعنوان: رعيان العوجة.

الكتب غير المطبوعة

- المرأة في التاريخ ما بين التأليه والتوبيخ / القسم الثاني ٦١٠– ٢٠٠٠م/.
- إبداعات حضارية في تاريخ العرب قبل الإسلام.
- الأختام الأسطوانية.
- القلاع الأثرية في سوريا.
- بعض ملامح التعددية في الدولة الفاطمية.
- مجموعة قصصية بعنوان كوخ إيلي.
- مسرحية الطوفان.
- مسرحية الحيزبون.
- مسرحية أحيقار الحكيم.
- مسرحية قناديل العبور.
- مسرحية بثينة، ونصوص أخرى.

نشاطات ثقافية مختلفة

- مُحاضر في المراكز الثقافية، وبعض الجمعيات الأهلية.
- ينشر في مجلة المعرفة السورية، وبعض الدَّوريات الأخرى.
- له عدة أبحاث منشورة في موسوعة الآثار السورية ...



هذا الكتاب

إن الباحثَ في تاريخ وفكر وأساطير ودين بلاد الرافدين القديم، سيجد نفسه أمام أسئلة كبرى، تطرحُ نفسها عليهِ، منها: من خلق هذا الكون؟، ومن نظَّمهُ؟، وما هو مصيرنا ؟، ومن يكتبه ؟، وهل يمكن تغيير هذا المصير ؟، وكيف؟.. وهل هناك قوانين تُسيِّر هذا الكون وتنظمه ؟، ومن المسؤول عنها؟، وما هي هذه القوانين (النواميس)؟، وما هي ألواح القدر ؟، وما دورها ؟، ومن خطَّها؟، وأين حُفظت ؟، وما هي تلك الأقانيم الثلاثة: أقنوم الـ (مِهْ - مي – ME)، وأقنوم ألواح القدر (الأقدار)، وأقنوم المصير، التي شغلت حياة وفكر علماء وكهنة وفلاسفة سكان بلاد الرافدين، في ذلك العصر الموغل في القدم.

يأتي هذا الكتاب، لكي يُجيب على بعض هذه التساؤلات الكبرى، من خلال معالجته لمفاهيم الـ (مِهْ - مي – ME) والنواميس الطبيعة، وألواح القدر (الأقدار) والمصير، عند سكان بلاد الرافدين القديم.

المؤلف





